دكتور
محمد سيد أحمد المسير



المدخل لدراسة الأديان



دكتور
محمد سيد أحمد المسير

المدخل لدراسة الأديان

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ — ١٩٩٤م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر / القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعـــد :

فإن لدراسة الأديان، تاريخها ونقدها، أهمية بالغة فى حياة الإنسان العاقل، فهى تمنحه البصيرة فى تمييز الحق من الباطل، والطيب من الخبيث، والهدى من الضلال.

وفى الوقت ذاته تتيح له معرفة عميقة بفكر الشعوب وحضارتها، لأن الدين هو الذى يصوغ للأمة حياتها، ويشكل عقلها، ويتغلغل فى صميم وجدانها.

وهذه بحوث فى المدخل لدراسة الأديان، جاءت — بتوفيق الله — مقسمة إلى ثلاثة أبواب، متضمنة سبعة فصول، هكذا :

الباب الأول : الدين مفهوما وواقعا

وفيه فصلان :

١ — مفهوم الدين والملة والنحلة :

شرحنا هذه الألفاظ فى اللغة والقرآن والاصطلاح، وناقشنا آراء العلماء، وقدمنا مفهوما ميسرا — نقرره مطمئنين — وهو أن الدين والملة يطلق كل منهما على رسالات الوحى الإلهى وعلى الشرك والإلحاد، وعلى

كل ما يعتقد فى مجال الفكر الإنسانى ، ويكفى أن نقرأ قول الله تعالى : «إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب . ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء»(١) .

وأن الانتحال والنحلة قد يكون اعتماداً على الفكر والذهن ، وقد يكون فى وحى محرف ، وتنزيل امتدت إليه أيد آثمة . .

ونبهنا إلى أن الذين يضعون الضوابط ويحددون العناصر لمفهوم الدين فاتهم أن يفرقوا بين مفهوم الدين ومفهوم الإيمان . .

فالإيمان أخص من الدين . .

وأن هناك جبهتين متقابلتين هما :

جبهة المؤمنين وجبهة الملحدين

ويجمع الجبهتين اسم الدين بمفهومه الواسع ومدلوله الشامل لكل ما يعتقد فى مجال الفكر الإنسانى . .

* * *

٢ — موجز تاريخ الأديان :

وقسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث هى :

(ا) أديان النبوة :

---

(١) سورة يوسف — الآية ٣٧ ، ٣٨

وتكلمنا عن الوحى الإلهى ، ومسيرة الأنبياء ، والتفاضل بينهم ، والإيمان بأصول الرسالات، والكتب المقدسة .

(ب) أديان الوثنية :

وبحثنا عن الوثنية فى معاجم اللغة والبيان القرآنى ، وبيّنا كيف نشأت الوثنية ، وأشرنا إلى نماذج من هذه الأديان ، واخترنا الديانة المصرية القديمة والمجوسية وأديان الهند والوثنية العربية . .

(ج) أديان الفلسفة :

قدمنا تعريفاً للفلسفة ، وقسمنا تاريخها إلى مراحل رئيسية هى :

- الفلسفة اليونانية .
- الفلسفة الإسلامية .
- الفلسفة الأوربية .

ثم سقنا إشارات وتنبيهات لهذا التاريخ الطويل الذى يستغرق أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، وعرفنا بنماذج لفلاسفة هذه المراحل . .

الباب الثانى : دراسة الأديان

وفيه تمهيد وثلاثة فصول . .

وجاء التمهيد عن أهمية دراسة الأديان وأنها تجلى مواطن الحق من الباطل وتظهر المحاسن من المساوىء ، وتهب العقل الرضا بما يجب اعتقاده . .

وتوالت الفصول على النحو التالى :

١ — موقف القرآن

شرحنا المبادىء والقواعد التى أرساها القرآن فى مجال دراسة الأديان، وتكلمنا عن البراءة التى أعلنها القرآن فى سورة تحمل هذا الاسم، وأشرنا إلى ملامح هؤلاء الذين وقفت السورة معهم موقف الحسم والتصفية ، ثم سقنا نماذج لعقائد المخالفين والرد عليها ، كما وردت فى القرآن آيات بينات . .

٢ — دراسات المسلمين

شرحنا اهتمام المسلمين بدراسة الأديان والمقارنة بينها ، وقسمنا دراساتهم إلى مجموعة اتجاهات فكرية هى : الوصف، والنقد، والمواجهة ، والاعتراف . .

وعرضنا لكتب تمثل هذه الاتجاهات هى :

- الفهرست — ابن النديم .
- الملل والنحل — الشهرستانى .
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل — ابن حزم .
- مقامع هامات الصلبان وروائع روضات الإيمان — لأبى جعفر الخزرجى .
- منحة القريب المجيب فى الرد على أهل الصليب — عبد العزيز بن حمد بن ناصر .
- تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب — عبد الله الترجمان .
- محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن — إبراهيم خليل أحمد .

٣ — دراسات غير المسلمين

بدأنا هذا الفصل بلمحة تاريخية عامة وأكدنا أن الصراع الفكرى هو من سنة المدافعة التى أشار إليها القرآن المجيد فى قوله « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »(١) .

ثم اخترنا نماذج من دراسات غير المسلمين هى :

* العهد القديم .
* الإلياذة والأوديسا .
* الحنفاء .
* الاستشراق .

ووقفنا وقفة متأنية مع النموذج الأخير ، ونبهنا إلى أن اهتمام الغرب بالشرق وجد قبل الإسلام وقبل النصرانية ، فلقد وصل الاسكندر المقدونى إلى الهند قبل الميلاد بثلاثة قرون . .

وتلك مسألة تختلف عن الاستشراق — كمصطلح يعنى دراسة الشرق فى حضاراته وأديانه وآدابه بهدف خدمة المستعمر الأوروبى ؛ وقد تزامن هذا المصطلح مع مفهوم الاستعمار الحديث منذ القرن الثامن عشر . .

وبينا أسباب الأخطاء والخطايا الفكرية التى وقع فيها المستشرقون عند دراستهم للإسلام .

---

(١) سورة البقرة — الآية ٢٥١

وعرضنا لنماذج من دراسات المستشرقين وهى :

* تفصيل آيات القرآن الحكيم — جول لابوم ، ادوار مونتيه .
* مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى — ا . ى . ونسنك .
* دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة — موريس بوكاى .
* حياة الحقائق — غوستاف لوبون .
* أخبار الحلاج — ل . ماسنيون . ب . كرواس .
* أخبار أمم المجوس — الكسندو سيبل .

* * *

الباب الثالث : فى البدء كان التوحيد

ويشتمل على فصلين :

١ — آدم عليه السلام أول إنسان وأول نبى :

تحدثنا عن مراحل خلق آدم فى القرآن المجيد ، وآدم بين المعصية والتوبة والاجتباء ، والبيان الإلهى الأول لخطة بناء الحياة .

٢ — شبهات حول الأصل الأول :

سقنا بعض النظريات فى نشأة الدين وتطوره وناقشناها مناقشة هادئة موضوعية ، وهذه النظريات هى :

— عبقرية الانبياء — جان جاك روسو .

— أصل الأنواع — تشارلس داروين

— مراحل التفكير البشرى — أوجست كونت .

— أطوار العقيدة عند علماء الأديان الغربيين .

— الافتراض العظيم — غوستاف لوبون

وأكدنا تأكيدا قويا أن وجود الله تعالى هو حقيقة الحقائق ، وأن شرائع الله هي العدل والرحمة والإحسان . وأن الحضارة وليدة الدين ، وأن العلم يقود الإنسان إلى الإيمان ، وأن الحياة البشرية تلتقى فى منظومة واحدة تجمع الدين والعقل والتجربة .

« على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين »[1] .

أبو حذيفة
د/ محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر بالقاهرة
وجامعة أم القرى بمكة المكرمة

مكة المكرمة فى ١٤١٤/١٢/٥هـ
١٩٩٤/٥/١٦م

(١) سورة الأعراف — الآية ٨٩

الباب الأول

الدين

مفهوما وواقعا

- مفهوم الدين والملة والنحلة
- موجز تاريخ الأديان

الفصل الأول

الدين والملة والنحلة

- في اللغة
- في القرآن
- في الاصطلاح
  * رأى الشهرستاني
  * رأى الجمهور
  * رأى الدكتور دراز
- تعليق ورأى
  * لا مشاحة في الاصطلاح
  * نقد رأى الشهرستاني
  * لزوم مالا يلزم
  * المفهوم الميسر
  * بين الدين والإيمان

الدين والملة والنحلة

١ – فى اللغة

الدين :

ساق الإمام القرطبى فى تفسيره المعانى اللغوية لكلمة الدين عند تفسيره لقوله تعالى « مالك يوم الدين » فقال[١] :

الدين : الجزاء على الأعمال والحساب بها .

كذلك قال ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وقتادة وغيره ، وروى عن النبى ﷺ ، ويدل عليه قوله تعالى « يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق »[٢] أى حسابهم .

وقال لبيد :

حصادك يوما ما زرعت وإنما
يدان الفتى يوما كما هو دائن

وحكى أهل اللغة :

دنته بفعله دينا (بفتح الدال) ودينا (بكسرها) أى جزيته ، ومنه « الديان » فى صفة الرب تعالى أى المجازى .

وفى الحديث « الكيس من دان نفسه » أى حاسب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى — ط دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٧ — جـ١ ص١٤٣

(٢) سورة النور — الآية ٢٥

وقيل فى معنى « مالك يوم الدين » : القضاء.

روى عن ابن عباس أيضاً ، ومنه قول طرَفة :

لعمرك ما كانت حَمُولة مَعبد
على جُدّها حربا لدينك من مضر[١]

وهذه المعانى الثلاثة (الحساب والجزاء والقضاء) متقاربة .

والدين — أيضاً — الطاعة ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

وأيامٍ لنا غُرٍ طوال عصينا المَلْك فيها أن ندينا

فعلى هذا هو لفظ مشترك .

قال ثعلب : دان الرجل إذا أطاع

ودان إذا عصى ، ودان إذا عز ، ودان إذا ذل ، ودان إذا قهر ...

فهو من الأضداد .

ويطلق الدين على العادة والشأن ، كما قال :

كدينك من أم الحويرث قبلها .

وقال المثقّب يذكر ناقته :

تقول إذا درأتُ لها وضينى أهذا دينه أبدا ودينى[٢]

(١) الحمولة : الأبل التى يحمل عليها ، والجد (بالضم) البئر الجيدة الموضع من الكلأ ، والخطاب لعمرو بن هند وقد أغار على إبل معبد أخى طرفة .

(٢) درأت وضين البعير : إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به ، والوضين بطان منسوج بعضه على بعض ، يشد به الرحل على البعير

والدين : سيرة الملك ، قال زهير :

لئن حللتَ بجوٍّ في بني أســــد

في دين عمرو وحالت بيننا فدك[١]

أراد في موضع طاعة عمرو

والدين : الداء ، عن اللحياني وأنشد ،

يا دين قلبك من سلمى وقد دينا

المســـلة :

جاء في ترتيب القاموس المحيط ما يلي[٢] :

مَلِلْتُه ، مَلِلْتُ منه (بالكسر) مللا وملة وملالة وملالا أي سئمته ، كاستمللته ...

وأملني وأمل علي : أبرمني (سئم مني) فهو ملول وملولة وذوملة وهي ملول وملولة ...، ويقال أمل عليه بمعنى أملي .

والملة (بالفتح) الرماد الحار والجمر وعَرَق الحمى كالملال (بالضم) .

والملة (بالكسر) الشريعة أو الدين .

تملل وامتل دخل فيها .

وملّ القوس أو السهم بالنار عالجه فيها .

وملّ الشيء في الجمر أدخله .

(١) جو (بالجيم) ويقال خو (بالخاء) موضع في ديار بني أسد ، وفدك موضع بخيبر

(٢) ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي جـ ٤ ص ٢٨٣ . ط عيسى البابي الحلبي

ومل فى المشى أسرع .

ومل الثوب خاطه .

النحلة :

جاء فى القاموس ما يلى[1] :

النحل : ذباب العسل للذكر والأنثى ، واحدتها بهاء (نحلة) .

والعطاء بلا عوض أو عام .

والشيء المعطى .

والنحل : بالضم مصدر نحله أى أعطاه .

ومهر المرأة .

والاسم النحلة بالكسر ، ويضم وكبشرى : بمعنى العطية

والنحل والنحلان — بضمهما — اسم ذلك المعطى

وانتحله وتنحله ادعاه لنفسه وهو لغيره

ونحله القول — كمنعه — نسبه إليه

ونحله فلان : سابه

نحل جسمه — كمنع وعلم ونصر وكرم — نحولا ذهب من مرض أو سفر فهو ناحل ونحيل وهى ناحلة ، وأنحله الهم .

والنحله — بالكسر — الدعوى

(١) ترتيب القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٣٨

الدين والملة والنحلة

٢ — فى القرآن المجيد

الدين :

إذا استثنينا الدين بمعنى الجزاء كما فى قوله تعالى « مالك يوم الدين[١] » والدين واحد الديون كما فى قوله تعالى « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه »[٢] .

وتتبعنا البيان القرآنى حول الدين مفرد الأديان فإننا نصل إلى ما يأتى :

أولا :

الدين قد يضاف إلى الله تعالى كما فى هذه النصوص :

« أفغير دين الله يبغون ... »[٣] .

« ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ... »[٤] .

وهنا تتوالى على دين الله أوصاف كثيرة منها :

أنه دين الحق كما فى قوله تعالى « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق »[٥] .

وأنه الدين القيم كما فى قوله تعالى « ذلك الدين القيم »[٦] .

وأنه الدين الخالص كما فى قوله تعالى « ألا لله الدين الخالص »[٧] .

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٤
(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٢
(٣) سورة آل عمران الآية ٨٣
(٤) سورة النور الآية ٢
(٥) سورة الصف الآية ٩
(٦) سورة الروم الآية ٣٠
(٧) سورة الزمر الآية ٣

وأنه دين القيمة كما فى قوله تعالى : وذلك دين القيمة[1] .

فالحق هو الثابت المطابق للواقع ..

والقيم هو الذى ينبغى له القوامة والهيمنة لأنه المستقيم على الحق المبنى على البرهان ..

والخالص هو المتمحض للحق ، البعيد عن الباطل ، لا تشوبه شائبة انحراف ..

والقيمة يلتقى فى المعنى مع القيم ..

وعندما يضاف الدين إلى الله ويوصف بمثل هذه الأوصاف فإنه يعنى عناصر ثلاثة هى : التوحيد والتشريع والعبادة ..

١ — فدين الله قائم على توحيد الله اعتقادا جازما ، قال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[2] .

فالدين هنا مراد به التوحيد الخالص ..

٢ — ودين الله قائم على التشريع الإلهى التزاما أمينا .. قال تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين[3] » فالدين هنا مراد به التشريع الذى سنه الله لعباده وجعله منهجا لصلاح حياتهم ..

٣ — ودين الله قائم على العبادة الضارعة والطاعة الخاشعة لله تعالى ، قال جل شأنه : « فاعبد الله مخلصا له الدين[4] » ، وقال سبحانه « إلا الذين

---

(١) سورة البينة الآية ٥
(٢) سورة الروم الآية ٣٠
(٣) سورة النور الآية ٢
(٤) سورة الزمر الآية ٢

تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما »[١] .

فالدين هنا مراد به العبادة والخضوع ..

ثانيا : الدين قد يضاف إلى البشر ، وقد جاء فى القرآن مضافا إلى هذه الطوائف :

١ ــ المؤمنين فى مثل قوله تعالى « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون »[٢] فالضمير فى قوله : « دينكم » يعود على المؤمنين أمة محمد ﷺ .

٢ ــ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، قال تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »[٣] .

فالضمير فى قوله . «دينكم » يعود على المخاطبين من أهل الكتاب وهم النصارى ، وقال تعالى « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم »[٤]

فالضمير فى قوله « دينكم » يعود على طائفة من أهل الكتاب هم اليهود

٣ ــ المشركين . . فى مثل قوله تعالى « لكم دينكم ولى دين »[٥] فالضمير فى قوله «دينكم» يعود على الكافرين المشركين عباد الأصنام .

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٦ (٢) سورة التوبة الآية ١٢
(٣) سورة النساء الآية ١٧١ (٤) سورة آل عمران الآية ٧٢،٧٣
(٥) سورة الكافرون الآية ٦

٤ — قوم فرعون .. فى مثل قوله تعالى « وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه . إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد[1] »

فالضمير فى قوله «دينكم» يعود على المخاطبين من قوم فرعون ..

وهنا تظهر مسألة مهمة وهى أن الدين فى البيان القرآنى عندما يضاف إلى البشر قد يكون حقا وقد يكون باطلا ، وقد يعنى التزاما صادقا بدين الله وقد يعنى اختراعا بشريا أو وهما إنسانيا يتناقض مع التوحيد والتشريع والعبادة كلها أو بعضها .

فالدين المضاف إلى البشر والذى يتناقض مع التوحيد جاء فى مثل قوله تعالى« لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ».

فدين النصارى المقصود هنا يتناقض مع التوحيد ويقوم على الشرك؛ والدين المضاف إلى البشر والذى يتناقض مع التشريع الإلهى جاء فى مثل قوله تعالى « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم»[2]

فدين المشركين هنا مراد به تقاليدهم وشرائعهم التى اخترعوها لأنفسهم .

والدين المضاف إلى البشر والذى يتناقض مع العبادة جاء فى مثل قوله تعالى : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين»فالدين هنا مراد به العبادة فهى فى جانب المشركين عبادة للأصنام وفى جانب الرسول عبادة لله

---

(١) سورة غافر الآية ٢٦ (٢) سورة الأنعام الآية ١٣٧

الملة :

لم تأت الملة فى البيان القرآنى مضافة إلى الله عز وجل ، وإنما جاءت مضافه إلى البشر بما يشمل الدين الصحيح والدين الفاسد .. ومن نماذج الدين الصحيح إضافة الملة إلى إبرهيم الخليل عليه السلام فى قوله تعالى : «ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين[١] :

وقوله جل شأنه ، وقالوا كونوا هودا أونصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين »[٢]

واضيفت الملة بمعنى الدين الصحيح إلى آباء يوسف عليه السلام فى قوله سبحانه « واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء »[٣]

وجاءت الملة فى البيان القرآنى بمعنى الدين الفاسد والاعتقاد الخاطىء مضافة إلى هؤلاء :

• المستكبرين من قوم شعيب قال تعالى : قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين »[٤]

• القوم الملحدين على عهد يوسف .. قال تعالى « إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون »[٥]

---

(١) سورة البقرة الآية ١٣٠
(٢) سورة البقرة الآية ١٣٥
(٣) سورة يوسف الآية ٣٨
(٤) سورة الأعراف الآية ٨٨
(٥) سورة يوسف الآية ٣٧

● المشركين على عهد أصحاب الكهف .. قال تعالى « إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً »[١]

● الكافرين من أقوام الأنبياء على مدى الأجيال .. قال تعالى « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين »[٢]

● اليهود والنصارى .. قال تعالى « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير »[٣].

وبهذا يتبين أن الملة تشمل الدين كله سواء كانت له صلة بالوحى الإلهى أم ليست له صلة .

النحلة :

لم ترد النحلة فى القرآن المجيد بأى معنى يتصل بالدين أو الفكر وإنما جاءت بمعنى واحد هو العطاء الخالص فى قوله تعالى « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة »[٤] أى عطية خالصة ، فالمهر فى الزواج ليس مقابل المتعة لأنها مشتركة بين الزوجين ، وليس مقابل تأثيث المنزل فهو واجب الزوج وحده بقدر طاقته ، وإنما المهر رمز للوفاء والمحبة يقدمه الرجل عطية خالصة ولهذا كان أخفهن مهوراً أكثرهن بركة فالرمزية تتحقق بأى شىء ولو كان خاتماً من حديد ..

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٠ (٢) سورة إبراهيم الآية ١٣
(٣) سورة البقرة الآية ١٢٠
(٤) سورة النساء الآية ٤

الدين والملة والنحلة

٣ — في الاصطلاح

رأى الشهرستاني :

قسم الشهرستاني مذاهب العالم إلى :

(ا) أرباب الديانات والملل .

(ب) أهل الأهواء والنحل .

فجعل الدين والملة مقابلين للهوى والنحلة ، وعرف الدين بأنه الطاعة والانقياد وقال :

فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد ... وعد أرباب الديانات والملل بأنهم المسلمون وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن لهم شبهة كتاب كالمجوس . .

وعرف الملة بأنها اجتماع الإنسان مع بنى جنسه على شكل يحصل به التمانع والتعاون ، ولا يكون ذلك إلا على منهاج وشريعة وسنة يضعها الله تعالى ويرسل بها أنبياءه .

ووصف الشهرستاني أهل الأهواء والنحل بأنهم المستبدون بالرأى ، المخترعون له ، الواضعون حدودا عقلية للتعايش بين الناس .. وعد من هؤلاء الصابئة والفلاسفة وآراء العرب في الجاهلية وآراء الهند [١] ..

* * *

---

(١) راجع الملل والنحل للشهرستاني — تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ص ٣٦ ، ٣٩ ، ص ٢٥٧ ط دار الفكر .

رأى جمهور المسلمين :

شاع بين علماء المسلمين تعريف اصطلاحى للدين ، ذكر فى كثير من الكتب ، وساقه بطرس البستانى فى دائرة معارفه(١) ، وتكلم عنه الشيخ الباجورى فى شرحه على الجوهرة (٢) .

ونظرا لدقة شرح الشيخ الباجورى وتفصيله فنحن نسوقه كما ورد ..

قال الناظم الشيخ إبراهيم اللقانى :

الحمد لله على صلاته ثم سلام الله مع صلاته
على نبى جاء بالتوحيد وقدخلا الدين عن التوحيد
فأرشد الخلق لدين الحق بسيفه وهديه للحق

قال الشارح الشيخ الباجورى :

وعبارته تقتضى أن ماعليه عبدة الأصنام يسمى دينا ، وهو كذلك ، لأن الدين مايتدين به ولو باطلا ، فهو يطلق على الدين الحق وعلى الدين الباطل ، كما يدل عليه قوله تعالى « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه(٣) » .

والدين يطلق لغة على عدة معان منها الطاعة والعبادة والجزاء والحساب . ولهم فيه اصطلاحا تعريفان :

أحدهما مختصر وهو : ماشرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام .. وسمى دينا لأننا ندين له وننقاد ..

---

(١) دائرة المعارف للمعلم بطرس البستانى حـ ٨ ص ٢٣٦ .
(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد .
(٣) سورة آل عمران — الآية ٨٥ .

ويسمى أيضا ملة من حيث إن الملك يمليه على الرسول ، وهو يمليه علينا ، ويسمى شرعا وشريعة من حيث إن الله شرعه لنا أى بينه لنا على لسان النبى ﷺ ، فالله هو الشارع حقيقة والنبى شارع مجازا ..

وثانيهما مطول وهو :

وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ماهو خير لهم بالذات .

فقولهم « وضع » أى موضوع ، فهو مصدر بمعنى اسم المفعول أى شىء موضوع بقطع النظر عن أن يكون حكما أو غيره ..

وقولهم « إلهى » أى منسوب للإله ، وهو الله تعالى ، وخرج به الوضع البشرى ظاهرا ، وإلا فالواضع لجميع الأشياء هو الله فى الحقيقة .. وذلك (١) نحو الرسوم السياسية أى القوانين التى ترجع إليها سياسة العالم ، كعلم إصلاح المنزل وحسن العشرة مع الأهل والإخوان ، والأوضاع الصناعية كالتجارة والقزازة وغير ذلك ..

وقد كان الحكماء القدماء يؤلفون كتبا فى سياسة الرعية وإصلاح المدن ، فيحكم بها ملوك من لا شرع لهم .

فإنه وإن كان الخالق لكل الأشياء هو الله تعالى إلا أن البشر لهم فى هذه كسب ..

لا يقال : يلزم على ذلك أن أحكام الفقه الاجتهادية ليست من الدين ، لأن البشر — أعنى المجتهدين — لهم فيها كسب ، وإنما منه ما ورد نصا لا خلاف فيه :

لأنا نقول : هى من الدين قطعا ، وهى موضوع إلهى ، غاية الأمر أنه

---

(١) الإشارة تعود إلى الوضع البشرى .

تخفى علينا ، والمجتهدون يعانون إظهارها والاستدلال عليها بقواعد الشرع ولا مدخل لهم فى وضعها .

وقولهم « سائق » أى باعث ، لأن المكلف إذا ماسمع مايترتب على فعل الواجب من الثواب . أو على فعل الحرام من العقاب ، إنساق إلى فعل الأول وترك الثانى ، هكذا قالوا .

وخرج به الوضع الإلهى غير السائق كإنبات الأرض وإمطار السماء . وبحث(١) فى ذلك بأنه سائق لإصلاح المعاش .

فالأحسن التمثيل لغير السائق بالوضع الإلهى الذى لا إطلاع لناعليه كالذى تحت الأرضين فإن مالا نعرفه لايسوقنا لشىء .

وقولهم « لذوى العقول السليمة » أى لأصحاب العقول السليمة من الكفر ، والمراد سائق لهم فقط . وخرج به مايسوقهم وغيرهم من الحيوانات كالأوضاع الطبيعية التى تهتدى بها الحيوانات . وهى الإلهامات التى تسوق الحيوانات لفعل منافعها كنسج العنكبوت واتخاذ النحل بيوتا ، واجتناب مضارها كنفور الشاة من الذئب وغير ذلك . .

وقولهم « باختيارهم المحمود » خرج به الأوضاع السائقة لهم لا باختيارهم أو باختيارهم المذموم ، فالأولى كالآلام السائقة للأنين رغما ، وكالوجدانيات كالجوع والعطش فإنهما يسوقان إلى الأكل والشرب قهراً .

والثانية كحب الدنيا فإنه وضع إلهى يبعث ذوى العقول إلى ترك الزكاة باختيارهم المذموم .

ومتى كان الاختيار محمودا لايسوق إلا إلى خير ، فقولهم « إلى ما هو خير لهم » إنما ذكروه توصلا لقولهم « بالذات » فهو متعلق بخير . .

وذلك الخير الذاتى عبارة عن السعادة الأبدية والقرب من رب البرية ،

---

(١) اعتراض على المثال المذكور بأنه داخل فى الوضع الإلهى السائق.

وخرج بذلك صنعتا الطب والفلاحة فإنهما وإن تعلقتا بوضع إلهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود ، لكن لا إلى الخير بل إلى صنف من الخير ، وهو حفظ صحة أبدانهم بالحكمة والعقاقير أى أجزاء الأدوية ، وبنحو الأغذية .

وحاصل هذا التعريف مع طوله :

أن الدين هو الأحكام التى وضعها الله ، الباعثة للعباد إلى الخير الذاتى. ثم ساق الشيخ الباجورى هذه الفائدة فقال :

أمور الدين أربعة كما قاله النووى ، أى علامات وجوده ، وقد نظمها بعضهم فقال :

أمور الدين صدق قصد وفا العهد وترك لمنهى كذا صحة العقد

فصدق القصد : أداء العبادة بالنية والإخلاص .

وفاء العهد : الاتيان بالفرائض .

وترك المنهى : اجتناب المحرمات .

وصحة العقد : جزمه بعقائد أهل السنة .. اه .

* * *

رأى الدكتور دراز :

عرض الدكتور محمد عبد الله دراز التعريف الإسلامى المشهور القائل :[1] « الدين وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل .

وعرض نماذج من تعريفات الغربيين للدين مثل :

● تعريف كانت : الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية .

---

(١) الدين — بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٢٩ .

• وتعريف ماكس ميلر : الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع إلى اللانهائى ، هو حب الله .

• وتعريف ريفيل : الدين هو توجيه الإنسان سلوكه وفقا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية ، يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ، ويطيب له أن يشعر باتصاله به .

• وتعريف إميل دوركايم : الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة ، اعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية تسمى الملة . .

وبعد عرض هذه التعريفات علق الدكتور دراز قائلا[1] :

من هذا العرض يتبين أن حقيقة الدين لاتكفى فى تحديدها فكرة الاعتقاد بإطلاق أو فكرة الخضوع من حيث هى ، وأنه لابد من إضافة قيد أو قيود أخرى تحددها بإبراز عناصرها الجوهرية » .

وانتقد الدكتور دراز التعاريف الإسلامية وغير الإسلامية بأن الجمهرة الغالبة منها قد جاوزت الحد فى التحديد حتى حصرت مسمى الدين فى نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحى السماوى . .

ثم ساق الدكتور دراز تعريفاً ارتضاه ضمنه عناصر رئيسية فقال[2]:

الدين هو الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات ، غيبية ، علوية ، لها شعور واختيار ، ولها تصرف وتدبير للشئون التى تعنى الإنسان ، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية فى رغبة ورهبة ، وفى خضوع وتمجيد .

---

(١) ص ٣٢ (٢) ص ٤٩

وبعبارة موجزة هو :

الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة .

هذا إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين .

أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجية فنقول :

هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية ، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها » .



ولعل هذا التعريف الذي اختاره الدكتور دراز يلتقي مع تعريف قدمه يوسف كرم ومراد وهبة ويوسف شلالة، ونقل في المعجم الوسيط فقالوا[1] : الدين يعبر عن المطلق في إطلاقه ، وعن المحدود في محدوديته ، وعن العلاقة بينهما .

ولهذا يتصف أي دين بما يأتي :

(ا) ممارسة شعائر وطقوس معينة .

(ب) الاعتقاد في قيمة مطلقة لا تعدلها آية قيمة أخرى .

(ح) ارتباط الفرد بقوة روحية عليا ، وقد تكون هذه القوة متكاثرة أو آحادية . . . » .

(١) الصحاح في اللغة والعلوم — معجم وسيط — إعداد نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي ص ٣٢٧ ط دار الحضارة العربية — بيروت .

تعليق ورأى

أولا : لامشاحة فى الاصطلاح :

إن اصطلاح عالم لنفسه قد يختلف عما يصطلح عليه علماء آخرون، وإن اصطلاح فن قد يتباين مع إصطلاح فن آخر .. فلامشاحة فى الاصطلاح وعلى سبيل المثال فإن المؤسسات التعليمية تقسم المواد الدراسية إلى قسمين :

(أ) علمى . (ب) أدبى .

ونريد بالمنهج العلمى دراسة مواد الطبيعة والكيمياء والهندسة والجبر ... إلخ .

ونريد بالمنهج الأدبى دراسة مواد اللغات والدين والتاريخ والجغرافيا ... إلخ .

وهذا الاصطلاح لكلمتى علمى وأدبى لاينفى أن تكون دراسة اللغة علماً ودرسة الدين علماً ودراسة التاريخ علما . . وهكذا .

بل إن كلمة « أدب » فى مجال الدراسة اللغوية يختلف مفهومها عما يراد به فى مجال الأخلاق ..

فالأدب فى الدراسة اللغوية يعنى الأسلوب الرائق والكلمة الراقية والفكرة السامية فى صياغة المقال أو القصة أو الرواية أو المسرحية . .

والأدب فى مجال الأخلاق يعنى نبل السلوك وكرم الشمائل ، وحسن السيرة . .

وهناك ألفاظ كثيرة نقلت من معان عامة إلى معان خاصة أو استعملت

استعمالا معينا ، فلفظ الحيوان يطلق فى أصل وضعه على كل ما به الحياة فيشمل الإنسان وسائر الأنعام والدواب . لكن العرف خصه بغير الإنسان من فصائل الأنعام والسباع وذوات الأربع ، حتى إننا أصبحنا نواجه من العامة بانتقادات شديدة عندما نقول : الإنسان حيوان ناطق وذلك لأن المعنى الأول تناساه الناس ، ولم يعد يطرأ على الذهن لأول وهلة إلا المعنى الثانى الشائع . .

ثانيا : نقد رأى الشهرستانى :

إن رأى الإمام الشهرستانى الذى جعل أرباب الديانات والملل فى مقابلة أهل الأهواء والنحل — هو اصطلاح خاص به ، لكنه لا يمثل وضع اللغة ولا استخدام الشرع . .

فاللغة لا تمنع إطلاق لفظ الدين أو الملة على اعتقادات الوثنيين والصابئة وغيرهم ممن جعلهم الشهرستانى أهل أهواء ونحل . .

فالدين فى بعض معانيه اللغوية هو الطاعة والعادة والشأن والسيرة ، فعبادة الوثنى والصابىء لمعبوداتهم ، أو عاداتهم فيما يمارسونه من خصائص عقيدتهم يسمى دينا فى اللغة . .

وبما أن الملة قد تفسر بالدين والشريعة ، فهذه الأهواء والنحل تمنحها اللغة اسم الدين والملة . .

ويلتقى البيان القرآنى مع اللغة فى صحة هذا الإطلاق ، وقد عرفنا من قبل إضافة القرآن لفظ الدين والملة إلى البشر مؤمنهم وكافرهم ، ويكفى أن نقرأ قول الله تعالى : « لكم دينكم ولى دين »[1] .

---

(١) سورة الكافرون الآية ٦

وقوله سبحانه : « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا »[1] .

ثالثا : لزوم ما لا يلزم :

إن التعريف المشهور لدى جمهور علماء المسلمين عن الدين بأنه وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات — هو تعريف للدين الصحيح وليس تعريفا للدين بوجه عام .

والعودة إلى اللغة والبيان القرآنى أولى طالما نتحدث عن الدين بين البشر مؤمنهم وكافرهم . .

ومن هنا فإن كثرة القيود واختراع العناصر ليس بالأمر ذى البال ، وليس من الضرورة الفكرية أو العقدية ، ومتى كان اللفظ سهلا فى دلالته كان أكثر استعمالا وأقرب إلى الفهم .

فاشتراط التقديس أو ممارسة طقوس أو وضع صفات المعبود هو تضييق لواسع ولزوم لما لا يلزم .

فكل ما يعتقد يمكن أن يسمى دينا . قال الإمام القرطبى فى تفسير سورة الكافرون :

« وسمى دينهم دينا لأنهم اعتقدوه وتولوه » .

واستخدم الإمام ابن كثير فى تفسير سورة الروم لفظ ، الأديان الفاسدة ، فقال :

« إن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام ثم طرأ على بعضهم الأديان

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٣

الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية[١] .

وهناك حديث شريف يؤكد هذا التعبير ، فى مسند الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :

قيل لرسول الله ﷺ : أى الأديان أحب إلى الله تعالى ؟ فقال : «الحنيفية السمحة»

ولا شك أن المقصود بالأديان هنا كافة ما اعتقده الناس ..

وهناك عبارة شائعة تقول : الكفر كله ملة واحدة ..

وساق ابن كثير فى تفسيره ما يلى[٢] :

وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة ، «لكم دينكم ولى دين» على أن الكفر كله ملة واحدة ، فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به ، لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها بالشيء الواحد فى البطلان .

وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ «لا يتوارث أهل ملتين شتى» اهـ

والمذاهب الفلسفيــــة لدى أصحابها يمكن أن تسمى دينا ، فتلك معتقداتهم وآراؤهم التى يؤكدونها ، ويصرون عليها ، ويجادلون عنها .

ورأيت صاحب دائرة المعارف يستخدم لفظ الأديان الفلسفية فقال :[٣]

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ٣ صـ٤٣٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٥٦١

(٣) دائرة المعارف للمعلم بطرس البستانى جـ٨ صـ٢٣٧

تنقسم الأديان إلى أربعة أقسام كبرى وهي :

• الدين الإسرائيلي وأصحابه متفرقون في سائر أقطار الدنيا[1] .

• (الدين) المسيحي وأكثر أهله في أوربا

• (الدين) الإسلامي وأربابه في الممالك المحروسة وإيران والهند وبلاد العرب والتتر وشمال أفريقية وغيرها .

• (الدين) الوثني مع الأديان الفلسفية في الهند ، والصين ، واليابان وغينيا ، ومونوموتاتا ، وبلاد الكفرة في أفريقية . وبعض كنادا ، وبعض البرازيل ، وبارغواي وغيرها .

هذا وكافة النظم والقوانين يلحقها اسم الدين والملة لأنها شرائع تملى وتكتب .. قال تعالى « كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله »[2]

فالمراد بدين الملك شريعتـــه وقوانينه ، فيوسف عليه السلام جعل السقاية في رحل أخيه ، وهي إناء يشرب فيه ويكال للناس به ، مصنوع من ذهب أو فضة ..

ثم نادى بين القوم أن صواع الملك قد سرق ، وأقبل إخوة يوسف في دهشة مؤكدين أنهم لم يأتوا سارقين وإنما جاءوا طالبين النجـــدة والمعونة .

فعرض عليهم يوسف أن يرتضوا حكما من شريعتهم يطبق على السارق وقالوا : جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه .

---

(١) كان ذلك قبل وقوع المؤامرة الدولية الكبرى التي مكنت اليهو في أرض فلسطين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

(٢) سورة يوسف الآية ٧٦

أى أن السارق يدفع إلى المسروق منه يتصرف فيه كما يشاء ، فالسارق يصبح رقيقا للمسروق منه ..

ولم يكن هـذا الحكم فى دين الملك أى شريعته وقوانينه التى تحكم مصر ، ولكن يوسف عليه السلام بذكائه وحيلته استطاع أن يلزم إخوته بما التزموه على أنفسهم وبأنفسهم ..

رابعاً : المفهوم الميسر :

انطلاقا مما تقدم وتأسيسا على ماسبق نقرر مطمئنين مايلى :

إن الدين والملة يطلق كل منهما على رسالات الوحى الإلهى وعلى الشرك وعلى الإلحاد ، وعلى كل مايعتقد فى مجال الفكر الإنسانى ويكفى أن نقرأ قول الله تعالى :

« إنى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون »(١)

فهؤلاء القوم ملحدون لا يعترفون بالله ولايقرون بالآخرة مع ذلك لحقهم وصف الملة .

وإن الانتحال أو النحلة قد يكون اعتمادا على الفكر والذهن وقد يكون فى وحى محرف وتنزيل امتدت إليه أيد آثمة ..

فالطبيعيون الدهريون ..

والفلاسفة الإلهيون ..

واليهود والنصارى والمجوس ..

والوثنيون على اختلاف طوائفهم ..

---

(١) سورة يوسف الآية ٣٧

كل هؤلاء يمكن تسميتهم أرباب دين وأهل ملة وأصحاب نحلة ..

والمسلمون وحدهم المخصوصون باسم الدين والملة فقط ولا يلحقهم وصف النحلة .. فدينهم الحق وملتهم الحنيفية السمحة ..

خامساً : بين الدين والإيمان :

إن الذين يضعون الضوابط ويحددون العناصر لمفهوم الدين فاتهم أن يفرقوا بين مفهوم الدين ومفهوم الإيمان ..

فالإيمان أخص من الدين ، لأن الدين يشمل الإيمان بالله والإلحاد به سبحانه ، ويشمل الوحى المنزل والنحلة المخترعة ..

والإيمان لا يكون إلا بإله ، أيا كان تصور البشر عن هذا الإله ، فهناك إيمان صحيح عبرت عنه الآية الكريمة :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »[1]

وهناك ألوان أخرى من الإيمان تبعد عن هذا المنهج الصحيح وتختلف معه فى مدى استيعابها لهذه الأركان أو فى تصورها لهذه الجوانب، وجاء البيان القرآنى بنماذج لهذه الأنواع من الإيمان منها :

* الإيمان بالشرك .. قال تعالى :

« وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »[2]

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٦

وقال جل شأنه :

« ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير »[١] .

* الإيمان بالجبت والطاغوت .. قال تعالى :

« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا »[٢]

فالجبت والطاغوت كل ما عبد من دون الله

* الإيمان بالباطل .. قال تعالى :

« أفبا لباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون »[٣]

* الإيمان ببعض الكتاب .. قال تعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب .. »[٤]

* الإيمان ببعض الرسل .. قال تعالى :

« إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا أليما »[٥]

* الإيمان ببعض ما أنزل الله .. قال تعالى :

---

(١) سورة غافر الآية ١٢
(٢) سورة النساء الآيه ٥١.
(٣) سورة النحل الآية ٧٢
(٤) سورة البقرة الآية ٨٥.
(٥) سورة النساء الآية ١٥٠، ١٥١

« وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم .. »[1]

ومن هذا يتبين أن الذين عرفوا الدين ووضعوا له ضوابط التقديس والطقوس قد نقلوا مفهوم الإيمان إلى مفهوم الدين ..

إن هناك جبهتين متقابلتين :

جبهة المؤمنين   وجبهة الملحدين

ويجمع الجبهتين اسم الدين بمفهومه الواسع ومدلوله الشامل لكل ما يعتقد فى مجال الفكر الإنسانى .

(١) سورة البقرة الآية ٩١

الفصل الثاني

موجز تاريخ الأديان

- أديان النبوة
- أديان الوثنية
- أديان الفلسفة

أديان النبوة

١ ــ الوحي الإلهي

ــ الاصطفاء

ــ الاصطلاح الشرعي

٢ ــ مسيرة الأنبياء :

٣ ــ التفاضل بين الأنبياء

٤ ــ الإيمان بأصول الرسالات

٥ ــ الكتب المقدسة

ــ الإيمان بالكتب في القرآن

ــ صحف إبراهيم

ــ توراة موسى

ــ زبور داود

ــ إنجيل عيسى

الوحى الإلهى

الاصطفاء :

« الحمد لله رب العالمين » .

شهادة حق يؤمن بها الناس جميعاً بلسان المقال أو بلسان الحال، وإن عناية الله التى شملت الكائنات كلها ، ورحمته التى وسعت كل شىء — لحقيق بها أن تتعهد الإنسان فى أمر معاشه كما تعهدته فى أمر خلقه .

والحياة تحتاج إلى قانون .

والقانون لابد أن يصدر من جهة عليا حتى يحظى بالقبول والتنفيذ.

والإنسان كفرد، والإنسان كمجتمع قاصر عن أن يحيط بكل ما ينفعه، ولا يملك قوة الإلزام الحقيقية التى تحمى سلطة القانون .

فالناس فى حاجة إلى قانون إلهى ينظم أمر معاشهم ..!

ثم إن الإنسان لم يخلق للعدم وإنما خلق للبقاء ، والحياة الدنيا مقضى عليها بالزوال حتما . . فما السبيل لسعادة الآخرة ؟

إن البشر فى ضرورة ملحة للتعرف على الخالق ومعرفة العبادة الحقة للمعبود الحق . .

إن التلقى عن الله فى أمر المعاش والمعاد هو الحل الأول والأخير لمشكلة الإنسان .

لكن كيف التلقى ؟

هل كل إنسان مهيأ بفطرته واكتسابه لأن يستمع للملأ الأعلى ويأخذ عن العلى الأعلى ؟ .

إن كل الدلائل والوقائع تمنع هذا العموم ، فالعقل الإنسانى على درجات ، والعلم البشرى على تفاوت .

إذن البعض من الناس يمكنه أن يتلقى عن الله .

تأتى تساؤلات :

- من يكون هذا البعض ؟
- ما مؤهلات هذا التلقى ؟
- من يضع هذه المؤهلات ؟
- من يحكم باستحقاقها ؟

إن الجواب لا ننتظره من البشر، وإلا فسينقلب الأمر ويحكم المخلوق على الخالق .

إن الاصطفاء الإلهى هو الأمر المعقول فى هذا الجانب ،وصدق الله حيث يقول :

« الله أعلم حيث يجعل رسالته »[1] .

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس »[2] .

« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول »[3].

«وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ، فآمنوا بالله ورسله ، وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم»[4].

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٤
(٢) سورة الحج آية ٧٦
(٣) سورة الجن آية ٢٦ ، ٢٧
(٤) سورة آل عمران آية ١٧٩

الإصطلاح الشرعي للوحي :

من اليسير أن نتعرف على مفهوم الوحي بعد هذه المقدمة ، فما هو إلا صلة بين الرب سبحانه وتعالى وبين من يصطفيه من خلقه ليتحمل أمانة التبليغ عن الخالق إلى الخلق .

هذه الصلة أو تلك العلاقة يصحبها علم ضروري بمصدرها ويصاحبها ظواهر نفسية وبدنية للمصطفى ، ويتبعها آثار توجيهية يعلنهـــا المصطفى للناس حوله .

وقد عبر ابن خلدون عن هذا المفهوم بقوله[1] :

إستغراق في لقاء الملك الروحاني بإدراك الأنبياء المناسب لهم ، الخارج عن مدارك البشر بالكلية ، ثم يتنزل إلى المدارك البشرية . .

كل ذلك في لحظة واحدة بل في أقرب من لمح البصر .

يعني ابن خلدون أن الوحي يملك على النبي قلبه وقالبه ، ويستجمع الشعور كله ويوجهه نحو هذا اللقاء الفريد بين الإنسان المصطفى والملك الروحاني .

ويكون النبي في هذه الحال إدراك خاص ووسيلة معرفة غير ما ألفه البشر من الحواس والعقـــل ، ثم تحصل مرحلة عبور الوحي من حالته الروحية إلى حالة حسية وعقلية يدركها النبي ويبلغها البشر في صورة أمر أو نهي أو خبر .. إلخ .

ولعل ابن خلدون يعبر عن نوع مهم وشائع من أنواع الوحي وهو لقاء الملك ، وإلا فالوحي على صور جمعتها الآية الكريمة في قوله تعالى :

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧ ط المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣١١ هـ .

« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم »[1] .

فالتلقي عن الله تعالى يكون على أنواع : « الأول : إلا وحياً » ، والمقصود هو الإلقاء فى قلب النبي بكلام خفى يدرك بسرعة ويعلم على جهة اليقين مصدره الإلهى .

وهذا الإلقاء — على جهة العموم — يقع يقظة ونوماً ، مثال ذلك الإلهام إلى أم موسى فى قوله تعالى «وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه»[2].

وحكى القرآن عن إبراهيم عليه السلام قوله «يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى[3] »

وهذا النوع ليس خاصاً بالأنبياء بل قد يقع لغيرهم ، فأم موسى لم تكن نبية ، والرؤيا الصالحة أو الصادقة تحصل لعامة الناس وقد حصلت لملك مصر — على عهد يوسف عليه السلام — ولم يكن نبياً ولا ولياً . .

والآية الكريمة فى سورة الشورى لا تتحدث عن خصائص الأنبياء وإنما عبرت عن التلقى مطلقاً ، والفرق بين تلقى الأنبياء وتلقى غيرهم أن لدى الأنبياء يقينا بمصدره الإلهى .

الثانى : « أو من وراء حجاب » .

والمعنى أن كلام الله تعالى يصل مسموعا إلى النبي دون رؤية للمولى عز وجل ، فالنبي يسمع مباشرة دون واسطة ، كما حدث لموسى عليه السلام فقد كلمه الله ولكن منعه الرؤية حين طلبها .

---

(١) سورة الشورى آية ٥١
(٢) سورة القصص آية ٧
(٣) سورة الصافات آية ١٠٢

قال سبحانه «ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ، قال رب أرني أنظر إليك ، قال لن تراني ....»[1] .

وقد اختلف العلماء في حقيقة كلام الله تعالى وذهبوا مذاهب شتى ، جمعها الشيخ ابن أبي العز الدمشقي في تسعة أقوال[2] .

أحدها : أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معان ، إما من العقل الفعال عند بعضهم أو من غيره ...

وهذا قول الصابئة والمتفلسفة .

ثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه وهذا قول المعتزلة . .

ثالثها : أنه معنى واحـــد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار ، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وإن ع . عنه بالعبرانية كان توراة ...

وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره .

رابعها : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل ...

وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث .

خامسها : أنه حروف وأصوات ، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما ... وهذا قول الكرامية وغيرهم .

سادسها: أن كلامه يرجع إلى مايحدثه من علمه وإرادته ، القائم بذاته . وهذا يقوله صاحب المعتبر ، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ ط المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٩ هـ .

سابعا : أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه فى غيره ، وهو قول أبى منصور الماتريدى .

ثامنها : أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه فى غيره من الأصوات . .

وهذا قول أبو المعالى ومن اتبعه .

تاسعها : أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما . .

وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة . . اه

ونحن نرى أن حقيقة الذات والصفات فوق قدرة العقل البشرى، وكل ما نعلمه بيقين أن الله تعالى لم يكن له كفوا أحد ، وليس كمثله شىء ، وكل ما طرأ ببالك فالله بخلاف ذلك . .

الثالث : « أو يرسل رسولا » .

والرسول هو ملك الوحى المخصص للتبليغ عن الله ، والسفارة بينه وبين رسله وأنبيائه ، وهو جبريل عليه السلام .

وقد عبر القرآن المجيد عن ملك الوحى بتعبيرات متعددة ، فذكره بالاسم العلم فى بعضها ، وذكره بأوصاف تليق بمهمته المقدسة فى البعض الآخر ، وهذه التعبيرات هى :

١ — قال الله تعالى : « قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين »[١] .

---

(١) سورة البقرة آية ٩٧

وذلك فى سياق الرد على اليهود وبيان زيف اعتقادهم ومزاعمهم الفاسدة حول الله وملائكته ورسله ..

وروى فى أسباب النزول أن اليهود قالوا للنبي ﷺ :

إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة والوحى فمن صاحبك حتى نتابعك ؟ !

قال عليه الصلاة والسلام : جبريل .

قالوا : ذاك الذى ينزل بالحرب وبالقتال ، ذاك عدونا ، لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالقطر وبالرحمة تابعناك .. !!

وحول اسم جبريل قال الإمام السهيلى[1] :

« اسم جبريل سريانى ، ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز ، هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضا ، والوقف أصله .

وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو « إيل » .

وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم فى أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة فى كلام العجم يقولون فى غلام زيد : زيد غلام ، فعلى هذا يكون « إيل » عبارة عن العبد ، ويكون أول الاسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال فى حديث ابن عباس : جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبد الله وعبد الرحمن .

ألا ترى أن لفظ « عبد » يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة ؟ ! !

---

(١) الروض الأنف جـ ١ ص ٢٧٢

ثم قال الإمام السهيلي :

واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه ، وإن كان أعجميا ، فإن الجبر هو إصلاح ما وهى، وجبريل موكل بالوحى وفي الوحى إصلاح ما فسد ، وجبر ما وهى من الدين .

ولم يكن معروفا بمكة ولا بأرض العرب ، فلما أخبر النبي ﷺ خديجة به انطلقت تسأل من عنده علم من الكتاب كعداس وبحيرى الراهب فقالا لها :

« قدوس .. قدوس .. أنى لهذا الاسم أن يذكر في هذه البلاد؟!! » .

٢ — قال الله تعالى :

« قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين »[1] .

أى نزل بالقرآن جبريل منجما لحكم جليلة ..

والقدس — بسكون الدال وضمها — الطهر ، اسم ومصدر ، وإضافة الروح إلى القدس كما يقال : حاتم الجود ، والمراد الروح المقدس ، وحاتم الجواد ..

٣ — قال جل شأنه :

« فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً »[2] .

أى أرسل الله إلى مريم البتول جبريل عليه السلام ليطمئن فؤادها ، ويعلمها مسبقا بما اختصها الله به من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، فتمثل لها جبريل بشراً سوياً لتأنس بحديثه ، إذ لو رأته على صورته الحقيقية لنالها الفزع الأكبر .. والإضافة في « روحنا »

---

(١) سورة النحل آية ١٠٢ (٢) سورة مريم آية ١٧

التشريف ، كما هي في قوله : « هذه ناقة الله »[1] ، وقوله : « وطهر بيتي للطائفين »[2] وقوله : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله »[3] .

٤ — قال عز وجل :

« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين »[4] .

أي نزل بالقرآن — على سبيل التدريج — جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ ليكون من المرسلين الذين يتحملون أمانة التبليغ عن الله مبشرين ومنذرين . .

ووصف جبريل فيما سبق بالقدس وهنا بالأمين ليجمع الحسنيين ، فهو طاهر في ذاته مبرأ من كل دنس وإثم ، وأمين فيما يمارسه من عمل وما يتحمله من رسالة . .

٥ — قال سبحانه :

« تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر »[5] .

أي أنه إذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى ، كما ورد بذلك الخبر .

وإطلاق لفظ الروح على جبريل لما يترتب على عمله من حياة القلوب والعقول بوحي الله ، وصلاح الأفراد والمجتمعات بشرائع الله . . وقد جرى العرف اللغوي على إطلاق الروح على عالم ماوراء الطبيعة وماليس من مادة العناصر . .

---

(١) سورة هود آية ٦٤ (٢) سورة الحج آية ٢٦
(٣) سورة البقرة آية ١١٤
(٤) سورة الشعراء — الآية ١٩٣ ، ١٩٤
(٥) سورة القدر — الآية ٤

٦ — قال جل شأنه :

« إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند العرش مكين ، مطاع ثم أمين »[1] .

فهذا القرآن كلام الله المنزل بواسطة ملك كريم له من القوة والمكانة الرفيعة والمنزلة السامية ما يؤهله لأمانة الوحى إلى الأنبياء ..

مسيرة الأنبياء :

بدأت المسيرة الطاهرة لأنبياء الله تعالى ورسله منذ الإنسان الأول، فكان آدم عليه السلام أول إنسان وأول نبى ، وحين تكاثرت الذرية وتباعدت الأماكن وانتشر الناس امتن الله عليهم بأنبياء ورسل حيثما كانوا ، يجددون العهد ، ويرفعون لواء الحق ، ويأخذون بأيدى البشر إلى سواء السبيل ، قال الله تعالى : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ، وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير »[2] .

ولسنا ندرى على وجه التفصيل عدد هؤلاء الأنبياء والرسل على مدى التاريخ الإنسانى . ولكن القرآن المجيد وهو يقص علينا القصص الحق حول الرسالات والرسل ذكر عدداً منهم عبرة لأولى الألباب ، قال الله تعالى : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك »[3] .

---

(١) سورة التكوير — الآية ١٩ : ٢١
(٢) سورة فاطر — الآية ٢٤ : ٢٦
(٣) سورة النساء — الآية ١٦٤

وقال جل شأنه « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك[1] » .

وجاءت آية من كتاب الله عز وجل أوردت أسماء ثمانية عشر نبياً هى قوله تعالى « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين »[2] .

وبقى عدد ذكره القرآن فى مواطن أخرى هم :

آدم وإدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل ومحمد صلى الله عليه وسلم، وفى نظم شعرى قيل :

فى تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر ويبقى سبعة وهمُ
إدريس، هود ، شعيب، صالح وكذا
ذو الكفل ، آدم ، بالمختار قد ختموا

وهناك خلاف حول ذى الكفل من هو ؟ وهل هو نبى أو لا ؟.

ونقول إن الله تعالى ذكر ذا الكفل أكثر من مرة ، ففى سورة

---

(١) سورة غافر — الآية ٧٨ .
(٢) سورة الأنعام — الآية ٨٣ : ٨٦ .

الأنبياء قال : «وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ، كل من الصابرين»[1] ، وفى سورة ص قال «واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار»[2] .

والكفل هو النصيب ، فمعنى ذى الكفل صاحب النصيب المضاعف من الثواب ، وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ ذى الكفل اسم لشخص وقيل وصف ، وادعى بعضهم أن ذا الكفل وصف لزكريا أو يوشع أو إلياس ، وهذا الادعاء غير مقبول لأن الله تعالى ذكر زكريا فى سورة الأنبياء بعد ثلاث آيات من آية ذى الكفل فقال «وزكريا إذ نادى ربه رب لاتذرنى فردا وأنت خير الوارثين[3]» .

وليس يعقل أن يراد به يوشع الذى هو اليسع فإن الله تعالى جمع بينهما فى آية سورة ص السابقة ، وإن كان يوشع فتى موسى فليس بنبى .

وليس يراد بذى الكفل إلياس لأنه مختلف فيه ، ويروى عن ابن مسعود أن إلياس هو إدريس ، وحيث ذكر إدريس فى سورة الأنبياء مصاحبا لذى الكفل فيكون غيره .

وذهب آخرون إلى أن ذا الكفل رجل صالح وملك عادل تكفل لنبى زمانه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم له ويقضى بينهم بالعدل ، فقيل ذو الكفل من الكفالة ، والراجح أن ذا الكفل نبى من الأنبياء بدلالة السياق القرآنى الذى ذكر فيه ، فما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبى[4].

---

(١) الآية ٨٥ (٢) الآية ٤٨

(٣) الآية ٨٩

(٤) راجع قصة ذى الكفل فى التفسير الكبير للرازى جـ٢٢ ص ٢١٠ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ ص ١٩١ .

وهناك حديث غريب رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين ، حتى عد سبع مرات ، ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال :

كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله ، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت ، فقال :

ما يبكيك ، أكرهتك ؟ .

قالت : لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط ، وإنما حملنى عليه الحاجة قال : فتفعلين هذا ولم تفعليه قط !! ثم نزل فقال : اذهبى بالدنانير لك ثم قال : والله لا يعصى الله الكفل أبدا ، فمات من ليلته ، فأصبح مكتوبا على بابه ، قد غفر الله للكفل » .

وقد علق الإمام ابن كثير على هذا قائلا :

هكذا وقع فى هذه الرواية « الكفل » من غير إضافة ، والله أعلم ، وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب ، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل ، ولم يقل ذو الكفل فلعله رجل آخر والله أعلم .

وإلى هنا يحسن أن نذكر الأنبياء الذين قصهم القرآن بترتيبهم الزمنى هكذا :

١ — آدم	٢ — إدريس	٣ — نوح	٤ — هود
٥ — صالح	٦ — إبراهيم	٧ — لوط	٨ — إسماعيل
٩ — إسحق	١٠ — يعقوب	١١ — يوسف	١٢ — شعيب

١٣ — أيوب ١٤ — ذو الكفل ١٥ — موسى ١٦ — هارون
١٦ — داود ١٨ — سليمان ١٩ — إلياس ٢٠ — اليسع
٢١ — يونس ٢٢ — زكريا ٢٣ — يحيي ٢٤ — عيسى
٢٥ — محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم .

التفاضل بين الأنبياء :

والأنبياء — بلا استثناء — يمثلون الإنسان الكامل ، فقد اختارهم الله تعالى واصطفاهم وأدبهم أحسن تأديب ، وعصمهم العصمة الكاملة ، وما ورد مما يخالف ذلك فهو مردود لمخالفته القطعى أو مأول تأويلا يتناسب والعصمة .

ومع علو مكانة الأنبياء جميعاً وسمو منزلتهم فإن بعضهم أفضل من بعض بنص قوله تعالى « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس »(١) .

وقال جل شأنه « وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا »(٢) .

فأفضل الأنبياء أولو العزم وهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، فقد جاهدوا جهاداً كبيراً ، وتحملوا البأساء والشدة وصبروا صبراً جميلا ، قال الله تعالى « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل »(٣) .

---

(١) سورة البقرة — الآية ٢٥٣ .
(٢) سورة الإسراء — الآية ٥٥ .
(٣) سورة الأحقاف — الآية ٣٥ .

وقال جل شأنه « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً »[١] .

فقد خص هؤلاء بالذكر لمزيد فضلهم وتكريم الله لهم .

وما ورد من النصوص نهياً عن التفضيل بين الأنبياء فمحمول على اعتقاد جانب النقص فى حق بعضهم ، وهو كفر يتنزه عنه المسلم لكن اعتقاد فضل الجميع ثم تمايزهم فى هذا الفضل فلا حرج فيه شرعاً بل هو منطوق النصوص .

فعندما استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال اليهودى فى قسم يقسمه : « لا والذى اصطفى موسى على العالمين » .

فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودى فقال : أى خبيث ، وعلى محمد ﷺ ؟ أى وهل اصطفى موسى على محمد عليهما الصلاة والسلام ؟ ، فجاء اليهودى إلى النبي ﷺ واشتكى ، فقال الرسول : « لا تفضلوا بين الأنبياء » ، وفى رواية « لا تفضلونى على الأنبياء » .

والمعنى أن حكم التفضيل إنما هو لله عز وجل ، وليس لبشر ، وما علينا إلا الانقياد والتسليم ، وليس التفضيل أمر عصبية وعرق وإنما هو أمر دين وخلق ، وليس التفضيل تخاصماً وتشاجراً وإنما هو تواضع وشكر لله ، وإذا كان سيدنا محمد ﷺ سيد ولد آدم فلا يحق لأحد أن يتخذ من ذلك وسيلة تعصب وبغض وكراهية .

وفى حديث آخر صحيح عن النبي ﷺ أنه قال : يعنى الله تبارك وتعالى : لا ينبغى لعبد لى — وفى رواية — لعبدى أن يقول : أنا خير من يونس بن متى عليه السلام .

---

(٢) سورة الأحزاب — الآية ٧ .

وللعلماء رأيان فى مرجع الضمير « أنا » :

الأول أن الضمير يعود على المتكلم أى لا ينبغى لعبد ما أن يقول إنه خير من يونس بن متى. فقد يتوهم بعض الجهال عندما يدرك بسطة علم أو عبادة أنه وصل إلى درجة يفوق فيها نبى الله يونس عليه السلام ، فإن الإنسان مهما بلغ فى عبادة أو علم لن يصل إلى درجة النبوة ، فلا شىء يعدلها ، والنبى — أى نبى — هو المثل الأعلى والعبد المصطفى الذى يفضل جميع البشر .

الثانى أن الضمير يعود إلى سيدنا محمد ﷺ ، والمعنى أنه لا ينبغى لأحد أن يعتقد تفضيلا لسيدنا رسول الله يجعله يحقر يونس بن متى عليه السلام نتيجة موقفه حين ذهب مغاضباً وترك قومه . فما جرى ليونس عليه السلام لا يحط مثقال ذره من النبوة ، فحسنات الأبرار سيئات المقربين .

وعلى هذا فالأنبياء جميعا أفضل البشر ، وأولو العزم أفضـــل الأنبياء ، ومحمد ﷺ أفضل أولى العزم ، وقد جاء فى صحيح الحديث « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع » .

وفى حديث آخر : قال عليه الصلاة والسلام « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون » .

الإيمان بأصول الرسالات :

وقد حدد القرآن المجيد حقيقة الإيمان الواجب شرعاً على كل مكلف في كثير من آياته ، وعلى سبيل المثال قال تعالى :

« قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ،لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[1] »

فقد بدأت هذه الآية الكريمة بإثبات الإيمان بالله تعالى باعتباره أصلا للإيمان بالنبوة ، ثم قدمت الإيمان بالوحى لسيدنا محمد ﷺ باعتباره المصحح لأوهام أهل الكتاب وتحريفاتهم ، ثم ذكرت الإيمان بالوحى لإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط باعتبارهم منشأ أهل الكتاب من يهود ونصارى ، وإليهم يرجع نسبهم ودينهم ، ثم خصصت ما أوتى موسى وعيسى باعتبارهما أصحاب الرسالتين الأخيرتين قبل رسالة محمد ﷺ ، فاليهود يقفون عند شريعة موسى ، والنصارى يقفون عند شريعة عيسى .

ثم عممت الآية ضرورة الإيمان بجميع الأنبياء السابقين من نعرف ومن لا نعرف على وجه الإجمال .

ثم جاءت الآية التالية عقب هذه الآية فأعلنت الحقيقة الكبرى المتمثلة فى طريق النجاة الأوحد والوحيد فقالت «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »[2] .

---

(١) سورة آل عمران — ٨٤ (٢) سورة آل عمران — ٨٥.

والأنبياء يكملون الرسالة الإلهية للبشر ، كل فى زمانه ومكانه حتى وصلت الرسالة إلى ختامها ببعثة محمد ﷺ . فهم لبنات بناء عال وصرح مشيد ، يشد بعضه بعضاً . وفى صحيح الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «مثلى ومثل الأنبياء قبل كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه إلا موضع لبنة فيه ، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

إن الرسالات الإلهية التقت كلها على أصول العقيدة والعبادة والأخلاق ، فكل نبى دعا قومه إلى التوحيد الخالص... قال الله تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »[1] .

واشتركت العبادة والأخلاق فى إطارها العام بين جميع الرسل... قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[2].

وهذا المعنى هو المشار إليه فى قول رسول الله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات[3] ديننا واحد » .

وما وراء ذلك من تفصيلات الأحكام والعبادات والشرائع فتلك قضية تخضع لظروف الزمان والمكان ، فما يصلح لأمة قد لا يتناسب مع أمة أخرى ، بل ما يصلح لأمة فى زمن قد لا يستمر لزمن آخر .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥ (٢) سورة البقرة الآية ٨٣

(٣) بنو العلات أولاد الرجل من نسوة شتى

والحكمة واضحة فى نسخ الشرائع بعضها لبعض ، فإن الطبيب — ولله المثل الأعلى — قـد يصف دواء لمريض ولا يصفه لمريض آخر يتشابه معه فى المرض ، وقد يصف دواء لمريض فى وقت دون آخر ، ولمدة لا يتجاوزها...

فالله تعالى له الخلق والأمر ، وهو أعلم بعباده ، وله الحكمة البالغة ، قال تعالى « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »[1].

فرسالات الله تمثل أطوار مناهج التربية الإلهية لبنى الإنسان ، فقد حرمت رسالة موسى عليه السلام أشياء كثيرة على بنى إسرائيل ... قال تعالى « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقرة والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون »[2].

ثم جاء عيسى عليه السلام مناديا فى قومه — كما حكى القرآن — :

« ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم »[3] .

وعلى حين فترة من الرسل أشرقت الأرض بنور ربها ، وجاء محمد ﷺ رسولا نبياً « يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم »[4] .

---

(١) سورة الملك — الآية ١٤ (٢) سورة الأنعام — الآية ١٤٦

(٣) سورة آل عمران — ٥٠ (٤) سورة الاعراف — الآية ١٥٧

ولمزيد من التفاصيل حول أديان النبوة راجع كتابنا « الرسول والوحى » ط المؤسسة العربية الحديثة ، وكتابنا « فى نور العقيدة الإسلامية » بالمطبعة المحمدية

الكتب المقدسة

الإيمان بالكتب فى القرآن :

أنزل الله تعالى على بعض المصطفين من عباده المرسلين كتبا تتضمن المنهج الإلهى لإصلاح الحياة والأحياء ، والإيمان بهذه الكتب جزء من قضية الإيمان العام الذى يتحقق به إسلام المسلم وإيمانه ...

وقد أكد القرآن المجيد ضرورة الإيمان بما أنزل الله من كتب فى مواطن متعددة من المصحف الشريف... قال تعالى « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير »(١) .

فإيمان الرسول والمؤمنين ثابت ومتحقق بهذه الاركان جميعاً ...

وفى تفصيل محدد يقول الله تعالى « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٢) .

فالإيمان مرتبط بكل ما أنزل الله على جميع أنبيائه ، ولا يمكن تجزئة هذا الإيمان أو الاختيار فيه والانتقاء...

---

(١) سورة البقرة — الآية ٢٨٥

(٢) سورة البقرة — الآية ١٣٦

وقد أطلق القرآن لفظ «الكتاب» على ما جاء به الأنبياء، لأنه يكتب ويحفظ ويتداول، فهو مكتوب ومسجل فى قراطيس وألواح.

والقرآن نفسه كتاب بل هو الكتاب الخالد الذى لا يعتريه الشك والارتياب.. قال تعالى «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»[1].

وللعلماء الوقف فى هذه الآية موضعان:

الأول: ذلك الكتاب لا ريب فيه، أى لا شك فيه ثم يستأنف ويقرأ «هدى للمتقين» على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هو هدى.

الثانى: ذلك الكتاب لا ريب، أى هو الكتاب الحق بلا منازع، ثم يستأنف ويقرأ «فيه هدى للمتقين» فيكون الجار والمجرور خبرا مقدما.

ولأهمية القرآن العظمى جاء وصفه بأنه الكتاب المبين فى قوله تعالى: «تلك آيات الكتاب المبين»[2] لوضوح دلائله وإعجازه ومنهجه.

وبأنه الكتاب العزيز فى قوله تعالى «وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد»[3] لتفرده فى خصائصه الإعجازية والتشريعيه والعلمية.

وبأنه الكتاب الحكيم فى قوله تعالى «يس والقرآن الحكيم»[4]، لاشتماله على الحكمة البالغة فى كل ما جاء به.

---

(١) سورة البقرة — الآية ٢
(٢) سورة القصص — الآية ٢
(٣) سورة فصلت — الآية ٤١، ٤٢
(٤) سورة يس — الآية ٢، ٣

وبأنه الكتاب المبارك فى قوله تعالى ، وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون »[1] .

وفى قوله تعالى « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون »[2] .

وفى قوله تعالى « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب »[3] .

إن منافع القرآن وآثاره الإيجابية لإصلاح الحياة وبناء المجتمع وصنع الحضارة أعمق وأبقى وأعز من كل ما عرفه البشر وتنادى به المصلحون .

* * *

وجاء وصف التوراة بالكتاب فى كثير من آيات القرآن المجيد ، منها قوله تعالى : « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون »[4] .

وأطلق القرآن لفظ « الكتاب » على ما يشمل التوراة والإنجيل فى آيات متعددة ، منها قوله سبحانه « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »[5] .

وخاطب القرآن اليهود والنصارى بأنهم أهل الكتاب فقال :

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »[6] .

---

(١) سورة الأنعام — الآية ٩٢ (٢) سورة الأنعام — الآية ١٥٥
(٣) سورة ص — الآية ٢٩
(٤) سورة البقرة — الآية ٥٣
(٥) سورة البقرة — الآية ١٤٦
(٦) سورة المائدة — الآية ١٥

وفى وصف عام لكل ما تلقاه الأنبياء بأنه كتاب، جاء قوله تعالى:
«وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه»(١).

* * *

والوحى الإلهى الذى جاء به الأنبياء كان مستحفظا لدى الأحبار والرهبان، كى يبلغوه للناس، ويتحملوا أمانة نشره بين أقوامهم، لكنهم خانوا الأمانة ونقضوا العهد.. قال تعالى:

«وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب، وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون»(٢).

وينفرد القرآن المجيد بأن الله تعالى تولى حفظه والعناية به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإذا أراد الله أمرا يسر له أسبابه.. قال تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»(٣).

ولذا كان القرآن مهيمنا على ما سبقه من كتب، يرجع إليه فى الحل والحرمة، ويرجع إليه فى قضايا الإيمان والغيب، ويلتزم به العالمون فى نظام حياتهم ومنهج عبادتهم، وهو الفيصل فى أمر المعاش والمعاد.. قال تعالى: «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق»(٤).

* * *

(١) سورة آل عمران — الآية ٨١
(٢) سورة آل عمران — الآية ٧٨
(٣) سورة الحجر — الآية ٩
(٤) سورة المائدة — الآية ٤٨

إن الإيمان بما سبق كتب إنما هو فى حال نقائها الأول وصفائها الإلهى قبل أن تنال منها أيدى التحريف والتبديل والتغيير .

وما يسمى الآن بالتوراة أو الإنجيل ويتداول بين اليهود والنصارى ويطلقون عليه الكتاب المقدس ، ليس هو بالكتاب الحق ، وليس هو بالوحى الصحيح ، وليس هو بعينه ما بلغه موسى وعيسى عليهما السلام .

وما كان فيهما مما يخالف القرآن رددناه وأيقنا أنه تحريف باطل ، وما كان فيهما مما يحتمل الصدق والكذب توقفنا فى رده وقلنا :

« آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون »[1] :

* * *

والإيمان بالكتب المقدسة يكون تفصيلا فيما فصله القرآن وإجمالا فيما أجمله القرآن، والكتب التى جاء ذكرها بالتعيين هى :

صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى .

وهذه كلمة عامة عن كل منها .

صحف إبراهيم :

ورد ذكر صحف إبراهيم فى القرآن مرتين :

الأولى : فى سورة النجم فى قوله جل شأنه « أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى ، وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا ،

---

(١) العنكبوت — الآية ٤٦

والثانية فى سورة الأعلى فى قوله سبحانه « قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى، بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى، إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ».

والملاحظ أنه فى كلا الموضعين جاء التأكيد على أن صحف إبراهيم وموسى تضمنت قضايا الدين واليوم الآخر على سواء، فالإنسان مسئول مسئولية كاملة عن أعماله فى الدنيا، وسيلقى جزاءها فى الآخرة، وعلى المرء أن يدرك الحقيقة الغائبة وهى أن بقاءه فى الدنيا مرهون بإرادة الله تعالى وإلى أجل مسمى، وأن النشأة الأخرى حـــق، والحياة فيها دائمة خالدة، والناس يومئذ فريقان، فريق فى الجنة يضحك مسرورا وفريق فى السعير يبكى مذموما مدحورا.

* * *

التـــوراة :

أنزل الله تعالى التوراة على موسى فيها الهدى والنور لبنى إسرائيل، وهى الصحف أو الألواح التى تلقاها عندما جاء لميقات ربه.. قال تعالى: « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها »[1].

وتتضمن التوراة أحكاما تشريعية مختلفة، ففيها العبادات والمعاملات قال تعالى « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للناس حسنا، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون، وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون »[2].

---

(١) سورة الأعراف ـــ الآية ١٤٥ (٢) سورة البقرة ـ الآية ٨٣، ٨٤

وفيها أحكام العقوبات ، قال تعالى :

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون[١].

وفيها القصص والإخبار بالغيب ، قال تعالى :

وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا[٢].

وكانت أحكام التوراة فى مجملها شديدة تعـالج قسوة بنى إسرائيل وتمردهم وطغيانهم، فحرمت عليهم أشياء كثيرة من باب التأديب، والعقاب والزجر . قال تعالى « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما[٣].

وهذه الطيبات التى حرمت على اليهود فصلها القرآن فى سورة الأنعام فقال : «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون[٤].

ومن المشهور تحريم الصيد عليهم يوم السبت . وقد ابتلاهم الله به وتحايلوا عليه . قال الله تعالى : واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر ، إذ يعدون فى السبت ، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون[٥].

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٥ (٢) سورة الأسراء ، الآية ٤
(٣) سورة النساء ، الآية ١٦٠ ، ١٦١
(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٤٦ (٥) سورة الأعراف، الآية ١٦٣

وقد سجل القرآن على اليهود كفرهم بالتوراة وانحرافهم عنها وتبديلهم لها ، وشبههم بما يليق بحالهم فقال :

«مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يهدى القوم الظالمين[١]».

* * *

الزبور :

جاء داود عليه السلام فى سلسلة الأنبياء بعد موسى عليه السلام ، ومنحه الله تعالى كتابا هو الزبور، قال جل شأنه «وآتينا داود زبورا»[٢]

وقد اشتمل الزبور على مواعظ وحكم ولم يتضمن تشريعا وأحكاما. فإن شريعة موسى هى التى ظلت سائدة حتى مبعث النبوة الخاتمة ، وقد تفطن الجن لذلك فقالوا — كما حكى القرآن —: إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى[٣] ، ولم يقولوا من بعد عيسى أو داود .

وسجل القرآن من مواعظ الزبور وحكمه قوله تعالى : ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون[٤]،

والمراد بقوله «من بعد الذكر» أى من بعد التوراة ، فكل ماجاء به الأنبياء فهو ذكر وتذكير ، وخص الذكر هنا بالتوراة لأنها أقرب عهدا ، قال الله تعالى «فبما نقضهم ميثاقهم لعنـاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به[٥]».

وكلمة الزبور والزبر فى اللغة العربية تعنى كتب المواعظ والحكم كما

---

(١) سورة الجمعة ، آية ٥
(٢) سورة النساء ، آية ١٦٣
(٣) سورة الأحقاف ، آية ٣٠
(٤) سورة الأنبياء ، آية ١٠٥
(٥) سورة المائدة ، آية ١٣

قال تعالى «فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير»[1].

وكما قال تعالى «وإنه لفي زبر الأولين»[2] أي كتب الانبياء السابقين وتعني كلمة الزبور والزبر أيضا القطع والأجزاء كما في قوله تعالى «آتوني زبر الحديد»[3] أي قطع الحديد الكبيرة.

وتعني كذلك الأحزاب والفرق كما في قوله تعالى «فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون»[4].

* * *

الإنجيل :

أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام الإنجيل فيه الهدى والنور لبني إسرائيل، وهو مصدق للتوراة التي تعلمها المسيح في صغره، قال تعالى :

«إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس، تكلم الناس في المهد وكهلا، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل»[5].

ولم يكن الإنجيل ناسخا للتوراة إلا في قضايا قليلة، وظلت شرائع التوراة وأحكامها هي السائدة. قال الله تعالى :

«ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم»[6].

وقد ابتدع النصارى الرهبانية ولم تكن موجودة في الإنجيل، وظنوا أنها تقربهم إلى الله، ولكنهم انحرفوا بها وأساءوا فيها، وتحولت الأديرة

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٤
(٢) سورة الشعراء، آية ١٩٦
(٣) سورة الكهف، آية ٩٦
(٤) سورة المؤمنون، آية ٥٣
(٥) سورة المائدة، آية ١١٠
(٦) سورة آل عمران، آية ٥٠

إلى أماكن للفسق والفجور ، وأصبح الرهبان طغاة ومترفين، واحتكروا سلطة التشريع ، ونصبوا أنفسهم أربابا من دون الله .

قال الله تعالى « ورهبانية ابتدعوها — ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها»[1].

والاستثناء في قوله «إلا ابتغاء رضوان الله» استثناء منقطع والمعنى أنهم ابتدعوا الرهبانية ابتغاء رضوان الله ولم يفوا بما ألزموا أنفسهم به، وقال جل شأنه : يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله»[2].

* * *

وهناك نقطة ذات بال أكدها القرآن المجيد كثيرا ، وهي أن إبراهيم وإسحق ويعقوب ليسوا يهودا ولا نصارى، وإنما هم أنبياء اصطفاهم الله قبل أن تنزل التوراة والإنجيل . ولا يحق لليهود أو النصارى أن ينتسبوا نسب إيمان وتقوى إلى هؤلاء الأخيار المصطفين ، قال تعالى : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين»[3].

وقال جل شأنه : أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى، قل أأنتم أعلم أم الله ، ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون»[4].

وإذا كان اليهود فيما مضى ينتسبون نسبا عرقيا إلى يعقوب الملقب

---

(١) سورة الحديد ، آية ٢٧ (٢) سورة التوبة ، آية ٣٤
(٣) سورة آل عمران ، آية ٦٧ ، ٦٨
(٤) سورة البقرة ، آية ١٤٠

بإسرائيل حتى صاروا معروفين بأنهم بنو إسرائيل ، فتلك نسبة مادية لاوزن لها عند الله فى غيبة الإيمان الصحيح ، وهى نسبة لاتزيد عن نسبة قابيل إلى آدم ، ونسبة أبى لهب إلى قريش ، ونسبة الشيطان إلى الجن .

إن هناك ظالمين فى ذرية الانبياء حرمهم الله الولاية والنصرة ، قال تعالى «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتى . قال لاينال عهدى الظالمين»[1].

وأكد القرآن أن فى ذرية إبراهيم وإسحق من يكون ظالما مبينا فقال : « وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين»[2].

ولم يكتف اليهود والنصارى بمزاعمهم الفاسدة حول نسبتهم إلى إبراهيم وإسحق بل تمادوا فى طغيانهم وخصوا أنفسهم ببنوة الله دون العالمين وكذبهم القرآن وقال .

«بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير»[3].

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٢٤

(٢) سورة الصافات ، آية ١١٣

(٣) سورة المائدة ، آية ١٨

أديان الوثنية

- في معاجم اللغة
- في البيان القرآني
- بداية الوثنية
- الديانة المصرية القديمة
- المجوسية
- أديان الهند
- الوثنية العربية

فى معاجم اللغة

• جاء فى الروض الأنف[1] :

يقال لكل صنم من حجر وغيره صنم .

ولا يقال وثن إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس وغيره .

• وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين[2] .

الوثن لغة الصنم .

والمراد بالوثنية فى عرف الفلسفة الدينية إقامة الأوثان وعبادتها .

• وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية[3] .

الصنم فى المعاجم وتفاسير القرآن هو ما اتخذ إلها من دون الله ، ويفرق بوجه عام بين كلمة صنم وكلمة وثن بأن الصنم ما كان له جسم ، وهو يصنع من الحجر أو الخشب أو المعدن ، فى حين أن الوثن يكاد يرادف الصورة أو الرسم .

وتزيد المعاجم العربية بأن صنم كلمة أعجمية الأصل ، مشتقة من كلمة شنم ، ولكنها لا تعرف اللغة التى اشتقت منها هذه الكلمة ، ويذهب علماء اللغة الأوربيون إلى أنها من حيث الاشتقاق هى عين الكلمة العبرية (صلم) أى الصورة أو التمثال .

---

(١) الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام — للإمام عبد الرحمن السهيلى — تحقيق عبد الرحمن الوكيل جـ ١ صـ ٣٥٧ ط دار الكتب الحديثة .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين للأستاذ محمد فريد وجدى — المجلد العاشر صـ ٦٣٨ ط دار المعرفة — بيروت .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٤ صـ ٣٥٦

فى البيان القرآنى

جاء لفظ «الأوثان» فى القرآن فى موضعين :

الأول : قوله تعالى «فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق»[1] .

الرجس هو القذر والنجس ..

والزور هو الباطل والكذب ..

والآية تنهى عن عبادة الأصنام واتخاذ الشركاء ، وتأمر بالتوحيد الخالص لله رب العالمين ، وتقدم تشبيها للمشركين فى الضلال والهلاك بمن سقط من مرتفع شاهق فتناهشته الطيور الجارحة فى الفضاء الفسيح ومزقته إربا إربا ، وإن لم تتقاذفه الطيور سقط فى عمق سحيق لا يحس به أحد فيلقى حتفه هوانا وصغارا وذلة ..

* * *

الثانى : قوله تعالى «وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ، واشكروا له ، إليه ترجعون»[2] .

وقف إبراهيم الخليل عليه السلام ينادى قومه ويدعوهم إلى إفراد

---

(١) سورة الحج — الآية ٣٠، ٣١

(٢) سورة العنكبوت — الآية ١٦، ١٧

الله تعالى بالعبادة والتقوى ، فهذا هو الصراط المستقيم الذى يصل بالناس إلى السعادة فى الدنيا والآخرة ، ويمنحهم بركة الأرض والسماء . .

ثم أخبرهم أن إقامة الأصنام واتخاذها آلهة تعبد إنما هو الكذب والبهتان والضلال المبين ، فهى لا تملك لنفسها أو لغيرها نفعا أو ضراً ، ولا تمنح ولا تمنع، فأحرى بالإنسان العاقل أن يطلب النعم ممن يملكها ، ويستغيث بمن يقدر ، ويجأر إلى الله وحده فهو سبحانه رب كل شىء ومليكه . .

* * *

وجاء التعبير بلفظ الأصنام فى البيان القرآنى فى قصة إبراهيم مع أبيه وقومه وفى قصة موسى مع بنى إسرائيل . .

ومثال القصة الأولى قوله تعالى «واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون »[1] .

لقد سأل إبراهيم عليه السلام عبدة الأصنام عن حقيقة آلهتهم المزعومة فأجابوا بأنهم ينحتون الأصنام آلهة ، فسألهم عن صفات هذه الآلهة المزعومة ومدى استجابتها لعابديها ورعايتها لهم فبهتوا ولم يجدوا جوابا إلا أنهم مقلدون لمن سلف من آبائهم ، ولا يعلمون حكمة ولا يعقلون سببا ولا يعرفون لها فائدة . .

ومثال القصة الثانية قوله تعالى «وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا

---

(١) سورة الشعراء — الآية ٦٩ : ٧٤

على قوم يعكفون على أصنام لهم .قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين»[١] .

لقد عبر موسى ببنى إسرائيل البحر على إثر معجزة قاهرة ، انفلق فيها البحر فرقتين بينهما طريق يابسة يسرت العبور لمن آمن بموسى عليه السلام ، وعندما تعقبهم فرعون وجنوده غشيهم اليم وأطبق عليهم الماء فأغرقهم أجمعين ..

ولم يستشعر بنو إسرائيل هذه النعمة الكبرى، وبمجرد أن مروا على قوم يعبـــدون أصناما اصطنعوها لأنفسهم — أثار ذلك فى نفوسهم ذكريات عبادة الأصنام التى تركوها فى مصر ، فزجرهم موسى عليه السلام ووبخهم ووصفهم بالجهل والحمق . وأكد لهم أن الله وحده هو المستحق للعبادة . .

* * *

وقد يلتقى فى المعنى لفظ التماثيل مع لفظى الأوثان والأصنام ، فيراد بها جميعا ما يعبد من دون الله عز وجل .. قال تعالى «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين»[٢] .

وقد ينفرد لفظ التماثيل بالصور المجسمة دون عبادة لها كما فى قوله تعالى «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور» .

---

(١) سورة الأعراف — الآية ١٣٨: ١٤٠

(٢) سورة الأنبياء — الآية ٥١ : ٥٤

فالجن كانت مسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام لبناء القصور وإقامة التماثيل الجميلة وأدوات الطهي العجيبة ، وطالب الله تعالى سليمان بشكر هذه النعم .. فلم تكن هذه التماثيل للعبادة وإنما للجمال والزينة ..

* * *

وساق القرآن المجيد لفظين آخرين للدلالة على الشرك وعبادة غير الله هما الجبت والطاغوت . . قال تعالى « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا »[1] .

فالجبت فيه معنى الخضوع لغير الله ، والطاغوت فيه معنى الطغيان ومجاوزة الحد ، فليس هناك أظلم ممن أشرك بالله ..

لقد سأل المشركون اليهود وقالوا لهم : نحن أهدى أم محمد ؟ !

فأجاب اليهود بأن المشركين أهدى من المؤمنين ، وكان ذلك بهتانا عظيما وافتراء كبيرا ، وخروجا عن مقتضى الفطرة ، وإنكارا لبداهة العقل ..

فكيف يكون عابد الصنم ، المستقسم بالأزلام ، آكل الميتة ، قاتل الموءودة — أكثر هدى من الموحد الحنيف المسلم لله ، المصدق بكل الكتب المنزلة ، الموقر لكل الانبياء ، المستقيم على العدل والإحسان ؟ ! !

(١) سورة النساء الآية ٥١ : ٥٢

بداية الوثنية

قامت البشرية فى عهدها الأول على عقيدة التوحيد الخالص فى إطار الأسرة الواحدة التى نشأت منها .

قال الله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا »[١] .

ومع كثرة التناسل وانتشار الذرية ، والتباعد عن الأصل ، والتفرق فى الأرض ، طرأ الكفر والشرك ، فتمزقت البشرية كل ممزق وتفرقت شيعا وأحزابا .

قال الله تعالى « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »[٢] .

والمعنى أن الناس كانوا أمة واحدة على الهدى والتوحيد والوحدة فاختلفوا وتنازعوا فبعث الله الأنبياء ليعيدوا الناس إلى وحدتهم وتوحيدهم . ويؤكد هذا المعنى ما جاء فى قوله تعالى « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون »[٣] .

---

(١) سورة النساء — الآية ١

(٢) سورة البقرة — الآية ٢١٣

(٣) سورة يونس — الآية ١٩

وتضيف هذه الآية أن سنة الله قد مضت فى أن يدع الناس وما اختاروا لأنفسهم بعد أن نصب لهم دلائل الحق ، وأنزل إليهم شرائع النور ، وبعث إليهم أنبياء الهدى لكى تتحقق المسئولية ويقع الجزاء . . قال الله تعالى « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »[1] .

وتكرر هذا التأكيد مرارا فى القرآن المجيد .

ففى سورة هود ، جاء قوله تعالى « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين »[2] .

وفى سورة النحل جاء قوله تعالى « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون »[3] .

وفى سورة الشورى جاء قوله تعالى « ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير »[4] .

والمراد بالمشيئة الإلهية هنا مشيئة القهر والجبر والمعنى لو شاء الله جبرهم وقهرهم على أن يكونوا أمة واحدة وعلى دين واحد ما تخلفت مشيئته سبحانه وما استطاعوا أن يخرجوا عن قبضته وسلطانه ، لكن الله

---

(١) سورة المائدة — الآية ٤٨
(٢) سورة هود — الآية ١١٨ : ١١٩
(٣) سورة النحل — الآية ٩٣
(٤) سورة الشورى — الآية ٨

تعالى أراد للناس حـــرية الاختيار فى مجال التكليف ، وتحمل أمانة المسئولية ليتحقق عدل العقاب وفضل الثواب .

* * *

هذا وبعد سيدنا نوح عليه السلام أول رسول ذكره القرآن المجيد، يواجه عبادة الأصنام فى البشرية .

قال تعالى « قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا ، وقالوا لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا[1] » .

ويقال إن هذه الأصنام كانت فى بدء أمرها تماثيل لرجال صالحين صنعها الناس تخليدا لذكراها . فلما تقادم العهد عبدوها من دون الله . .

وتوالت رسالات الله توقظ العقل الإنسانى ، وتنهى عن عبادة الأصنام ، وتأمر بعبادة الله الواحد الديان . .

قال الله تعالى « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »[2] .

وانتشرت الوثنية فى أماكن عدة وبلاد كثيرة،فى مصر القديمة وبلاد الرافدين والشام والهند والصين وفارس واليونان والرومان والجزيرة

---

(١) سورة نوح — الآية ٢١ : ٢٣
(٢) سورة النحل — الآية ٣٦

ـربية . . الخ ونسوق نماذج من هذه الأديان الوثنية على النحو التالى :

- الديانة المصرية القديمة .
- المجوسية .
- أديان الهند .
- الوثنية العربية .

الديانة المصرية القديمة

تعددت الآلهة فى الحياة المصرية القديمة بحسب القبائل والمدن، وبحسب ظواهر الطبيعة ومشاهد الكون ، وبحسب أمور الحياة وأنشطتها . كما هو الحال فى كل ديانة وثنية ، فكان هناك إله الشمس ، وإله القمر ، وإله السماء ، وإله الأرض، وإله النيل ، وإله الخصب ، وإله العلم ، وإله الطب ، وإله الحرب ، وإله الخير وإله الشر .. الخ ..

وارتبط نظام الآلهة بالنظام السياسى ، فكلما تغلب ملك مدينة أوقبيلة على القطر بأجمعه جعل إلهه رأساً للآلهة وحاكما عليها ..

واشتهر من ذلك الإله «حورس» فى زمن «مينا» موحد القطرين الشمالى والجنوبى ، والإله «بتاح» فى زمن العاصمة منف والإله «آمون» فى زمن العاصمة طيبة ..

وكان المصريون القدماء يعاملون تماثيل معبوداتهم معاملة الأحياء العاقلة ، يقدمون لهم الطعام والقرابين ، ويسجدون لهم ويركعون ، ويستشيرونهم فى قضايا الحرب والسلام ، ويتقدمون بهم فى مواكب الأعياد والمناسبات ، ويلبسونهم التيجان ويسكبون عليهم العطور .

ومن البدهى أن الكهنة هم الذين يديرون الأمر خلف هذه الأصنام، ويوهمون الناس أنهم يتلقون الأوامر والنواهى وحيا وإلهاماً من تلك المعبودات الزائفة .. ولذلك حظى الكهان بمكانة رفيعة .

ومن الأساطير المصرية القديمة :

١ — أسطورة عجل إبيس ،

٢ — أسطورة إيزيس وأوزيريس .

وتتمثل الأسطـــورة الأولى فى أن المصريين القدماء اعتقدوا أن أوزيريس إله النيل وإله السماء يحل من حين لآخر فى عجل حى ذى علامات معينة ، وهى أن يكون لونه أسود ، وعلى جبهته مربع أبيض، وعلى ظهره صورة نسر ، وفى ذيله شعر مزدوج العدد ، وعلى لسانه صورة جعل .

وكانوا يؤدون الطقوس لهـذا العجل مدة خمس وعشرين سنة ، فإذا مات قبل ذلك حنطوه ودفنوه باحتفال عظيم ، ثم أعلنوا الحداد، وأخذوا يبحثون عن خلف له فيه العلامات السابقة ، وحين يجدونه ينهون الحداد ويقيمون الأفراح ..

وإذا عاش العجل أكثر من خمس وعشرين سنة أغرقوه فى النيـل باحتفال عظيم وفتشوا عن خلف غيره .. وهـكذا دواليك .

* * *

وتحكى الأسطورة الثانية أن للعالم ثلاثة آلهة هى : رع إله الشمس ، ونـوت إله السماء ، وجب إله الأرض .

وتزوج جب ونوت ، وأنجبا ولدين هما: أوزيريس وست ، وبنتين هما إيزيس ونفتيس ..

ودارت الأيام وتزوج أوزيريس من أخته إيزيس .

وتزوج ست من أخته نفتيس .

وتزعم الأسطورة أن أوزيريس حكم مصر ، وشهد الناس فى عهـده سلاماً وعدلا ، فحقد عليه أخوه ست ، وأراد التخلص منه، فأقام وليمة دعا إليها بعض الأصدقاء من الآلهة الموهومة ومعهم أوزيريس ..

وعند الانتهاء من الوليمة طرح ست على الحاضرين هدية هى تابوت

ذهبي ، يفوز به من يناسب حجم جسمه ، وكان ست قد صنعه بحيث لا يلائم إلا جسم أخيه ..

ولما حاول الحاضرون قياس التابوت لم يكن ملائماً لأي منهم ، حتى جاء دور أوزيريس ، فلما مد جسمه في التابوت سارع أخوه فأغلقه عليه ، وسمره وألقى به في اليم ..

ووصل الخبر إلى زوجه إيزيس فحزنت حزناً شديداً ، وقامت بعمليات بحث مضنية حتى عثرت على التابوت قرب سواحل الشام ..

وقدمت بالتابوت إلى مصر . وأخذت تصلي وتضرع للآلهة فعادت الروح إلى بدن زوجها ، وعاشا معاً فترة من الزمن أنجبا فيها ولدهما حوريس

وما أن شعر ست بعودة الحياة إلى أخيه أوزيريس حتى انقض عليه مرة أخرى ومزقه إرباً وزعها على كل أقاليم مصر .

وعاد الحزن يملأ قلب إيزيس ، إلا أنها قامت بعمليات مسح شامل لأرض مصر ، تجمع منها أجزاء بدن زوجها ، ونجحت للمرة الثانية ، وأخذت تصل الأعضاء والأجزاء ، وعاد الجسم كاملا ، فأخذت تصلي وتدعو حتى عادت الروح لهذا البدن الممزق ..

وحين التأم شمل الأسرة من جديد ، آثر أوزيريس أن يبقى في العالم الآخر ، ورفض أن يعود لهذه الدنيا بآلامها وأحزانها ، فاختارته الآلهة ليكون رئيس محكمة العدل الإلهية التي تحاسب الميت على ما قدمت يداه ..

وظل ست يحكم مصر إلى أن قام حوريس بن أوزيريس ينادي بعودة

الحكم إليه خليفة لأبيه ، ووقعت حروب انتهت بانتصار حوريس وهزيمة عمه ست [1] .

(١) راجع كتاب «تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأطوار والأدوار والأقطار» للأستاذ محمد عزة دروزة حـ ٢ صـ ٣٠٩ ط منشورات المكتبة العصرية — صيدا — بيروت .

والموسوعة العربية الميسرة صـ ٨٢٨ ط دار الشعب بالقاهرة ومؤسسة فرانكلين ، بإشراف محمد شفيق غربال .

المجوسية

يرى المسلمون أن المجوس ممن لهم شبهة كتاب منزل ، بناء على أنهم من بقايا أتباع إبراهيم الخليل عليه السلام ثم حرفوا وبدلوا .

والمجوس يعظمون النار ويبنون لها المعابد اعتقادا منهم أن عبادتهم لها فى الدنيا تنجيهم من عذابها فى الآخرة ، وتعظيما لها لأنها صارت بردا وسلاما على إبراهيم .

وكانت المجوسية منتشرة فى فارس والهند والصين ، وتقوم عقيدتهم على الإيمان بأصلين هما النور والظلمة . وهما بالفارسية : يزدان وأهرمن واختلفوا حولهما اختلافات كثيرة ، فذهب بعضهم إلى أن يزدان إله النور أزلى قديم ، وأن أهرمن إله الشر محدث مخلوق .

وهناك من يعتقد أن النور والظلمة أزليان قديمان يتساويان فى القدم ويختلفان فى الجوهر والفعل والحيز والأجناس والأبدان والأرواح ، فيقولون إن جوهر النور حسن فاضل ، وجوهر الظلمة قبيح مظلم ، وفعل النور هو الخير والصلاح وفعل الظلمة هو الشر والفساد ، وحيز النور جهة فوق وحيز الظلمة جهة تحت ، وأبدان النور هى النار والنور والريح والماء وروحها النسيم ، وأبدان الظلمة هى الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان . . وهكذا[1] .

ومن أساطير الطوائف المجوسية ما يلى :

---

(١) راجع الملل والنحل للشهرستانى — تحقيق محمد سيد كيلانى حـ ١ ص ٢٤٤

١ — عقيدة الكيومرثية :

قال أنصار هذه الطائفة إن سبب خلق أهرمن هو أن يزدان فكر فى نفسه أنه لو كان لى منازع كيف يكون ؟ وهذه الفكرة كانت رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمى أهرمن وكان مطبوعا على الشر فخرج على النور وخالفه ، وجرت معارك بين الفريقين حتى توسطت الملائكة وتصالحوا على أن يكون العالم السفلى خالصا لأهرمن سبعة آلاف سنة ، ثم يخلى العالم ويسلمه إلى النور .

والذين كانوا فى الدنيا قبل الصلح أبادهم أهرمن وأهلكهم ثم بدأ برجل يقال له « كيومرث » ، وحيوان يقال له « ثور » فقتلهما ، فنبت من مسقط ذلك الرجل « ريباس » ، وخرج من أصل « ريباس » رجل يسمى « ميشة » وامرأة تسمى « ميشانة » وهما أبوا البشر .

ونبت من مسقط الثور الأنعام وسائر الحيوانات .

٢ — أسطورة زردشت :

زعم أنصار زردشت أن الله تعالى خلق من وقت ما من الماضى السحيق خلقا روحانيا ، فلما مضت ثلاثة آلاف سنة خلق صورة من نور متلألىء على هيئة الإنسان وأحاط به سبعين من كرام الملائكة وخلق الكواكب والنجوم .

ثم جعل روح زردشت فى شجرة أنشأها فى أعلى عليين وأحاطها بسبعين ملكا ، وغرسها فى قمة جبل من جبال أذربيجان ، ثم مازج شبح زردشت بلبن بقرة ، فشربه أبو زردشت فصار نطفة ثم مضغة فى رحم أمه .

ولما ولد زردشت ضحك ضحكة عالية ، ووضع زردشت بين البقر والخيل

والذئاب فكان ينهض كل واحد من هذه الفصائل لحماية زردشت من فصيلته، وحين بلغ ثلاثين سنة بعثه الله نبيا رسولا إلى البشر.

٣ — عقيدة التناسخ :

هناك طوائف مجوسية تقول بالتناسخ والانتقال من شخص لآخر، وأن ما يلقاه الإنسان من الراحة والتعب والنصب مرتب على ما أسلفه من قبل وهو فى بدن آخر.. وأن الإنسان دائما فى أحد أمرين: إما فى فعل وإما فى جزاء، وما هو فيه ويقع عليه أو يقع منه إما مكافأة على عمل قدمه وإما عمل ينتظر المكافأة عليه، فالجنة والنار فى هذه الأبدان، وأعلى عليين درجة النبوة، وأسفل سافلين دركة الحية. فلا وجود أعلى من درجة الرسالة ولا وجود أسفل من دركة الحية. ومنهم من يقول: الدرجة العليا درجة الملائكة، والسفلى دركة الشيطان[١].

(١) راجع الملل والنحل للشهرستانى — تحقيق عبد العزيز الوكيل ص ٢٣٤ : ٢٥٦ ط دار الفكر — بيروت.

أديان الهند

وصف الشهرستانى الهند وعقائدها فقال :

الهند أمة كبيرة ، وملة عظيمة ، وآراؤهم مختلفة ، فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلا ، ومنهم من يميل إلى الدهر ، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية ويقول بملة إبراهيم عليه السلام ، وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها ، فمن قائل بالروحانيات ، ومن قائل بالهياكل ، ومن قائل بالأصنام ، إلا أنهم مختلفون فى شكل الهياكل التى ابتدعوها ، ومنهم حكماء على طريق اليونانيين علما وعملا[1] .

وهكذا نرى أن الهند جمعت فكر العالم كله وحوت عقائد الناس جميعا ، فاجتمع لها من أديان النبوة وأديان الوثنية وأديان الفلسفة ما لم يجتمع لأمة من الأمم ، فملة إبراهيم لها بقايا فى الهند .

والبراهمة المنكرون للنبوات لهم انتشار كبير .

والدهريون المنكرون للإله المدبر الحكيم لهم تواجد على الساحة .

والصابئة عبدة الكواكب والنجوم لهم نشاط واسع .

وعبدة الأصنام ، والمجوس المقدسون النار ، والتناسخية القائلون بدورات الخلق وتكرار النشأة ، والحكماء الفلاسفة . . كل ذلك يتجاور فى بلاد الهند فى مدافعة شديدة وجدل دائم وصراع مستمر .

وللبقرة فى أديان الهند قدسية خاصة ، ويصوغون حولها الأناشيد ويقدمون لها الدعاء ، ومن ذلك نشيد يسمى صلاة إلى البقرة ، جاء فيه[2] :

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى — المرجع السابق ص ٥٠٦ .

(٢) أديان الهند الكبرى د . أحمد شلبى ص ٣٠ ط مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٩م .

أيتها البقرة المقدسة ...

لك التمجيد والدعاء في كل مظهر تظهرين به ...

أنثى تدرين اللبن في الفجر وعند الغسق ...

أو عجلا صغيراً أو ثوراً كبيراً ...

فلنعد لك مكانا واسعاً نظيفاً يليق بك ...

وماء نقياً تشربينه

لعلك تنعمين بالسعادة ... »

وللمهاتما غاندي الزعيم الهندي رأي في عبادة البقرة يقول فيه :

إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية الهند إلى العالم، وهي إحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان ...

والفكر الهندي يعتقد أن البقرة أم للإنسان ، وهي كذلك في الحقيقة ...

إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي ، وهي خير حماية للهند ...

عندما أرى بقرة لا أعدني أرى حيواناً ، لأني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع ...

وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه :

فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين ، وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا .

ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً[1] ، ولا تتطلب منا شيئاً مقابل ذلك سوى الطعام العادي .

---

(١) لماذا الاقتصار على البقر ، وهناك ألبان الإبل والغنم عاشت ــ

وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة . ولكن أمنا البقرة عندما تمرض فلا نخسر لها شيئاً ذا بال...[١] .

وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة ، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية ،لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها ، حتى العظم والجلد والقرون ..[٢] .

= عليها أجيال من البشر ، ورأيت في بعض الجمهوريات في الاتحاد السوفيتي السابق — من يشربون ألبان الخيل بكرة وعشياً ، فهل تطالب هذه الحيوانات بحقها ؟ !! .

(١) لعل ذلك قبل تقدم الطب البيطري الذي أصبح مكلفاً الآن..!!

(٢) أديان الهند الكبرى د . أحمد شلبي ص ٣٢

الوثنية العربية

عاش إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام فى مكة أم القرى ، وتلق رسالة ربه وبلغها أهل مكة ومن حولها .. قال تعالى: « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا »[١] .

وطبيعة الحياة التغير وعدم الثبات على شىء ، ويعترى العقائد ما يعترى الأجساد من ضمور وفساد ، فمع تباعد الزمن وتطاول العهد أحدث العرب فى دين الله ما لم يأذن به الله ، وانحرفت به الأهواء وأغوتهم الشياطين ، فعبدوا غير الله وأشركوا معه ما لا ينفعهم ولا يضرهم ، وما ليس لهم به علم .

وتتعدد الروايات فى نشأة الوثنية فى جزيرة العرب :

ويسوق ابن هشام رواية تفيد أن عمرو بن لحى الخزاعى قدم الشام ، فرآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟!

قالوا له : هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ..

فقال لهم : أفلا تعطونى منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه ؟!

فأعطوه صنما يقال له (هبل) فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه ..

---

(١) سورة مريم الآيتان ٥٤ ، ٥٥

وهناك تعليل آخر لتلك النشأة قد يكون أقرب إلى طبائع الأشياء، وتعاقب الحوادث، فيسوق ابن إسحق رواية تفيد أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم..

فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من الضلالات».

وتعددت المناسبات وتوالت الأسباب حتى صار لكل قبيلة صنم أو أصنام.

وبلغ عدد الأصنام التي أحاطت بالكعبة ستين وثلاثمائة..

ووصل التنافس في عبادة الأصنام حداً جعلهم يتخذون بيوتاً تحظى بالتعظيم كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، ويفعل عندها ما يفعل عند الكعبة من الهدى والطواف.

ومن أصنام العرب الشهيرة «أساف ونائلة» على موضع زمزم ينحرون عندهما ويطعمون..

ويقال إن أساف كان رجلا ونائلة كانت امرأة فزنيا في الكعبة فمسخهما الله حجرين[1]..

واتخذت قريش وبنو كنانة «العزى» وكان حجابها بني شيبة..

واتخذت ثقيف «اللات» بالطائف وكان حجابها بني مُعَتِّب..

---

(١) وقيل إن أساف ونائلة قدم بهما عمرو بن لحى، ووضعهما على الصفا والمروة.

واتخذت الأوس والخزرج « مناة .. »

واتخذت بنو كلب « ودا » بدومة الجندل ..

واتخذت هذيل سواعا ..

واتخذت قبائل اليمن يغوث ..

واتخذت همدان يعوق ..

واتخذ ذو الكلاع بأرض حمير نسرا . .

ومن الصور المؤلمة أن أحدهم ذهب إلى سواع فألفى عنده ثعلبين يلحسان ما حوله ويأكلان ما يهدى إليه ثم يبولان عليه ، فأنشد قائلا :

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ويقال إن الصنم ودا كان على صورة رجل ، وسواعا كان على صورة امرأة ، ويغوث كان على صورة أسد ، ويعوق كان على صورة فرس ، ونسرا كان على صورة نسر[١] .

وتعددت أشكال الوثنية العربية فنهم من عبد الملائكة وزعم أنهم بنات الله وحكى القرآن هذا الاتجاه فى قوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون »

---

(١) راجع كتاب « الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام — للإمام السهيلى — تحقيق عبد الرحمن الوكيل حـ١ ص ٣٤٦ — ٣٦٨ ، وكتاب الملل والنحل للشهرستانى — تحقيق عبد العزيز الوكيل ٤٨٧ — ٥٠٥

الوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من عـــلم إن هم يخرصون[١] » .

وشاع بين العرب عبادة الجن — قال تعالى « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا[٢] » .

---

(١) سورة الزخرف — الآية ١٩ : ٢٠

(٢) سورة الجن — الآية ٦

أديان الفلسفة

- الفلسفة
- تاريخ الفلسفة
- الفلسفة اليونانية
- الفلسفة الإسلامية
- الفلسفة الأوربية

الفلسفة

كلمة « فلسفة » وكلمة «فيلسوف » مأخوذتان من كلمة يونانية قديمة هى « فيلوس » بمعنى محب ، وكلمة « سوفيا » بمعنى الحكمة ، فالفيلسوف هو محب الحكمة ، والفلسفة هى محبة الحكمة .

أما كلمة « سوفوس » فهى الحكيم ، وكانت تطلق فى الأصل على كل من كمل فى أى شىء عقليا كان أو ماديا فأطلقوها على الموسيقى والطاهى والنجار والبحار .. الخ ثم قصرت بعد ذلك على من منح عقلا راقيا .

فلما جاء سقراط نادى بأن الحكيم هو الله وحده ، ويكفى الإنسان أن يكون محبا للحكمة ، ولهذا آثر أن يسمى فيلسوفا .»

ورأى على الفلسفة حين من الدهر كانت تقوم على جانبين :

— جانب نظرى [الطبيعة والرياضة وما بعد الطبيعة]

— جانب عملى [أخلاق النفس والأسرة والمجتمع]

ولهذا سميت الفلسفة أم العلوم ..

وبعد عدة قرون توالت عمليات انفصال العلوم فانفصل علم الطبيعة فى القرن السادس عشر ، وعلم الكيمياء فى القرن التاسع عشر ، وعلم النفس والاجتماع فى القرن العشرين . .

والفلسفة بمعنى التأمل والتفكير والتساؤل طبيعة بشرية مصاحبة لوجود الإنسان ، لكن الفلسفة كفن وعلم اختلف المؤرخون فى نشأتها ، فقيل إنها يونانية ، وقيل إنها شرقية بزغت فى مصر والهند والصين ثم نمت وترعرعت فى بلاد اليونان .

وتحاول الفلسفة أن تجيب على هذه التساؤلات :

— من أين هذا الوجود وتلك الكائنات ؟ !

— وإلى أين المصير ؟ !

— وكيف وجدت ؟ !

— ولماذا كانت ؟ !

تاريخ الفلسفة

يمر تاريخ الفلسفة بعصور اصطلح المؤرخون عليها وهى :

١ — الفلسفة اليونانية من ٦٢٤ ق م إلى ٥٢٩ م وتنقسم إلى مراحل هى :

— المدارس الطبيعية الأولى

— عصر السوفسطائيين

— العصر الذهبى [سقراط وأفلاطون وأرسطو]

— العصر اليونانى الأخير

٢ — الفلسفة الإسلامية

وتنقسم إلى قسمين :

— الفلسفة الإسلامية فى المشرق [بغداد وما حولها]

— الفلسفة الإسلامية فى المغرب [شمال أفريقيا والأندلس]

٣ — الفلسفة الأوربية :

وتبدأ بفلسفة العصور الوسطى بعد إغلاق مدارس أثينا عام ٥٢٩ م ثم عصر النهضة من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر ثم الفلسفة الحديثة من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر ثم الفلسفة المعاصرة خلال القرن العشرين .

* * *

وإليك كلمة عابرة عن هذا التاريخ الطويل الذى يستوعب أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان

الفلسفة اليونانية

تمر الفلسفة اليونانية بمراحل تاريخية هى :

١ — المدارس الطبيعية الأولى :

هى تلك المدارس التى بدأت تفكر فى المادة التى نشأ منها الكون وانطلقت منها الحياة ، وتنوعت الآراء وتعددت الاجتهادات ..

فقال بالماء طاليس (٦٢٤—٥٥٠ قم) أو (٦٣٦ —٥٤٦ ق م)[1]

وقال باللامتناهى أنكسا غورس (٦١١ —٥٤٧ قم)

وقال بالهواء إنكسمنس (٥٨٨—٥٢٤ قم)

وقال بالنار هيرا قليطس

وقال بالعناصر الأربعة انبادكايس (٤٩٥—٤٣٥ قم)

وقال بالعدد فيثاغورس .

وقال بالذرة أو الجوهر الفرد ديمقريطس

٢ — مدرسة السوفسطائيين

كان السوفسطائيون فى بدء نشأتهم يعملون على إعداد المواطن الصالح للحياة السياسية ، وفهم من لفظ السوفسطائى معنى الأستاذ أو المدرس الخاص .

ثم انحرف بهم السبيل فصار همهم انتزاع التصفيق بأى وسيلة كانت ، فركزوا على فن الجدل والنقاش وأصبح لفظ السوفسطائى يعنى التضليل والخداع .

---

(١) معظم تواريخ الميلاد والوفاة للفلاسفة الأقدمين تقريبية

وأشهر زعمائهم :

• بروتاجوراس (٤٨٠—٤١٠ ق‌م)

ومحور فلسفته أن الإنسان مقياس كل شيء ، وهو الذى يقرر وجود الأشياء أو عدم وجودها .

وأخرج كتابا عن الآلهة أثارت أول جملة فيه ثائرة الناس ، وهى :

« وأما من حيث الآلهة فلست أدرى أهى موجودة أم غير موجودة ، كما لا أعلم لها شبها ، وثمة أشياء كثيرة تقف فى سبيل هذه المعرفة ، فالموضوع غامض وحياتنا الفانية قصيرة الأجل »

وأحرق أهل أثينا كتبه وفر « بروتاجوراس » إلى صقلية ولكن السفينة ارتطمت به فغرق

• جورجياس (٤٨٥—٣٨٠ ق‌م)

ألف كتابا فى الطبيعة حاول أن يثبت فيه ثلاث قضايا هى :

— لا شيء موجود

— وإن وجد شيء فلا يمكن أن يعرف

— وإذا أمكن أن يعرف فلا يمكن إيصاله إلى الغير

ولقد كانت مدرسة السوفسطائيين وليدة عجز عام فى الفلسفة والدين والسياسة ، فالمدارس الطبيعية الأولى تعددت آراؤها حول نشأة الكون ، والدين قام على صراع الآلهة المزعومة ، والسياسة أوقدت نار الحرب فى مدن اليونان .

ونظريات السوفسطائيين لا تبنى حضارة ولا تؤسس علما ، فالحياة قائمة على حقائق الأشياء والعلم بها .. واختلاف الرأى أو تناقض الظاهرة الاجتماعية لا ينهض دليلا على انعدام الحقيقة ذاتها

٣ — العصر الذهبي للفلسفة اليونانية :

ويتمثل ذلك فى ثلاثة فلاسفة كبار، هم سقراط وأفلاطون وأرسطو..

سقراط (٤٧٠—٣٩٩ ق٠م)

• حياته هى فلسفته فلم يترك كتبا مخطوطة

• نشأ من أب نحات وأم قابلة ولذا كان يقول : إنى أحترف صناعة أمى ولكنى أولد الحق من أفواه الرجال

• شعار فلسفتـــه « اعرف نفسك بنفسك » ولذلك قيل إنه أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض بمعنى أنه جعل اهتمام الفلسفة بالأخلاق وطبيعة الإنسان بدلا من البحث فى الطبيعيات التى سادت فى أبحاث السابقين عليه .

• — صاحب منهج التهكم والتوليد فى مواجهة السوفسطائيين بمعنى أنه يفحص معارف خصمه عن طريق إلقاء أسئلة متوالية تبدو أنها غير وثيقة الصلة بموضوع الحوار . إلى أن يفيق الخصم وقد قال آراء مختلفة أو متناقضة لما قال به منذ قليل ، ثم يستدرجه لكى يقدم بنفسه الحقيقة التى كان ينكرها من قبل

أفلاطون (٤٢٨—٣٤٧ قم)

• تتلمذ على سقراط مدة ثمانى سنوات

• أحيا فلسفة سقراط فى كتبه وجعله محور محاوراته

• قضى اثنى عشر عاما بعد موت سقراط ينتقل من بلدة إلى أخرى ومكث فى مصر ثلاث سنوات

• فى سن الأربعين أنشأ الأكاديمية باسم أحد أبطال اليونان

«أكاديموس»، وجعل شعارها «لن يدخل هذا المكان إنسان بلا هندسة» وظلت تقوم بالتدريس، وتخرج الفلاسفة حتى أغلقها الامبراطور الرومانى جستنيان عام ٥٢٩ م

• من أهم نظرياته: نظرية المثل.

وعالم المثل هو الموجود الحقيقى الثابت، وعلى قمته مثال الخير الذى يمنح الأشياء وجودها ومعقوليتها، ويقابله فى عالم الحس كوكب الشمس الذى بفضل أشعته تنكشف المرئيات، وقد نسج العالم الحسى على مثال العالم العقلى، وكل ما فى الكون المادى ظل لمثاله هناك.

— أرسطو (٣٨٤ — ٣٢٢ ق. م)

• تتلمذ عشرين عاماً على يدى أفلاطون ثم خالفه فى نظرية المثل وقال: أفلاطون حبيب إلى نفسى ولكن الحق أحب إلى من أفلاطون.

• أنشأ مدرسة، وعلم تلاميذ، عرفوا فيما بعد باسم المشائين أخذاً من عادته فى المشى بين تلاميذه أثناء التدريس.

• لقب بالمعلم الأول لأنه وضع قواعد المنطق.

• صاحب نظرية المحرك الذى لا يتحرك بمعنى أن الموجودات على اختلاف جهاتها وأوضاعها متحركة، ولابد لكل متحرك من محرك، فإما أن يكون المحرك متحركا فيتسلسل القول فيه وهو باطل وإلا فيستند إلى محرك غير متحرك.

ويرى أرسطو أن العلاقة التى تحكم الموجودات بالموجد الأول هى العشق، فالله تعالى معشوق والكائنات عاشقة، وتتطور الموجودات عن طريق عشقها للكمال الإلهى.

• صاحب العبارة المشهورة : الإنسان كائن اجتماعي ومن يعيش بلا دولة إنما هو حيوان أو إله .

٤ — العصر اليوناني الأخير :

تحولت المدارس الفلسفية بعد أرسطو إلى منابر خاصة تدور أبحاثها حول الأخلاق والسعادة . وظهرت مذاهب الرواقين والأبيقوريين .

ثم أغلقت مدارس أثينا بقرار من الامبراطور الروماني جستنيان عام ٥٢٩م وتمكنت الكنيسة من السيطرة على الفلسفة ألفاً من الأعوام هي مرحلة العصور الوسطى[1] .

---

(١) من المراجع فى الفلسفة اليونانية :
• قصة الفلسفة اليونانية — د/أحمد أمين . د/زكى نجيب محمود .
• تاريخ الفلسفية اليونانية — يوسف كرم .
• الملل والنحل الشهرستانى .

الفلسفة الإسلامية

برزت قضية الجــدل بين المسلمين فى اجتماع السقيفة عقب انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى،وحسم الموقف باختيار أبى بكر الصديق خليفة المسلمين .

ثم اشتدت القضية حين قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، وحمل السلاح فى صراع مرير بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان، وانقسم المسلمون إلى فرق : الشيعة والخوارج والمرجئة ..

وعندما وضعت الحرب أوزارها نشأت حركة جدلية عميقة الأثر حول الجبر والاختيار والقــدر، وساعد على اشتدادها ترجمة المنطق اليونانى فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور،وترجمة الفلسفة الإلهية اليونانية فى عهد هارون الرشيد وابنه المأمون ..

ولم تقف الترجمة عند علوم اليونان بل تجاوزتها إلى الترجمة من الفارسية والهندية وكان معظم المترجمين من النصارى ..

وتحددت ملامح الفلسفة الإسلامية وتكونت من :

١ — كتب أفلاطون وأرسطو .

٢ — مدرسة الإسكندرية والأفلاطونية الحديثة .

٣ — عقائد الهنود والفرس .

٤ — الفرق الدينية النصرانية التى أثرت عـلى عقول المترجمين من النساطرة واليعاقبة.

وقد اجتمعت تلك العناصر وتمازجت مع ماتموج به البيئة الإسلامية حينذاك من اتجاهات سياسية ومذاهب دينية فكانت الفلسفة الإسلامية ..

وتنقسم الفلسفة الإسلامية فى اصطلاح المؤرخين إلى قسمين :

— الفلسفة الإسلامية فى المشرق — بغداد وما حولها — ، وأشهر فلاسفتها الكندى والفارابى وابن سينا .

— الفلسفة الإسلامية فى المغرب — شمال أفريقيا والأندلس — وأشهر فلاسفتها ابن باجه وابن طفيل وابن رشد . .

وقد كان للإمام أبى حامد الغزالى موقف من الفلسفة زلزلها زلزالا شديداً، وذلك حين ألف كتابه «تهافت الفلاسفة» ، وقد حدد الخلاف معهم فى ثلاثة أقسام نلخصها فيما يلى :

القسم الأول :

يرجع النزاع فيه إلى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم — تعالى عن قولهم — جوهراً ، مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لا فى موضوع ، ولم يريدوا بالجوهر المتحيز . .

وقد رأى الغزالى عدم الخوض فى هذا القسم ، وهو يبحث عن العقائد ، وإنما يرجع البحث فيه إلى اللغة وإطلاقاتها وإلى الشرع وإجازته .

القسم الثانى :

مالا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام منازعتهم فيه ، كقولهم إن الكسوف القمرى عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس . .

وهذا الفن أيضاً ليس يخوض الغزالى فى إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض ، ومن ظن أن المناظرة فى إبطاله من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره .

القسم الثالث :

مايتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول فى حدوث العالم صفات الصانع و بيان حشر الأجساد ، فقد أنكروا ذلك ..

فهذا الفن ونظائره هو الذى ينبغى أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون عداه ..

هذا وقد حصر أبو حامد الغزالى مسائل الخلاف فى عشرين مسألة ، حكم بتفسيقهم فى سبع عشرة مسألة ، وتكفيرهم فى ثلاث مسائل هى :

١ — قدم العالم وقولهم إن الجواهر كلها قديمة.

٢ — قولهم إن الله تعالى لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة .

٣ — إنكارهم بعث الأجساد وحشرها .

ونسوق للقارىء الكريم أشهر كتب الفلاسفة الإسلامية[1] :

• أبو نصر الفارابى (٢٥٩ — ٣٢٩هـ):

— آراء أهل المدينة الفاضلة .

— السياسات المدنية .

— تحصيل السعادة .

— الجمع بين رأيى الحكيمين .

---

(١) من المراجع فى الفلسفة الإسلامية :

• تاريخ الفلسفة فى الإسلام تأليف دى بور ترجمة د/محمد عبدالهادى ريدة .

• تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب — محمد لطفى جمعة .

• الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى — د/ محمد البهى .

• ابن سينا (٣٧٠ — ٤٢٨ هـ)

— الشفاء

— النجاة

— الإشارات والتنبيهات

• أبو حامد الغزالى (٤٥٠ — ٥٠٥ هـ):

— مقاصد الفلاسفة .

— تهافت الفلاسفة .

• ابن رشد (٥٢٠ — ٥٩٥ هـ):

— تهافت التهافت .

— فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال .

— الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة .

الفلسفة الأوربية

هناك مراحل تاريخية للفلسفة الأوربية نشير إليها على النحو التالى[(١)]:

١ — فلسفة العصور الوسطى :

وبدأت هذه الفلسفة بإغلاق مدارس أثينا عام ٥٢٩م، ومن ثم تحكمت الكنيسة فى عقول وقلوب البشر فأذاقتهم الهوان ، وتميزت هذه المرحلة بمحاكم التفتيش وصكوك الغفران وإحراق علماء الطبيعة والفلك فى الميادين العامة .

ومن أشهر فلاسفة العصور الوسطى القديس توما الإكوينى (١٢٢٥ — ١٢٧٤ م)

٢ — عصر النهضة :

اتفقت كلمة المؤرخين على وصف العصور الوسطى فى أوربا بأنها العصور المظلمة ولكن جدت أمور وتطورت علاقات جعلت أوربا تفيق من سباتها وتنفض عن عقلها غبار الكهنوت الأسود .

وكان للحضارة الإسلامية أثر كبير على النهضة الأوربية عن طريق الأندلس وجامعاتها المشهورة وعن طريق ترجمة المؤلفات العربية إلى اللاتينية ، وعن طريق اتصال الأوربيين بالمسلمين فى رحلاتهم للتجارة أو لزيارة الأماكن المقدسة فى فلسطين أو خلال حملاتهم الحاقدة وحروبهم الصليبية على الشرق الإسلامى .

---

(١) من المراجع فى الفلسفة الأوربية :
- قصة الفلسفة الحديثة — د . أحمد أمين ، د. زكى نجيب محمود .
- تاريخ الفلسفة الحديثة — يوسف كرم .
- المذاهب الفلسفية العظمى فى العصور الحديثة — د . محمد غلاب .

ويطلق عصر النهضة على الفترة الواقعة بين القرن الرابع عشر الميلادى والقرن السابع عشر .

وتتميز هذه المرحلة بثلاثة ملامح أساسية هى :

— الكشوف الجغرافية .

— الإصلاح الدينى بقيادة مارتن لوتر .

— حركة إحياء للفنون والآداب القديمة .

ومن أهم فلاسفة عصر النهضة « فرنسيس بيكون» (١٥٦١ — ١٦٢٦م) الملقب بأبى التجريبية الحديثة ، وصاحب نظرية أوهام العقل ، وله تصور عن مجتمع مثالى ضمنه كتاب « أطلانطس الجديدة »

٣ — الفلسفة الحديثة :

تاريخ هذه المرحلة من القرن السابع عشر الميلادى حتى القرن التاسع عشر وقد تكاثر أعلام هذه المرحلة وتعددت مذاهبهم وسلكوا مسالك شتى فى الفكر الإنسانى .. ومن أشهرهم :

— توماس هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩ م) .

فيلسوف إنجليزى يفسر الوجود كله بالمادة حتى عمليات الذهن العقلية ، فالمعرفة كلها مصدرها الإحساس الذى هو عملية مخية تبدأ بمؤثر خارجى يضغط على الجسم الإنسانى ..

والانفعالات حركات جسمية .

والتخيل أساسه إحساس متقادم .

والذاكرة مجموعة إحساسات قديمة ذابلة .

وتداعى المعانى يرجع إلى حركات فى المخ .

— ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠):

فيلسوف فرنسى ، يعرف بأنه أبو الفلسفة الحديثة ، وصاحب الشك المنهجى الذى صاغه هكذا :

أنا أشك فأنا أفكر فأنا موجود . .

ويرى ديكارت أن الفلسفة بمثابة شجرة ، جذورها الميتافيزيقا ، وجذعها العلم الطبيعى وأغصانها باقى العلوم ، وهذه ترجع إلى ثلاثة كبرى هى الطب والميكانيكا والأخلاق .

ويرى أن فكرة وجود الله فطرية أولية قائمة على أن فكرة موجود كامل لامتناه — واضحة متميزة ليست من اختراع النفس لأنها ناقصة ، ولا من العالم الخارجى لأنه مؤلف من أشياء محدودة .

ومن أهم كتبه : مقال فى المنهج ، وتأملات فى الفلسفة الأولى، ومبادىء الفلسفة .

— جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨ م):

فليسوف فرنسى ترك بصمات بارزة على أوربا فى السياسة والدين ، وفى الأدب والفن ، وفى التربية والاجتماع .

ومن أشهر كتبه « إميل » وضع فيه منهجه التربوى حيث تخيل طفلا سماه «إميل» وجعل منه نموذج الإنسان المثالى .

ويعد كتاب « العقد الاجتماعى» أضخم عمل فكرى ناقش فيه روسو الميثاق الاجتماعى وحقوق السيادة والحكومة وأشكالها والنظم السياسية وعقائد الدين المدنى الذى أقامه على أنقاض الكهنوت الكنسى .

— كانت (١٧٢٤ — ١٨٠٤م) .

فيلسوف ألمانى ، صاحب المذهب النقدى وثنائية العقل ، ادعى استحالة العلم الذى لا يستند إلى الحس ، وزعم أن وجود الله وخلود الروح يعجز عنها العقل النظرى فلا يمكن الاستدلال على مثل هذه القضايا . ولكن يسلم بها العقل العملى لمنافعها وآثارها فى حياة الإنسان .

— فخته (١٧٦٢ — ١٨١٤م) .

فيلسوف ألمانى نادى بالمثالية الذاتية التى تقرر أن كل ما هو موجود هو ذواتنا ، وأن سائر حقائق الكون هى من خلق الذات وإنتاجها .

— هيجل (١٧٧٠ — ١٨٣١ م) :

فيلسوف ألمانى نادى بالمثالية المطلقة التى تحد من التطرف الذاتى أو الموضوعى ؛ وتصل إلى وحدة عضوية هى المطلق أو الروح الكلى الذى يتجلى فى الطبيعة .

وفلسفة هيجل منهج ومذهب :

فالمنهج هو الجدل أو «الديالكتيك» وهى كلمة يونانية الأصل تعنى فن المناقشة والحوار ، ويتكون من القضية ونقيضها والمركب منهما .

أما المذهب فهو تطبيق هذه الحركات الثلاث على كل شىء فى الفكر أو المادة . فنجم النبات الضئيل يحمل فى باطنه الدوحة العظيمة ، وهذه الدوحة تنسخ ذلك النجم وتثبته فى آن واحد ، والطفل يتضمن الرجل ، والرجل ينفى ويؤيد الطفل فى وقت واحد .

— شلينج (١٧٧٥ — ١٨٥٤) :

فيلسوف ألمانى نادى بالمثالية الموضوعية التى تنتصر للطبيعة الخارجية

تجعلها فى مرتبة واحدة مع الفكر ، فالطبيعة عقل منظور ، والعقل طبيعة مختفية .

— شوبنهور (١٧٨٨ — ١٨٦٠م) :

فيلسوف ألمانى ، صاحب الفلسفة التشاؤمية القائلة بأن العالم بجميع أجناسه وأنواعه ونصائله ماهو إلا إرادة منبعها شر وسوء ، وأن أعظم نعيم للناس جميعاً هو الموت .

— تشارلس داروين (١٨٠٩ — ١٨٨٢م) :

فيلسوف إنجليزى ، صاحب نظرية تطور الأنواع التى تقوم على قانون الانتخاب الطبيعى القائل بأن الحياة نشأت بمحض الاتفاق والمصادفة البحتة .

فالخلية الحلية أو الأميبا صورة متطورة من المادة البحتة غير العضوية ، ثم تطورت تلك الخلية إلى أخرى معقدة ، فظهرت المملكة النباتية والحيوانية ، ثم ظهرت الزواحف بأنواعها ، وما لبثت أن انقرضت وقام على أنقاضها الثدييات ، ومن بينها الإنسان الذى تطور عن القردة العليا ، والفرق بينه وبين الحيوان الأعجم فرق بالكم والدرجة فقط .

— كارل ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣م) :

فيلسوف ألمانى ، تقوم فلسفته على الإلحاد والشيوعية ، فالمادة — فى زعمه — أزلية أبدية ، وهى سبب كل وجود ، وليس ثمة مكان لقوة أخرى فوق الطبيعة ، والعالم بقضه وقضيضه مادى .

ويمر المجتمع الشيوعى بمرحلتين هما : الاشتراكية ثم الشيوعية ، وخلال مرحلة الانتقال تكون القيادة للطبقة العاملة (البروليتاريا)

التي تستخدم الإرهاب الأحمر والعنف الثوري والقمع المستمر للقضاء على الرجعية .

— فردريك نيتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠م) :

فيلسوف ألماني ، صاحب نظرية الإنسان الأعلى ومجتمع العمالقة — السوبرمان — التي تقوم على الإلحاد والقضاء على الكنيسة ورجالها ، وتمجيد القوة والمغامرة .

٤ — الفلسفة المعاصرة :

حفل القرن العشرين بمذاهب فلسفية متباينة منها :

— البرجماتية :

وتقوم على استلهام المادة والمنفعة العملية ، وتربط بين الفكر والنتائج الفعلية . ويتزعم هذا الاتجاه «تشارلس بيرس» (١٨٣٩ — ١٩١٤ م)، و «وليام جيمس» (١٨٤٢ — ١٩١٠ م) ، و «جون ديوى» (١٨٥٦ — ١٩٥٢م) .

— الروحية :

تنادي باستقلال الجانب النفسي والروحي في الانسان ، وتأكيد وجوده وديمومته الخلاقة في الكون كله والحياة بأسرها . . وأبرز دعاة هذا الاتجاه الفيلسوف الفرنسي — هنري برجسون . (١٨٥٩ — ١٩٤١ — م) .

الوجودية :

تمجد الانسان الفرد ، وتعده الحقيقة الوحيدة الملموسة التي تؤكد

الوجود الانسانى ، ويعتقد فلاسفة الوجودية أن الوجـــود أسبق من الماهية ، وأن الفرد هو الذى يحدد صفاته ويسعى إليها ، ولذلك يتنابه القلق والغثيان والعدم .. إلى غير ذلك من المصطلحات التى اخترعوها .

ومن أشهر زعماء هذا الاتجاه فى الفلسفة المعاصرة الفيلسوف الفرنسى « جان بول سارتر » (١٩٠٥ - ١٩٨٠م)[١] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول أديان الفلسفة راجع كتابنا « الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة ط دار المعارف بمصر وكتابنا « المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإســـلام منه » ط دار المعارف بمصر .

الباب الثاني

دراسة الأديان

تمهيد : أهمية دراسة الأديان

الفصل الأول : موقف القرآن

الفصل الثاني : دراسات المسلمين

الفصل الثالث : دراسات غير المسلمين

تمهيد :

أهمية دراسة الأديان

الناس تتوزعهم أديان شتى ومذاهب متباينة ، والانسان العاقل يرتضى لنفسه الدين الصحيح الذى يتوائم مع الفطرة ، ويتلاءم مع العقل، ويبنى الحياة الفاضلة ، ويمنح سعادة الدنيا والآخرة .

ودراسة الأديان تجلى مواطن الحق من الباطل ، وتظهر المحاسن من المساوىء ، وتهب العقل الرضا بما يجب اعتقاده ، وتشرح الصدر بما استقر في القلب وانطوى عليه الفؤاد .

ومن واجب المؤمنين بالدين الصحيح أن يقدموه بصفائه ونقائه إلى الآخرين ، مقرونا بالحجة، مصحوبا بالدليل ، مدعما بالبرهان ، ولا يتأتى ذلك إلا بدراسة الأديان والمقارنة بينها .

وقد عاشت البشرية — وتعيش — أزماناً كثيرة تحمل السلاح وتتقاتل وتهلك الحرث والنسل من أجل نشر دين أو إشاعة مذهب أو إكراه الناس على عقيدة ، ولو عرفت البشرية الحرية الفكرية بمعناها الصحيح ؛ وأفسحت المجال لدرسة الأديان ومقارنتها لو فرت جهداً كبيراً ، وانتفعت بخيرات وفيرة ، وأينعت فى جنباتها ثمرات من كل زوج بهيج ..

إن فتح العقول والقلوب هو الهدف الأسمى للرسالات الإلهية ، وإن جهاد الكلمة وصدق البيان وحسن التوجيه هو المعركة الأولى فى حياة الأنبياء ، لقد تحملوا البأساء والشدة ، وكان المؤمنون ضحايا عنف الطغاة وكبرياء المستبدين فى أول الامر ثم جاءهم النصر الإلهى وتحقق لهم التمكن فى الأرض وساروا بالحق والعدل .

قال تعالى : « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا .

فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد . .

واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد .

من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ »[1] .

إن هناك باحثين تقولوا على الفتوحات الإسلامية ، وأطلقوا ألسنة حدادا ، وكانوا أبعد الناس عن الإنصاف وموازين العلم .

ورحم الله أحمد شوقى حين قال :

قالوا غزوت ، ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٣ : ١٧

الفصل الأول

موقف القرآن

- مبادىء وقواعد
- سورة براءة
- عقائد وأديان

مبادىء وقواعد :

إن القرآن المجيد أعلن مبادىء في مجال دراسة الأديان ، وأرسى قواعد ازالت حلما للبشرية حتى الآن .

١ — يقول الله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون »(١)

وهذا النص نزل في العهد المكي ، وقد فرق بين طالبي الهداية وحاملي السلاح ، وأمر المسلمين أن يعلنوا عقيدتهم السمحاء التي تحترم الرسالات الإلهية كلها وتؤمن بالمرسلين أجمعين ، وتسلم القلب والقالب لله الواحد الأحد ...

وظل القرآن يؤكد هذا المعنى في العهد المدني ، ونزل قوله تعالى : « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد(٢) »

فالمسلم مطالب بعرض عقيدته وبيان حجته وإظهار دليله ، فمن أسلم فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن أبى ثم ألقى السلم وأراد الأمن عاش في ذمة الله ورسوله ، ومن تمرد وحمل علينا السلاح قاتلناه حتى يكون الطريق للدين معبدا بلا عوائق أمام السالكين الأحرار .

٢ — يقول الله تعالى : « قل من يرزقكم من السموات والأرض ،

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٦
(٢) سورة آل عمران الآية ٢٠

قل الله ، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون ، قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم »(١) .

إن هذا النص الكريم يقدم النزاهة والحيدة فى موضوع الجدال ، ويدفع بالخصم إلى التأمل الواعى والتفكير المستنير ، ويأخذه برفق وحلم وأناة كى يستبين الحق ويدرك الحقيقة ، ويؤكد أن البشر جميعاً سيقفون أمام الخالق الأعظم للحساب والجزاء ، وأن المسئولية الفردية تجعل كل إنسان على حذر وحيطة فى مجال العقائد .

٣ — قال الله تعالى « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين » .

إن هذه السورة الكريمة تفسح المجال لتعايش أصحاب العقائد المختلفة دون إضرار بهم ومن غير إلجاء لهم أو إكراه .

فالسورة تأمر الرسول ﷺ أن يخاطب الكافرين ويبين لهم أن الدين لا مساومة فيه ولا تنازل عنه ، فكل إنسان وما اعتقد ويتحمل مسئولية اعتقاده . .

وكان المشركون قد عرضوا على رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة ، وظنوا أن مسألة العقيدة من الأمور التى يتهاون فيها ويتجوز الولاء حيالها .

إن الدين قائم على الاعتقاد الجازم ، وينبغى أن يكون مطابقاً للواقع ناشئاً عن دليل .

---

(١) سورة سبأ الآية ٢٤ : ٢٦

وما لم يكن اعتقادا لا يكون دينا ..
وما لم يكن مطابقا للواقع لا يكون دينا صحيحا ..
وما لم يكن ناشئاً عن دليل لا يكون لصاحبه عقل سليم ...

* * *

سورة براءة :

ويوم ضاقت الأرض بالحق . وزلزل المسلمون زلزالا شديداً ، وتكالبت الأحزاب عليهم من كل جانب — كان المنطق والدين والعقل مورد العدوان، ورفع الظلم ، وفتح الطريق ، وإزالة المعوقات وتكسير الأغلال، وتمكين الناس من رؤية النور والانتفاع بالهدى .

إن سورة براءة تعد من آخر سور القرآن نزولا ، وافتتحت على غير ما عهد فى كافة السور القرآنية من البدء بالبسملة ، لأنها تبدأ بداية حاسمة وتقف وقفة تصفية مع أعداء الإسلام .

ومع ذلك كانت هناك ضوابط لهذه الوقفة وتلك التصفية ، أهمها :

١ — أنها فرقت بين الغادر والوفى، فقال الله تعالى « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين »[١] .

٢ — أنه .. مع إعلان الحرب وانقضاء فترة الهدنة فإن من استجار بالمسلمين وحاول أن يتفهم الدين أو أن يقضى حاجة له فى دار الإسلام فإنه يجار ، ويوفر له الحماية والأمن ، قال الله سبحانه « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون »[٢] .

---

(١) سورة براءة الآية ٤ (٢) سورة براءة الآية ٦

وهذا الحكم ثابت إلى يوم القيامة فلا غدر ولا خيانة ..

٣ — حددت الآيات ملامح هؤلاء الذين تبرأ الله ورسوله منهم ، وجاءت بمجموعة أوصاف لهم في قوله تعالى : «كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ، يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون ، اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون[1] »..

ثم كشفت الآيات تاريخهم العفن وماضيهم في الضلال والإضلال الذي ما زالوا عليه فقالت :

«فقاتلوا أئمة الكفر ، إنهم لا أيمان لهم ، لعلهم ينتهون ، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول ، وهم بدأوكم أول مرة ، أتخشونهم ، فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين »[2] .

إن الغزوات في عهد الرسول ﷺ ، والفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين كانت دفاعا عن النفس ، أو تأمينا للدعوة والدولة ، أو تحريرا للبلاد والعباد من الطغاة المستبدين . .

عقائد وأديان :

ونعود فنقول : إن للقرآن المجيد دورا رائدا في حفز المسلمين لدراسة الأديان والمقارنة بينها . ويتجلى ذلك من خلال مناقشة القرآن نفسه للأديان والمذاهب ، فقد عرض عقائد المخالفين وحلل اتجاهاتهم الفكرية وفصل بينها بالحجة والبرهان . .

---

(١) سورة براءة الآية ٨ : ١٠

(٢) سورة براءة الآية ١٢ ، ١٣

وهذه نماذج لبعض عقائد المخالفين والرد عليها ، نسوقها — كما وردت — آيات بينات .

١ — بالنسبة للدهريين الذين كذبوا بلقاء الآخرة وقالوا :

« هيهات هيهات لما توعدون .

إن هي إلا حياتنا الدنيا .

نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين[١] »

تعقيبهم القرآن في مواطن عدة منها قوله تعالى :

« يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث .

فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً .

وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج »[٢] .

* * *

٢ — وبالنسبة للمشركين القائلين :

« أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب »[٣]

(١) سورة المؤمنون الآية ٣٦ (٢) سورة الحج : الآية ٥

(٣) سورة ص : الآية ٥

تولى القرآن الرد عليهم فى مواطن عدة منها قوله تعالى :

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[١] .

« وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون[٢] » .

* * *

٣ — وبالنسبة لليهود :

جاءت سور وآيات تتعقب اليهود فى عقائدهم وتكشف فضائحهم وتلفتهم إلى منطق العقل والدين .. منها قوله تعالى :

- « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة .

قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده ؟ !

أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ ! »[٣] .

- « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله .

قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم .

قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ؟

ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون »[٤] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٢ (٢) سورة المؤمنون الآية ٩١

(٣) سورة البقرة الآية ٨٠

(٤) سورة البقرة : الآية ٩١ : ٩٢

• « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ...

وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما »[1] .

* * *

٤ — وبالنسبة للنصارى القائلين :

« إن الله هو المسيح ابن مريم[2] »

« إن الله ثالث ثلاثة[3] »

جاءت نصوص قرآنية تدعو إلى يقظة الوعي العقلي في فهم قضية المسيح منها قوله تعالى :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »[4] .

« ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون.

قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعاً والله هو السميع العليم »[5] .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٥٦ : ١٥٨

(٢) سورة المائدة : الآية ٧٢

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٢

(٤) سورة آل عمران : الآية ٥٩

(٥) سورة المائدة : الآية ٧٥

وشرح هذه الآيات وبيان مناهج الاستدلال فيها مما يحتاج إلى مجلدات .

ثم إن تاريخ الأنبياء مدون ومسطر فى القرآن المجيد ، وعلى مدى خمسة وعشرين نبيا ورسولا ذكرهم القرآن وجعل قصصهم عبرة للأولين والآخرين ، وفصل أحداث حياتهم ودعوتهم ، وسجل تفاصيل جهادهم ، بدءا من قصة آدم ونشأة الخليقة وعمارة الأرض ، ومرورا بقصة نوح والطوفان ، وقصة إبراهيم وأبنائه إسماعيل وإسحق ، وأحفاده يعقوب ويوسف ، وقصة صالح وهود ولوط وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ، وانتهاء بقصة محمد ﷺ فى نشأته ورسالته ودعوته وجهاده وصبره ونصره .

وكل ذلك تأريخ للأديان ودراسة للعقائد وتأصيل لقصة الصراع بين الحق والباطل ..

وصدق الله حيث يقول :

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »[1] .

---

(١) سورة يوسف : الآية ١١١

الفصل الثاني

دراسات المسلمين

- في الوصف
- في النقد
- في المواجهة
- في الاعتراف

لمحة عامة

فى دراسات المسلمين

اهتم المسلمون بدراسة الأديان والمقارنة بينها ، وحفزهم إلى ذلك موقف القرآن المجيد ومنهجه فى عرض العقائد ومناقشتها .

أضف إلى هذا تحمل المسلمين لأمانة التبليغ لرسالة الإسلام العالمية، تلك الأمانة التى تقتضى معرفة واقع الناس الفكرى والعقدى كى يستطيعوا عرض الحقيقة ودفع الشبهة وإقامة الحجة .

ومن جهة أخرى فقد عاش فى دولة الإسلام مواطنون لهم أديان شتى وعقائد مختلفة ، ووجد هؤلاء من الأمن والحرية ما دفعهم إلى مجادلة المسلمين والدخول معهم فى مناظرات عقدية جعلت المسلمين يبحثون تلك العقائد وينقبون عن خفاياها .

وماجت الدولة الإسلامية فى عصورها المتعاقبة بحركة عقلية كبيرة نشطت فى مجالات عدة ، أهمها دراسة الأديان .

ولم يخل زمن ولا جيل ولا مصر على مدى تاريخ المسلمين — من علماء أفذاذ خاضوا غمار هذه الدراسات بكفاءة نادرة ، وأثروا الفكر الإنسانى بإنتاج ضخم وصفا ونقدا ، تحليلا وتعقيبا ، عرضا ومناقشة .

ويمكن تقسيم هذه الدراسات إلى مجموعة اتجاهات فكرية :

١ — اتجاه وصفى يقدم الدين والمذهب كما يراه أصحابه ، ويدع لفطنة القارىء تمييز الطيب من الخبيث ، والحق من الباطل ، والهدى من الضلال .

ومن نماذج هذا الاتجاه كتاب «الملل والنحل» للشهرستانى، وكتاب «الفهرست» ، لابن النديم .

٢ — اتجاه نقدى يتعقب جوانب الضعف فى الملة والدين والنحلة ، ويبرز الحجج التى يواجه بها المخالفين ، وينتصر للإسلام .

ومن نماذج هذا الاتجاه كتاب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » لابن حزم الأندلسى .

٣ — اتجاه دفاعى يواجه حملات التنصير التى تتربص بالمجتمع الإسلامى ونشر الفتنة بين المسلمين .. فيأخذ شكل المناظرات والمحاورات والرد على الشبهات .

ومن نماذج هذا الاتجـــاه كتاب « مقامع هامات الصلبان وروائع روضات الايمـان » لأبى جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبى عبيدة الخزرجى .

وكتاب « منحة القريب المجيب فى الرد على أهل الصليب » للشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر .

٤ — اتجاه اعترافى يقوم على بيان خطأ عقيدة سابقة ، وضلال دين كان عليه صاحبه إلى أن هداه الله تعالى للإسلام وعرف نور الحقيقة ، ووصل إلى يقين الحق فأسلم لله وشهد له سبحانه بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة ، وآثر أن يقدم تجربته للآخرين ويعترف لهم بما نشأ عليه وبما صار إليه .

ومن نماذج هذا الاتجاه كتاب « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » للقس الأسبانى « إنسلم تورميدا » المشهور بعبد الله الترجمان الأندلسى .. وكتاب « محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن » للقس السابق إبراهيم فيلبس .

* * *

ونسوق للقارىء الكريم عرضا عاما لهذه الكتب .

الفهرست

من الكتب التي قلما تذكر في مجال دراسة الأديان — رغم أهميتها الكبيرة — كتاب «الفهرست»[1] فقد حوى كل ما سجل باللغة العربية إبداعا أو ترجمة، وما جادت به قرائح الفكر الانساني في مجالات شتى وفنون متنوعة.

ألفه محمد بن إسحق، الشهير بابن النديم، وكنيته أبو الفرج، وكنية أبيه أبو يعقوب، توفي عام ٣٨٥هـ تقريبا.

ويمتاز الكتاب بالعرض السريع والمعلومة السهلة والفكرة القريبة الوافية، وافتتحه المؤلف بمقدمة يسيرة معبرة فقال:

«رب يسر برحمتك، النفوس — أطال الله بقاءك — تشرإب إلى النتائج دون المقدمات، وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات.

فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات في صدر كتابنا هذا، إذ كانت دالة على ما قصدناه في تأليفه إن شاء الله.

فنقول — وبالله نستعين، وإياه نسأل الصلاة على جميع أنبيائه وعباده المخلصين في طاعته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم —

هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم؛ الموجود منها بلغة العرب، وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة».

---

(١) الناشر دار المعرفة — بيروت

بعد هذه المقدمة القصيرة الصادقة ساق المؤلف عشر مقالات على النحو التالي :

المقالة الأولى :

في وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها .

ثم انتقل إلى أسماء كتب الشرائع المنزلة من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، وذكر أن الله تعالى أنزل مائة كتاب وأربعة كتب[١] .

فأول كتاب منها أنزله جل اسمه صحف آدم عليه السلام ، وهي إحدى وعشرون صحيفة . والكتاب الثاني أنزله الله على أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام ، وهو ثلاثون صحيفة ، والكتاب الرابع أنزله الله جل اسمه على إبراهيم عليه السلام وهو عشر صحائف ، والكتاب الخامس على موسى عليه السلام وهو عشر صحائف ، فذلك خمس كتب ، مائة صحيفة .

ثم أنزل تبارك وتعالى التوراة على موسى عليه السلام بعد الصحف بزمان في عشرة ألواح[٢] .

ثم أنزل الله عز وجل على داود المزامير وهي الزبور الذي في أيدى اليهود والنصارى ، وهو مائة وخمسون مزمورا .

وساق ابن النديم أسماء كتب اليهود والنصارى وأخبار علمائهم ومصنفيهم .

---

(١) هذا العدد فيه نظر ، ويعوزه الدليل القاطع

(٢) هناك خلاف بين العلماء بشأن الألواح، فيرى بعضهم أن الألواح مشتملة على التوراة ، ويرى آخرون أن الألواح أعطيها موسى قبل التوراة . والله أعلم .

وفى ختام المقالة الأولى تحدث عن نزول القرآن الكريم بمكة والمدينة وترتيب نزوله، وأخبار القراء السبعة، وأسماء رواياتهم وقراءاتهم، وذكر أسماء الكتب المصنفة فى تفسير القرآن، والمؤلفة فى معانيه، ومشكله ومجازه، وغريبه، وقراءاته، ونقطه وشكله، وفضائله، وأحكامه.

ثم جاءت المقالة الثانية بعنوان :

فنون النحويين واللغويين .

والمقالة الثالثة بعنوان :

فنون الأخبار والآداب والسير والأنساب .

والمقالة الرابعة بعنوان :

فنون الشعر والشعراء .

المقالة الخامسة بعنوان :

فنون الكلام والمتكلمين .

جعل هذه المقالة خمسة فنون :

١ — فى ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم.

٢ — أخبار متكلمى الشيعة الإمامية والزيدية وأسماء كتبهم .

٣ — أخبار متكلمى الخوارج وأسماء كتبهم .

٤ — أخبار متكلمى المجبرة والحشوية وأسماء كتبهم .

٥ — أخبار السياح والزهاد والعباد والمتصوفة .

والمقالة السادسة بعنوان :

أخبار الفقه والفقهاء والمحدثين .

وتحدث فيها عن :

• مالك وأصحابه وكتبهم .

- أبي حنيفة النعمان وأصحابه وكتبهم .
- الشافعي وأصحابه وكتبهم .
- وأحمد بن حنبل وأصحابه وكتبهم .
- داود بن علي وأصحابه وكتبهم .
- فقهاء الشيعة وأسماء ما صنفوه من الكتب .
- فقهاء أصحاب الحديث وكتبهم .
- الطبري وأصحابه .
- فقهاء الشراة وكتبهم .

والمقالة السابعة بعنوان :

أخبار الفلاسفة والعلوم القديمة والكتب المصنفة في ذلك، وتحدث عن:

- أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي .
- أخبار أصحاب الهندسة والموسيقى والحساب والتنجيم .
- الأطباء القدامى والمحدثين وأسماء مصنفاتهم .

وفي كل ذلك يسوق الأعلام اليونانيين والمسلمين والنصارى فيقول مثلا عن حنين[1] :

حنين بن إسحق العبادي ، ويكنى أبا زيد ، والعباد نصارى الحيرة، وكان فاضلا في صناعة الطب، فصيحا باللغة اليونانية والسريانية والعربية، دار البلاد في جمع الكتب القديمة .

وقال عن سابور بن سهل[2] :

(1) ص ٤٠٩ (2) ص ٤١٣

صاحب بيمارستان جنديسابور ، وكان فاضلا عالما متقدما ، وله من الكتب كتاب « الأقراباذين » المعمول به فى البيمارستانات ودكاكين الصيادلة ، اثنان وعشرون بابا ، وكتاب قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها ، توفى سابور بن سهل وكان نصرانيا يوم الإثنين لتسع بقين من ذى الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين .

* * *

والمقالة الثامنة بعنوان :

أخبار المسامرين والمخرفين وأسماء الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات .

وساق ابن النديم أسماء كتب الفرس والهند والروم ، وأسماء العشاق الذين عشقوا فى الجاهلية والإسلام ، بل إنه زاد أسماء عشاق الإنس الجن ، وعشاق الجن للإنس ،

ثم تحدث عن أسماء المعزمين والمشعبذين والسحرة وأصحاب الحيل والطلسمات ، وأخيرا تحدث عن نوادر المغفلين والكتب المؤلفة فى الفأل والزجر والفروسية والبيطرة والمواعظ والآداب ، وتعبير الرؤيا ، والطبيخ ، والسمومات ، والتعاويذ والرقى .. كل ذلك عند الفرس والهند والروم والعرب .

* * *

والمقالة التاسعة بعنوان :

المذاهب والاعتقادات .

وبدأها ابن النديم بوصف مذاهب الحرنانية الكلدانيين والثنوية وتكلم عن عقائدهم وعباداتهم وأعيادهم ورؤسائهم وفرقهم وأسماء كتبهم ورسائلهم ، ثم سرد أسماء الفرق النصرانية التى كانت بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ ، وذكر أكثر من خمسين فرقة .

وذكر أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه فى مذاهب الهند وقال[١] :

قرأت فى جزء ترجمته ما هذه حكايته :

كتاب فيه ملل الهند وأديانها ، نسخت هذا الكتاب من كتاب كتب يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين، لا أدرى الحكاية التى فى هذا الكتاب لمن هى ، إلا أنى رأيته بخط يعقوب بن اسحق الكندى حرفا حرفا .

وكان تحت هذه الترجمة ما هذه حكايته بلفظ كاتبه :

حكى بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكى بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة فى بلادهم وأن يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب .

قال محمد بن اسحق :

الذى عنى بأمر الهند فى دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند واحضارها علماء طبها وحكمائها .

وذكر ابن النديم أسماء مواضع العبادات فى بلاد الهند ، وصفة البيوت ، وبعض مللهم ، ثم ختم هذه المقالة بالحديث عن مذاهب أهل الصين وشىء من أخبارهم .

٭ ٭ ٭

والمقالة العاشرة بعنوان :

أخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين .

ويعنى بذلك صناعة الذهب والفضة من غير معادنها ، وساق أن خالد ابن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان هو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء ، وقيل له[٢] :

---

(١) ص ٤٨٤ (٢) ص ٤٩٧

لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة .. فقال خالد :

ما أطلب بذاك ! إلا أن أغنى أصحابي وإخوانى، إنى طمعت في الخلافة فاختزلت دونى فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة فلا أحوج أحدا عرفنى يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة .

قال ابن النديم :

ويقال — والله أعلم — أنه صح له عمل الصناعة ، وله فى ذلك عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير فى هذا المعنى ، ورأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه كتاب الحرارات ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيته إلى ابنه فى الصنعة .

وبعد — فالفهرست إضافة تاريخية مهمة فى دراسة المذاهب والعقائد، ويحوى إشارات ذات دلالة ومغزى فى تتبع دراسة الأديان ، ويدل دلالة قوية على مدى ما استوعبته اللغة العربية من تراث الأقدمين وفكر الإنسانية .

الملل والنحل

هذا الكتاب من أهم الكتب التى ألفت فى دراسة الأديان والمذاهب ويقوم على المنهج الوصفى الذى يقدم الدين أو المذهب كما يراه أصحابه.

وهو من تأليف الإمام الفيلسوف أبى الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أحمد المعروف بالشهرستانى نسبة إلى موطنه «شهرستان» والمتوفى عام ٥٤٨ هـ عن عمر قارب السبعين ، وقد قال فى مقدمه كتابه[١]:

فلما وفقنى الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل ، والوقوف على مصادرها ومواردها ، واقتناص أوانسها وشواردها[٢] أردت أن أجمع ذلك فى مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر ، واستبصارا لمن اعتبر .

وأخذ الشهرستانى على نفسه عهدا فقال[٣] :

وشرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم . دون أن بين صحيحه من فاسده ، وأعين حقه من باطله ، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية فى مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل ، وبالله التوفيق »

---

(١) الملل والنحل — تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل ص ٩ ط دار الفكر

(٢) الأوانس جمع آنسة وهى الشابة الجميلة والمراد بها هنا المعلومات القيمة ، والشوارد جمع شاردة والمراد هنا المعلومات النادرة .

(٣) ص ١٤

وقد ابتدأ المؤلف كتابه بأرباب الديانات والملل ، وقدم من أرباب الديانات المسلمين ، فخصهم بالباب الأول ، وجعل كبار الفرق الإسلامية أربعا هي :

القدرية — الصفاتية — الخوارج — الشيعة

وجاء الباب الثاني بعنوان : أهل الكتاب .

وعرفهم بأنهم الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام .

وقسمهم إلى قسمين : ١ — اليهود ٢ — النصارى .

ثم ذكر آراءهم ومعتقداتهم وكتابهم وفرقهم وما أجمعوا عليه .

وجاء الباب الثالث بعنوان : من له شبهة كتاب .

ويعني بهم المجوس والمانوية فهم بقايا ملة إبراهيم ، ولهذا يجوز عقد الذمة معهم ، ويعاملون معاملة اليهود والنصارى لكن لا تجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ،

وذكر الشهرستاني معتقدات هؤلاء وفرقهم ومقالاتهم .

وبهذا انتهى الجزء الخاص بأرباب الديانات ، وتلاه جزء يتكلم فيه عن أهل الأهواء والنحل من الصابئة والفلاسفة وآراء العرب في الجاهلية وآراء الهند ، وجعلهم يقابلون أرباب الديانات تقابل التضاد ، وذكر أن اعتمادهم على الفطر السليمة والعقل الكامل والذهن الصافي .. وقال : [1]

---

(١) ص ٢٥٨

إن التقسيم الضابط هو :

١ — من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفطائيون.

٢ — ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعيون.

٣ — ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ، ولا يقول بحدود وأحكام وهم الفلاسفة الدهريون .

٤ — ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ، ولا يقول بالشريعة والإسلام وهم الصابئة .

٥ — ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة ما وإسلام ، ولا يقول بشريعة نبينا محمد ﷺ وهم المجوس واليهود والنصارى .

٦ — ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون.

وفى الباب الأول من الجزء الخاص بأهل الأهواء والنحل — تحدث المؤلف عن الصابئة وأصحاب الروحانيات وأصحاب الهياكل والأشخاص.

وفى الباب الثانى تحدث عن الفلاسفة،وابتدأ بالحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة وهم:

تاليس الملطى (٦٢٤—٥٥٠ ق.م) ، وأنكساغورس ، وأنكسيمانس وأنباد قليس ، وفيثاغورس ، وسقراط ، وأفلاطون (٤٢٩—٣٤٧ق.م) ثم تكلم الشهرستانى عن الحكماء الأصول ، وهم من القدماء ولهم حكم مرسلة عملية ، ومنهم الشعراء والنساك ، وذكر منهم :

فلوطرخيس ، وأكسنوفانس ، وزينون الأكبر ، وديمقريطس ، وهرقل الحكيم ، وأبيقورس ، وسولون الشاعر ، وبقراط الطبيب وبطليموس المجسطى ..

وتلى ذلك الحديث عن متأخرى حكماء اليونان مثل:

أرسطوطاليس ، والاسكندر الرومى ، والاسكندر الأفروديسى ، وفرفوريوس ..

وجاء الفصل الرابع خاصا بالمتأخرين من فلاسفة الإسلام ، واهتم فيه بابن سينا وحده باعتباره علامة القوم ، وطريقته أدق ، ونظره فى الحقائق أغوص .. ونقل كلام ابن سينا فى المنطق والإلهيات والطبيعيات، وأعرض الشهرستانى عن نقل طرق الباقين من الفلاسفة وقال : كل الصيد فى جوف الفرا ..

وفى الباب الثالث من الجزء الخاص بأهل الأهواء والنحل تحدث الشهرستانى عن آراء العرب فى الجاهلية ..

وجعل العرب أصنافاً شتى ، منهم المعطلة الذين أنكروا الخالق والبعث ، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفنى .

ومنهم منكروا البعث مع إقرارهم بالخالق .

ومنهم منكرو الرسل وعباد الأصنام ،

ومنهم المحصلة الذين حصلوا بعض العلوم فى الأنساب والتواريخ والأديان والرؤيا ..

ثم تكلم الشهرستانى عن تقاليد العرب التى أقرها الإسلام وبعض عاداتهم ..

وجاء الباب الرابع والأخير بعنوان : آراء الهند .

وذكر فيه أن الهند أمة كبيرة، وملة عظيمة ، وآراؤهم مختلفة، وجعل

هـذا الباب خمسة فصول شملت البراهمة وأصحاب الروحانيات وعبدة الكواكب وعبدة الأصنام وحكماء الهند ..

وختم الشهرستانى كتابه قائلا :

هـذا ماوجدته من مقالات أهـل العلم ، ونقلته على ماوجـدته ، فمـن صادف فيه خللا فى النقل فأصلحه أصلح الله عـز وجل بفضله حاله ، وسدد أقواله وأفعاله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيد المرسلين محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الأكرمين وسلم تسليما كثيراً » .

الفصل فى الملل والأهواء والنحل

هذا الكتاب من أهم الكتب فى الجدل الدينى، وهو قائم على المنهج النقدى الذى يتعقب الأديان والمذاهب بالمناقشة الموضوعية، والتحليل العميق، وإيراد الحجج والبراهين .

ألفه الإمام أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، المولود فى قرطبة عام ٣٨٤ هـ والمتوفى عام ٤٥٦ هـ .

وذكر المؤلف فى مقدمته السبب الذى دفعه إلى تأليف كتابه هذا فقال :

« فإن كثيراً من الناس كتبوا فى افتراق الناس فى دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً .

فبعض أطال وأسهب ، وأكثر وهجر ، واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلا عن الفهم ، وقاطعاً دون العلم ..

وبعض حذف وقصر ، وقلل واختصر ، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات ، فكان فى ذلك غير منصف لنفسه فى أن لا يرضى لها بالغبن فى الإبانة ، وظالماً لخصمه فى أن لم يوفه حق اعتراضه، باخساً حق من قرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره ..

وكلهم إلا تحلة القسم — عقد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم ، وحلق على المعانى من بعد ، حتى صار ينسى آخر كلامه أوله .. »[1] .

---

(١) ص ٣٥ جـ١ تحقيق د. محمد إبراهيم نصر ، د . عبد الرحمن عميرة ط عكاظ لسنة ١٤٠٢ هـ

وجعل ابن حزم رءوس الفرق المخالفة للاسلام ستا هى :

أولاها : مبطلو الحقائق وهم الذين يسميهم المتكلمون السوفسطائية .

ثانيتها : القائلون بإثبات الحقائق إلا أنهم قالوا إن العالم لم يزل (قديما) وأنه لا محدث له ولا مدبر ..

ثالثتها : القائلون بإثبات الحقائق وأن العالم لم يزل ، وأن له مدبراً لم يزل ،

رابعتها : القائلون بإثبات الحقائق ، وقال بعضهم إن العالم لم يزل ، وقال بعضهم بل هو محدث ، واتفقوا على أن له مدبرين لم يزالوا ، وأنهم أكثر من واحد ، واختلفوا فى عددهم .

خامستها : القائلون بإثبات الحقائق ، وأن العالم محدث ، وأن له خالقاً واحدا لم يزل وأبطلوا النبوات كلها ..

سادستها : القائلون بإثبات الحقائق وأن العالم محدث وأن له خالقاً واحدا لم يزل ، وأثبتوا النبوات ، إلا أنهم خالفوا فى بعضها ، فأقروا ببعض الأنبياء عليهم السلام وأنكروا بعضهم ..

* * *

وابتدأ ابن حزم كلامه مع السوفسطائيين ، وجعلهم أصنافاً ثلاثة:

١ — صنف منهم نفى الحقائق جملة .

٢ — صنف منهم شكوا فيها .

٣ — صنف منهم قالوا هى حق عند من هى عنده حق ؛ وهى باطل عند من هى عنده باطل.

ورد على السوفسطائيين بأن حس العقل شاهد بالفرق بين ما يخيل إلى النائم وبين ما يدركه المستيقظ ، وخاطبهم قائلا :

قولكم إنه لا حقيقة للأشياء أحق هو أم باطل ؟

فإن قالوا هو حق أثبتوا حقيقة ما ، وإن قالوا ليس هو حقاً أقروا ببطلان قولهم ، وكفوا خصومهم أمرهم !!

ثم تكلم ابن حزم عن الدهرية وأقام البراهين الضرورية على إثبات حدوث العالم ، وناقش القائلين بقدم العالم وأن له فاعلاً قديما ، وأن العلاقة بينهما هي العلية وقال :

إن هذه المقالة عين المحال والتخليط والفساد ، فالمفعول هو المتنقل من العدم إلى الوجود ، ولا علة لما خلقه الله ..

ثم ناقش القائلين بتعدد فاعل العالم ومدبره ، وهم المجوس والصابئة وغيرهم، وتلى ذلك الكلام على النصارى، فجماهيرهم وفرقهم لا يقرون بالتوحيد مجردا بل يقولون بالتثليث ، وأدار الحوار مع الملكانية والنسطورية واليعقوبية في تصوراتها حول طبيعة المسيح ، وأثبت بطلان مزاعمهم وأنها كلها محال ..

وتتابع حديث ابن حزم فتكلم عن المنكرين للنبوة والملائكة ، فأكد ضرورة النبوة وأنها تعني بعثة قوم قد خصهم الله تعالى بالحكمة والفضيلة والعصمة ، لا لعلة إلا أنه شاء ذلك ، فعلمهم الله تعالى العلم بدون تعلم ولا تنقل في مراتبه ولا طلب له ..

وحكم ابن حزم بالكفر على من قال إن في كل نوع من أنواع الحيوان أنبياء ، حتى البق والبراغيث والقمل ، لأن الله تعالى خاطب بالحجة من يعقلها فقال « يا أولي الألباب » ، وقد علمنا بضرورة الحس أن الله تعالى

إنما خص الإنسان بالنطق الذى هو التصرف فى العلوم ومعرفة الأشياء على ما هى عليه والتصرف فى الصناعات على اختلافها ..

وأضفنا إلى الإنسان بالخبر الصادق بجرد الجن . .

وأضفنا إليهم بالخبر الصادق الملائكة ..

ثم تحدث ابن حزم عن القائلين بتناسخ الأرواح ومن أنكر الشرائع من المنتمين إلى الفلسفة . . وذهب ابن حزم إلى التقاء الفلسفة والدين فقال : الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئا غير إصلاح النفس بأن تستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها فى المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرعية .

وهذا نفسه لا غيره هو الغرض فى الشريعة ، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة »(١) .

ثم جاء الكلام مع اليهود ، فقسمهم ابن حزم خمس فرق هى :

١ — السامرية :

لا يعرفون حرمة لبيت المقدس وينقلون التقديس إلى مدينة نابلس ولهم توراة غير التوراة التى بأيدى اليهود ، ويبطلون كل نبوة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام .

---

(١) ص ١٧١ ح ١

٢ — الصدوقية :

ينسبون إلى رجل يقال له « صدوق » وهم يقولون إن العزير هو ابن الله تعالى الله عن ذلك .

٣ — العنانية :

وهم أصحاب «عانان» وتسميهم اليهود القرايين ، ولا يتعدون شرائع التوراة وما جاء فى كتب الأنبياء ، ويتبرءون من قول الأحبار ويكذبونهم . .

٤ — الربانية :

وهم القائلون بأقوال الأحبار .

٥ — العيسوية :

وهم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى، يقولون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويقولون :

إن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بنى إسرائيل على ما جاء فى الإنجيل وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل .

وإن محمدا ﷺ نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل وإلى سائر العرب .

وأكد ابن حزم أن سائر الأنبياء الذين ذكروا فى التوراة الحالية ولا نعرفهم فى القرآن لا اقطع بصحة نبوتهم ، ونقول آمنا بالله وكتبه ورسله .

وتطرق ابن حزم إلى موضوع المسيخ الدجال فقال :

إن المسلمين فيه على أقسام ، فأما ضرار بن عمرو وسائر فرق الخوارج فإنهم ينفون أن يكون الدجال جملة فكيف أن يكون له آية ؟ !

وأما سائر فرق المسلمين فلا ينفون ذلك والعجائب المذكورة عنه إنما جاءت بنقل الآحاد .

وقال بعض أصحاب الكلام إن الدجال إنما يدعى الربوبية ، ومدعى الربوبية فى نفس قوله بيان كذبه ، قالوا فظهور الآية عليه ليس موجبا لضلال من له عقل ، وأما مدعى النبوة فلا سبيل إلى ظهور الآيات عليه ، لأنه كان يكون ضلالا لكل ذى عقل .

قال أبو محمد : وأما قولنا فى هذا فهو أن العجائب الظاهرة من الدجال إنما هى حيل من نحو ما صنع سحرة فرعون ، ومن باب أعمال الحلاج وأصحاب العجائب ... »[1] .

ثم ساق ابن حزم مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة فى الكتاب الذى تسميه اليهود التوراة وفى سائر كتبهم ، وفى الأناجيل الأربعة ، يتيقن بذلك تحريفها وتبديلها وأنها غير الذى أنزل الله عز وجل .

وعرض ابن حزم بالتفصيل لكيفية تحريف التوراة ووصف حالها من أول دولتهم ، إثر موت موسى عليه السلام ، إلى انقراض دولتهم ، إلى رجوعهم إلى بيت المقدس ، إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق .

وتعرض ابن حزم لنقطة مهمة وهى :

كيف يستقيم القول بتحريف التوراة والإنجيل مع أن المسلمين يستشهدون على اليهود والنصارى بما فيها من ذكر صفات النبى ﷺ ؟

---

(١) ص ١٩١ ح ١

وقد أجاب ابن حزم بأن كفار بنى إسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

وبدل كفار النصارى الإنجيـــل فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

واستأنس ابن حزم لذلك بأن اليهود قتلوا بعض الأنبياء وكف الله أيديهم عن آخرين منهم .

ثم واصل ابن حزم مناقشاته وتحليلاته وإصدار أحكامه فتكلم عن الفرق الإسلامية وتناول إعجاز القرآن ومسائل القضاء والقدر ، والإيمان والكفر ، والوعد والوعيد والبعث والقيامة ، والإمامة الكبرى .

واختتم ابن حزم كتابه بمناقشة هادفة لطيفة فى الكلام عن المعارف ، وساق اختلاف الناس فيها ، فقال قائلون : المعارف كلها باضطرار إليها .

وقال آخرون : المعارف كلها باكتساب لها ، وقال آخرون : بعضها باضطرار وبعضها باكتساب .

وصحح ابن حزم أن الإنسان يخرج إلى الدنيا ليس عاقلا ، لا معرفة له بشيء كما قال عز وجل « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا »[1] .

ثم يحدث الله للإنسان قوة على التفكير واستعمال الحواس فى الاستدلال .

وناقش ابن حزم القائلين بتكافؤ الأدلة وأنه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ، وتغليب مقالة على مقالة ، وكل ما ثبت بالجدل فإنه بالجدل ينقض .

---

(١) سورة النحل — الآية ٧٨

وأكد ابن حزم أن هذه الطائفة المتحيرة قد شهدت على نفسها بالجهل وكفت خصومها مؤنتها، وليس جهل من جهل — حجة على علم من علم .

والواجب عليهم أن ينظروا فى براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصى بغير هوى، ولابد حينئـــذ أن يلوح حقيقة قول المحق وبطلان قول المبطل، فتزول عنهم الحيرة والجهل .

ومن قطع بأن ليس ههنا مذهب صحيح أصلا فإن قوله ظاهر الفساد بيقين، فلا خلاف بين أحد له مسكة عقل فى أن كل ما لم يكن حقا فهو باطل، وما لم يكن باطلا فهو حق . اللهم إلا إذا كان هؤلاء منكرين للحقائق أصلا فيلحقون بالسوفسطائيين . . !!

وبيّن ابن حزم أن القضية ليست غلبة فى مجلس وهزيمة فى مجلس آخر، وليست خاضعة لقوة المناظر وقدرته على البيان والشغب والتمويه، لأن غلبة الموقف ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقق وإن كانت له، ولا يلتفت إليها وإن كانت عليه . فتغالب المتناظرين لا معنى له ولا يجب أن يعتد به .

والذى يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الأمور على ما هى عليه هو أن يبحثوا فيما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بها أهل فرقة فى ذلك الباب، فإذا نقضوها ولم يبقوا منها شيئا، تأملوها كلها حجة حجة، فيزوا الشغبى منها والإقناعى فاطرحوها، وفتشوا البرهانى على حسب المقدمات، وميزوا البرهان بما ليس برهانا من غير ميل إلى هوى، أو إلف أو نفور، أو كسل .

وحينئذ فإن الحق يلوح واضحاً ممتازاً من كل باطل دون إشكال . .

وبهذا يكون ابن حزم صاحب فكر رائد، وسبق فذ فى مناقشة العقائد وبحث المذاهب ومقارنة الأديان ..

مقامع هامات الصلبان

وروائع روضات الإيمان

سقطت مدينة طليطلة فى أيدى النصارى ، وانتشر القساوسة يلقون أسئلة الزيغ والضلال على المسلمين المستضعفين يومئذ ، ولم تكن الثقافة الإسلامية متمكنة فى النفوس ، فدفعوا بهذه الأسئلة إلى شاب نجيب هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبى عبيدة [بفتح العين] الأنصارى الخزرجى الساعدى [نسبة إلى سعد بن عبادة] ، وكانت سنه يومئذ اثنتين وعشرين سنة ، فأخذ يلقنهم الجواب ويرد على الشبهات ويبطل معتقد النصارى..

وقد تلقى أبو عبيدة رسالة من القسيس الذى يتزعم الفتنة ويترأس الضلال فى المنطقة ، جاء فيها :

من فلان إلى فلان

باسم الآب والابن والروح القدس، إله واحد

سلام عليك أيها الفتى الإسماعيلى المحمدى ورحمة الله وبركاته

أما بعد حمد الله الذى هدانا لدينه ، وأيدنا بيمينه ، وخصنا بابنه ومحبوبه، ومد علينا رحمته بصلبه يسوع المسيح ، إلهنا الذى خلق السموات والأرض وما بينهن ، والذى فدانا بدمه المقدس ، ومن عذاب جهنم وقانا، ورفع عن أعناقنا الخطيئة التى كانت فى أعناق بنى آدم بسبب أكله من الشجرة التى نهى عنها ، فخلصنا المسيح بدمه ، وفدانا بدمه ، ومن عذاب جهنم وقانا ..

أهرق دمه فى مرضات جميع ولد آدم ، إذ كان الذنب باقياً فى أعناق جميعهم ، فكلهم تخلص منه إلا من كفر به وشك فيه . .

فإذا أردت أن يتغمدك الله برحمته، وتفوز بجنته فآمن بالله، وقل إن المسيح ابن الله. الذى هو الله، والروح القدس، ثلاثة أقانيم فى أقنوم واحد، فستنجح وترشد..

وبدأ القسيس محاولة الخداع والتمويه بذكر ما فى القرآن الكريم من شأن المسيح ومعجزاته..

وشرح كيفية هبوط الإله والتحامه ببطن مريم العذراء البتول أم النور..

ثم عرض لشبهات حول الإسلام فى الزواج والطلاق والجهاد، وطعن فى وصف القرآن لمريم بأنها أخت هارون. ورفض أن يكون فى الجنة مأكل ومشرب ومنكح..

ثم قال فى النهاية:

وأنا قد بذلت لك النصيحة فى هذه الرسالة لما ظهر لى من ذكائك فاعتبرها وتدبرها، والله يجعلها نورك وسبب هداك.. آمين».

ولما وقف الشاب الألمعى على هذه الرسالة زجر موصليها وامتنع عن مراجعة القسيس تخوفاً منه لكونه يومئذ بين ظهرانيهم وفى كنف دياناتهم فألح الناس عليه فى الجواب، وخلال ذلك حان موعد سفره عنهم فكتب هذا الجواب المسمى، مقامع هامات الصلبان، وروائع روضات الإيمان[1].

---

(١) طبع هذا الكتاب بعنوان: بين الإسلام والمسيحية لأبى عبيدة الخزرجى المتوفى سنة ٥٨٢ هـ — تحقيق د. محمد شامة — مكتبة وهبة بالقاهرة.

واستفتح أبو عبيدة رسالته بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا محمد ثم قال :

فصل : فى تقديم الاعتذار عن النزول إلى إجابتك للاعتراف بأن الالتفات إلى ما لديكم يخل بعقل الإنسان ودينه ..

وساق رأيا لأحد ملوك الهند وصف فيه النصارى بأنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية الصالحة والعقلية الواضحة ، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً ... وبنوا ذلك شرعا لا يؤدى ألبتة إلى صلاح نوع من أنواع العالم إلا أن يصير العاقل إذا تشرع به أخرق أحمق ، والمرشد سفيها ، والحسن مسيئاً . .

لأن من كان فى أصل عقيدته التى نشأ عليها — الإساءة إلى الخالق ، والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى ، فخليق به أن يستحل الإساءة إلى المخلوق . .

وأخذ يناقش دعاوى النصارى واحدة واحدة ويرد عليها ويبطلها ، وبدأ بإبطال دعوى ألوهية المسيح عليه السلام ، وتعجب من دعوة القسيس له إلى الدخول فى النصرانية وقال[1] :

ومن أعجب قولك ، الشاهد على جهلك أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله ، وترغب مؤمنا فى عيسى ابن مريم عليه السلام رسول الله ، وكلتا الخلتين قد أحكم عندنا مضمارها ، ولدينا ثبوتها واستقرارها ، ومنا صدع ظهورها فى الخليقة واستمرارها .

---

(١) ص ١٢٧

كواكب الإيمان بالله عندنا تتجلى ، ونحن بالمسيح ابن مريم رسول الله أولى ، قدرناه حق قدره ، وقلنا بفضله المعلوم وفخره ، واعتقدناه بمنزلة تقبلها الأفهام وتليق بالعقول والأوهام ..

[لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا][1] .

وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفى نقيض :

- مفتون به ضال [النصارى]
- وظالم بغيض [اليهود]

وهما فى عمى بصائرهما سيان ، ولدى حلبة الكفر فرسا رهان.... .

وقارن أبو عبيدة بين آدم وعيسى وقال :

أليس من الواضح عند ذوى العقول أنه لما لم يلزم من عدم الأب ، والأم البشريين لآدم عليه السلام أن يكون ابناً لله تعالى، ولما لم يبعد خلق آدم من التراب — لم يبعد أيضاً خلق عيسى عليه السلام من الدم الذى كان يجتمع فى رحم أمه عليها السلام .

وساق المؤلف من نصوص الأناجيل ما يثبت أن المسيح ما ادعى غير النبوة المعلومة ولم يدع الألوهية تصريحاً . ولم يذكر الأقانيم توضيحاً وقال :

ألم تقرأ فى إنجيلك الكائن بين يديك عن عيسى أنه قال حين خرج من السامرة ولحق بالجليل : أنه لم يكرم أحد من الأنبياء فى وطنه ؟!!

---

(١) سورة النساء — الآية ١٧٢

وفى الإنجيل للوقا : أنه لم يقبل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف نقبلونه ...؟ !!

وحسبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة .

وناقش المؤلف مزاعم النصارى حول معجزات المسيح التى رفعوه بها إلهاً ، وهى فى الحقيقة دلائل نبوته ومعالم رسالته ووقع مثلها للأنبياء على مدى تاريخ الرسالات ..

ثم تكلم المؤلف عن اضطراب الأناجيل وتناقضها وساق نماذج عدة منها :

١ — فى إنجيل يوحنا :

« إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير مقبولة ، وغيرى يشهد لى » .

وفى موضع آخر :

إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب » .

أخبرنى كيف تكون الشهادة حقاً وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ؟

وكيف يجمع بين هذين فى كتاب منسوب إلى الله تعالى ؟

٢ — فى إنجيل متى :

« لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض ، لم آت لصلاحهم ، لكن لألقى المحاربة بينهم ، إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه ، وبين الإبنة وأمها ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته .

وفى الإنجيل نفسه :

« إنما قدمت لتحيوا ، وتزدادوا خيرا ، وأصلح بين الناس » .

٣ — فى إنجيل متى :

« لم آت لأنقض شريعة من قبلى ، إنما جئت لأتمم »

وبعد أسطر قليلة ينقض شريعة التوراة حرفا حرفا فى قوله « أما علمتم أنه قيل للقدماء : لا تقتلوا ومن قتل فقد استوجب القتل ، وأنا أقول :

كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة . .

ومن قذف أخاه فقد استوجب النفى من الجماعة . .

ومن رماه بالحرق فقد استوجب جهنم . .

أما علمتم أنه قيل للقدماء : من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق . .

وأنا أقول : من فارق امرأته منكم فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا ، ومن تزوج مطلقة فهو فاسق . .

أما بلغكم أنه قيل للقدماء : العين بالعين والسن بالسن

وأنا أقول لكم : لا تكافئوا أحدا بسيئة ، ولكن من لطم خدك اليمنى فانصب له خدك اليسرى ، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده أيضا رداءك . . »

وختم أبو عبيدة هذا الموضوع قائلا

فأناجيلكم ماهى إلا حكايات وتواريخ وكلام كهنة وتلاميذ وغيرهم ، حتى إنى أحلف بالذى لا إله إلا هو أن تاريخ الطبرى عندنا أصح نقلا من الإنجيل ، ويعتمد عليه العاقل أكثر ، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبنى عليه شىء من أمر الدين ، وإنما هو فكاهات فى المجالس . . . »

وتكلم أبو عبيدة على إبطال دعوى صلب المسيح من خلال الإنجيل وبأدلة التاريخ والعقل . . وساق من نصوص الأناجيل ما يؤكد الاختلاف والشكوك فى صلب المسيح وقال :

إن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام شهد للتلاميذ الإثنى عشر بالسعادة [متى ١٩ : ٢٨] ، وشهادته حق ، ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم إذا شرع فيه ، ويهوذا أحد الإثنى عشر فيلزم :

- إما أن يكون يهوذا لم يدل على المسيح .
- أو يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق .
- أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل .

فاختاروا لكم واحدة من هذه الثلاث .

ثم أخذ أبو عبيدة يرد على الشبهات التى أثارها القسيس ، ولم يعجب من تطاول القسيس على الإسلام ونبى الإسلام، فعقيدته تقوم على إذلال الخالق والتحقير لعظمته ووصفه تعالى بغير صفاته الحسنى ، وخليق بمن دان بمثل هذا الكذب أن يجرى على سنن مثله من الطعن فى دين الله وكتابه الحكيم ورسوله الكريم . . وتحدث المؤلف عن إعجاز القرآن وذكر الآية الكريمة :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[١] »

وعرض لبعض ما فى القرآن من الإخبار بالغيب .

وساق بعض المعجزات لسيدنا محمد ﷺ .

---

(١) سورة الإسراء — الآية ٨٨

ونقل بعض البشائر بالنبي الأمي العربي في كتب اليهود والنصارى .

ثم تساءل قائلا :

أخبرني هل كان نبي غير محمد ﷺ جمع الأجناس والأمم كلها على اختلافها واختلاف لغاتها ودياناتها وممالكها وبلادها فجعلها جنساً واحداً ولغة واحدة ومملكة واحدة وديناً واحداً ؟ !!

إن العرب والفرس والنبط والقبط والأكراد والترك والديلم والحبش والبربر ، ومن أسلم من أهل الهند والسودان والروم وغيرهم على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرأون القرآن .

وتكلم بعد ذلك عن تحريف التوراة ومافيها من المفتريات على الله تعالى وأنبيائه الكرام، وذكر القبائح والسوءات التي لطخوا بها المصطفين الأخيار أمثال نوح ، وإبراهيم ولوط ويعقوب وموسى وداود وسليمان عليهم السلام .

وأكد أبو عبيدة قضية مهمة تظهر في كل عصر ، وهي ما يدعيه الكهان والقساوسة من خوارق العادات لأنفسهم وقال :

إن حذاق النصارى وعقلاءهم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة يبنى عليها ، ولا أصل يرجع إليه جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة وأباطيل مزخرفة وضعوها في الكنائس والمزارات[1] .

وساق نماذج عدة لهذه الخرافات والحيل الكاذبة منها :

ما وصف من قناديل وصلبان عظام معلقة بين السماء والأرض .

---

(١) في العصر الحديث ادعى القساوسة أن العذراء تظهر أعلى أبراج كنيسة الزيتون بالقاهرة، وتبين أنها لون من الأشعة الموجهة .

ولا تمس شيئا ولا يمسها شيء ، يمشى الناس إليها ويتعجبون من ذلك ويفسرون هذه الظاهرة بأنها من بركة هذا المكان .

ثم تبين أن سبب وقوف الصليب فى الهواء وضع حجارة مغناطيسية فى ست جهات .

* * *

وفى نهاية الكتاب أكد المؤلف أن الإنسان البدائى الذى ينشأ فى أماكن نائية لا يعرف الدين ولا يخالط بنى الإنسان يرفض أن تكون له عقيدة كعقيدة النصارى ، ويأنف الاعتراف بهذا الدين الفاسد .

منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب

هذا الكتاب(١) ألفه الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمّر المولود في الدرعية بنجد عام ١٢٠٣ هـ والمتوفى عام ١٢٤٤ هـ .

ويمتاز الكتاب بسلاسة الأسلوب وتدفق الفكرة وعمق المعرفة ، وقد واجه به المؤلف كتابا في التنصير خطه المندوب الإنجليزي في البحرين بعنوان «مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن» يشتمل على طعون في الرسالة الإسلامية والرسول محمد ﷺ ، ويشيد بالنصرانية ، وبعث المندوب الإنجليزي بكتابه هذا إلى حاكم البحرين الشيخ عبد الله بن خليفة ليعرضه على العلماء المسلمين فانبرى له الشيخ عبد العزيز بن حمد وسجل الرد في فترة وجيزة وسلمه لحاكم البحرين .

وسلك الشيخ مسلكا منصفا فأتى بمقالة المندوب الإنجليزي ثم أعقبها بالرد عليها مفنداً لها ، مبينا دلائل الحق .

والكتاب مقسم إلى مقامات ، وكل مقام مقسم إلى فصول .

المقام الأول :

بدأ المؤلف — رحمه الله تعالى — مقامه الأول ببيان تبديل النصارى لدين المسيح عليه السلام ، ونقل عبارة الإمام ابن القيم :

« لم يبق بأيدي النصارى منه شيء بل ركبوا دينا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام » .

وذكر أثر المجامع الكنسية في تحريف النصرانية ، وتعقبها واحداً واحدا ثم قال :

---

(١) ط دار ثقيف للنشر والتأليف بالطائف لسنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م

« فهذه عشرة مجامع كبار من مجامعهم مشهورة ، اشتملت على أكثر من أربعة عشر ألفا من التبارك (البطارقة) والأساقفة والرهبان كلهم ما بين لاعن وملعون » .

وانتقل المؤلف إلى الحديث عن حال العالم قبل الإسلام ، حيث كان الناس فى إعراض عما جاءت به الرسل ، وأن الشرائع قد اندرست ، وأن الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم ، فكانت بعثة محمد ﷺ رحمـــة من الله لخلقه ، هداهم بها بعد الضلالة ، وبصرهم بها من العمى ، وأرشدهم بها من الغى ، وأخرجهم بها من الظلمات إلى النور .

وساق الحديث الشريف :

« إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من بنى إسرائيل » وفى رواية لمسلم : إلا بقايا من أهل الكتاب .

المقام الثـانى :

ناقش فيه المؤلف دعوى النصارى أن المسيح قتل وصلب ، وذكر أنها مستندة إلى أخبار من وضع الكتب التى بأيدى النصارى ، وهى غير موثوق بها . لأنها كانت فى أول الأمر بأيدى عـــدد قليل لا يستبعد تواطؤهم على الكذب والتبديل ، فلا يعارض بها خبر من جاء بالمعجزات التى لا مرية معها أنه أخبر بما أخبر به عن وحى الله .. « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم »[1] .

وأكد المؤلف حصول الاختلاف بين النصارى فى صحة بعض كتبهم التى هى عمدتهم فى الدين بزعمهم ، وأنهم شاكون فى رسالة بطرس الثانية ، ورسالتى يعقوب ويهوذا ، والرسالتين المنسوبتين إلى يوحنا .

---

(١) سورة النساء — الآية ١٥٧

فليس للنصارى من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة الإسلامية من الأئمة العلماء الذين دونوا الحديث وحرروه .

قال أبو حاتم الرازى : لم يكن فى أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أئمة يحفظون آثار الرسل إلا فى هذه الأمة . فقال له رجل : يا أبا حاتم وبما رووا حديثا لا أصل له . فقال : علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم ...

واستشهد المؤلف على تحريف كتب النصارى بما فيها من الاختلاف والتناقض والإخبار بأشياء على غير ماهى عليه . فإن ما كان من عند الله لا يكون فيه اختلاف ولا تناقض .

ووصف المؤلف النصارى بأنهم ضحكة للسفهاء ومثلة عند العقلاء لجمعهم بين النقيضين فى دعوى قتل المسيح وصلبه ودعوى ألوهيته وربوبيته . ثم إنهم قد مزجوا أخبارهم بكتب أنبيائهم ، فقصة اليهود مع المسيح ومزاعم قتله وصلبه ثم قيامته من بين الأموات وغيرها من الأخبار المحكية عن تلاميذ المسيح وأتباعه قد خلطها النصارى مع كتاب الله من غير تمييز . . !!

وناقش المؤلف تحريف النصارى صفة النبى محمد ﷺ فى كتبهم ، وذكر نصوصا من التوراة والإنجيل ما زالت موجودة بأيديهم تدل على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام . وأكد أن أهل الكتاب لو تركوا الهوى وصدقوا كتب الله لعرفوا أن محمداً رسول الله .. [الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ..][1] .

---

(١) سورة الأعراف — الآية ١٥٧

المقام الثالث : فضل محمد ﷺ .

نقل المؤلف مقالة المندوب الإنجليزي حول الترجيح بين عيسى ومحمد عليهما السلام وساق مزاعم الرجل التي فضل بها المسيح مثل أن المسيح لم يكن له أب من البشر وأما محمد فمولود من ذكر وأنثى ، وأن المسيح ارتفع إلى السماء وأما محمد فمدفون في قبره ؛ وأن المسيح لم يعرف شهوات النكاح وأما محمد فكان مغرماً بالنساء ، وأن المسيح كان سمحاً وأن محمداً حمل السلاح ..

وبدأ الشيخ نقاشه بإثبات أن الترجيح يكون بين مشتركين في الفضل ملتزمين بالحق معترفين بحقيقة كل من الشريعتين ..

أما إذا كان أحدهما محقا والآخر مبطلا فلا ترجيح ، فأين النسبة بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ؟!

ثم إن الترجيح بين الأنبياء ليس للبشر وإنما هو اختيار الله عز وجل فضل من شاء بما شاء [تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض .] (١)

والله تعالى اختار الأنبياء على من سواهم ، اصطفى لهم من الأخلاق أزكاها ، واختار لهم أفضلها وأولاها ، وجمع الفضائل التي فرقها فيهم لخاتمهم وسيدهم وأفضلهم محمد ﷺ .

وساق المؤلف نماذج للخلق المحمدي وأحال القارىء إلى كتب الشمائل والسيرة النبوية ..

ثم أشار إلى فضيلة النكاح شرعاً وعقلا وضرورته للإنسان فرداً وجماعة .. وناقش المؤلف مسألة ميلاد عيسى عليه السلام بلا أب وأنها

---

(١) سورة البقرة — الآية ٢٥٣

لا تقتضي تفضيلا لأن التنويع في الخلق دليل على قدرة الخلاق وكمال ربوبيته وأنه المستحق لأن يعبد وحده ..

وليس من تعظيم الأنبياء الغلو فيهم ومجاوزة الحد برفعهم عن منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية والربوبية ، وصدق الله حيث يقول : «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون »[1]

ورد المؤلف تعلق النصارى ببعض تعبيرات القرآن الكريم عن المسيح بأنه كلمة الله أو روح منه ، وقال : ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى أي قوله كن فيكون ..

وأن لفظة «من» في قوله تعالى « وروح منه »[2] ليست للتبعيض بل لابتداء الغاية كما في قوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه »[3] أي من خلقه ومن عنده ، فعيسى مخلوق من روح مخلوق ، وأضيف إلى الله تشريفاً .. وأثبت المؤلف خطأ النصارى في قولهم بالثالوث والتوحيد ، وساق أنواعاً من الحجج القرآنية في الرد على النصارى .

وانتقل المؤلف ليناقش دعوى المندوب الإنجليزي بأن محمدا ﷺ صاحب الغزاة والقتال ، وبيّن فساد هذا الاعتراض بأن قتال الأعداء فضيلة تدل على شرف النفس وعلو الهمة ، وأن القتال ليس مختصا بشريعة محمد ﷺ ، فقد قاتل كثير من الأنبياء بإذن ربهم ، وأن في الجهاد من المصالح العظيمة ما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة ، كإعلاء كلمة الله ، وعزة

---

(١) سورة المائدة — الآية ٧٥
(٢) سورة النساء — الآية ١٧١
(٣) سورة الجاثية — الآية ١٢

المؤمنين ، وإقامة أحكام الدين ، وتشتيت شمل الظالمين ، وإخراج الناس من رق الشيطان إلى عبادة الرحمن .»

وتحدث المؤلف بعد ذلك عن مسألة رفع المسيح وبين أنها فضل الله عليه وميزة اختص بها لا تقتضى الأفضلية ، كما خص داود بإلانة الحديد وتأويب الجبال والطير معه ، وخص سليمان بتسخير الجن والشياطين ..

وبدأ المؤلف يسوق معجزات النبي ﷺ . وقدم معجزة القرآن الكريم وشرح وجوه الإعجاز ، ثم تكلم عن معجزة انشقاق القمر ، وساق أخبارا وقعت كما تحدث بها النبي ﷺ مثل إخبـاره بموت النجاشي يوم موته بالحبشة ، وقوله لسراقة بن جعشم : كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ، فألبسهما بن الخطاب عمر له لما زال ملك كسرى فى زمنه ، وروى كثيرا من معجزات الرسول الكريم كحنين الجذع ، وسجود الجمل وشكواه إليه ، ونبع الماء من أصابعه الشريفة ، وتكثير الطعام القليل ببركة دعائه ، وإبراء ذوى العاهات ، وعصمته من الناس ، ثم قال :[1] .

« وكانت آياته قبل مولده ، وعند مولده ، وحال نشأته ، ثم ظهرت الآيات الكبار بعد بعثته ، منها ما وقع مقارنا للتحدى ، ومنها غير ذلك ، ثم استمرت آياته ومعجزاته بعد وفاته وعلى مر السنين وتعاقب الدهور ، من وقوع ما أخبر به من الغيوب ، ومن ظهور دينه على الدين كله ، واقتران العز والظهور بطاعته واتباع شريعته ، والذل والصغار بإضاعة أمره ومخالفته بما يبين ذلك للمتوسمين فى عموم الناس وفى خاصة أنفسهم ، وأكبر ذلك وأعظمه معجزة القرآن المستمرة على مر السنين ، وبقاؤه محفوظا كما أنزل غضا طريا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) ص ٢٣٤

المقام الرابع : انتشار الإسلام .

بدأ يعرض مقالة النصرانى حول انتشار المسيحية والإسلام، ومزاعمه بأن المسيحية انتشرت بواسطة الآيات التى صدرت عن المسيح وعن تلاميذه وبواسطة الصبر على الشدائد وأنواع العذاب فى طاعة الله . .

وأن الذين نشروا دين محمد ﷺ لم يظهروا شيئا من المعجزات ، ولم يقاسوا شيئاً من البلايا الشديدة ، وأن السيف هو الذى سهل طريق انتشار الإسلام ..

وقام الشيخ المؤلف بالرد على هذه الافتراءات والمغالطات ، وساق ألواناً من الأذى الذى تعرض له المسلمون فى مكة مما أدى إلى موت بعضهم فى التعذيب ، وهجرة البعض إلى الحبشة ، وحصار المسلمين فى شعب أبى طالب مدة ثلاث سنين أكلوا خلالها أوراق الأشجار ، إلى أن أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة .

ولما وصل الرسول ﷺ إلى المدينة ألف الله به القلوب، وجمع كلمة أهلها والتفوا حوله يدافعون عن الإسلام بلا دنيا بسطها عليهم، ولا أموال أفاضها إليهم ، ولا عوض فى العاجل أطمعهم فى نيله ..

ولم يكن ذلك من قبيل الاختيار العقلى والتدبير الفكرى ، وإنما هو أمر إلهى وشىء غالب سماوى ناقض للعادات ..

فقيام الدين الإسلامى إنما كان بالحجة ، وشرع الجهاد لتبليغ الأدلة وإنفاذ البيان إلى المخاطبين ..

ومعجزات الرسول ﷺ كثيرة مشهورة ومع ذلك فقد ظهر على أيدى أصحابه من الخوارق والآيات الدالة على أن متبوعهم رسول الله حقا — مالا حصر له ..

فأولياء الله المتقون المقتدون بمحمد ﷺ يؤيدهم الله تعالى بملائكته وروح منه ، ولهم من الكرامات ما يكون لحجـــة فى الدين أو لحاجة بالمسلمين .

وساق المؤلف نماذج عدة لهذه الكرامات وقعت لأبى بكر وعمر وأسيد بن حضير وعباد بن بشر ، وعامر بن فهيرة وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، والعلاء بن الحضرمى ، وأبى مسلم الخولانى ، وأويس القرنى .. الخ .

وناقش المؤلف مسألة الفتوحات الإسلامية وعدها من التمكين فى الأرض الذى وعد الله به عباده المؤمنين ، وأكد أن الفتوحات دليل على عناية الله بالمسلمين وتأييده لمن جاء بهذه الشريعة ، فقد كان المسلمون فى قلة وضعف وكان عدوهم فى قوة وكثرة ،

وإذا كان المسلمون فى بعض فترات التاريخ أصابهم الوهن وحلت بهم الهوائم ، فذلك للتمحيص والتثبيت والتهذيب ، وليعيش المسلمون بشريعة الله فى السراء والضراء ، وفى الشدة والرخاء ، وفى القبض والبسط ، ولكن العاقبة دائما للمؤمنين الصادقين .

المقام الخامس : كمال الشريعة الإسلامية .

أكد الشيخ — رحمه الله تعالى — أن الله قد جمع لمحمد ﷺ محاسن ما فى التوراة والإنجيل ، ولهذا يقال إن موسى عليه السلام بعث بشريعة الجلال ، والمسيح عليه السلام بعث بشريعة الجمال ، ومحمد ﷺ بعث بشريعة الكمال الجامعة بين الشريعتين ، والآخذة بمجامع الملتين ، ولذلك تأتى الشريعة الإسلامية بالعدل إيجابا له وفرضا ، وبالفضل ندبا إليه واستحسانا ، وبالشدة فى موضع الشدة ، وباللين فى موضع اللين ، ووضع السيف موضعه ، ووضع الندى موضعه .

فالمسلمون فوق اليهود والنصارى فى كل علم نافع وعمل صالح .

وبين الشيخ ماعليه النصارى من تعظيم الملوك وتقديس الكهان وسجود للصور والصلبان مما يتنافى مع توحيد الله عز وجل .

كما بين انحرافهم فى العبادة وابتداعهم الرهبانية، وما أحدثوه من الأعياد الباطلة، وما تناقلوه من الأساطير والروايات الكاذبة ،.

ثم تكلم الشيخ عن حكمة مشروعية الطلاق وتعدد الزوجات وقوامة الرجل على المرأة فى شريعة الإسلام ، وشرح حكمة تحريم الخمر ولحم الخنزير ، مما يؤكد أن الشريعة الإسلامية على أحسن وجوه الحكمة وأكمل طرائق المصلحة .

وختم الكتاب بالآية الكريمة :

« قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون »(١).

(١) سورة البقرة — الآية ١٣٩

تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب

مؤلف هذا الكتاب[١] قسيس أسبانى فى القرن التاسع الهجرى ، هداه الله تعالى إلى الإسلام ، يسمى «انسلم تورميدا» ، واشتهر بعبد الله الترجمان الأندلسى.

قدم تونس فى زمن أمير المؤمنين أبى العباس أحمد الحفصى ، وأسلم وسمى نفسه عبد الله، ووصف بالترجمان لقيامه بالترجمة فى بلاط الخليفة ، ولتعمقه فى أكثر من لغة .

ويسوق سر اختياره لهذا النوع من التأليف فيقول :

(لما من الله على بالهداية إلى الصراط المستقيم ، والدخول فى دين الله القويم ، الناسخ لكل دين ، الذى بعث به حبيبه وصفيه محمداً عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ونظرت فى دلائله القاطعة ، وبراهينه الساطعة ، فإذا هى لا تخفى على من له أدنى تمييز ، إلا من لا يبصر بيض النمام من الشونيز[٢] .

ووجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين — رضى الله عنهم — محتوية على ما لا مزيد عليه ، إلا أنهم — رحمهم الله — قد سلكوا فى معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات المعقول ، إلا الحافظ أبا محمد ابن حزم — رحمه الله — فإنه قد رد

(١) تحقيق الدكتور محمود على حماية ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤ م .

(٢) الحبة السوداء

عليهم بالمعقول والمنقول ، خصوصاً ما فى كتبهم — وأعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول إلا فى نادر من المسائل .

فكنت شديد الحرص على أضع فى الرد عليهم موضوعاً بطريق النقل وحقيقة الإنصاف ، الذى يجمع بين النقل والقياس ، وتتفق عليه العقول والحواس ، أبين فيه باطلهم ، وما أسسوه من القول بالتثليث ، والأخذ بذلك المذهب الخبيث ، وأذكر مع ذلك أناجيلهم ومن ألفها وشرائعهم ومن صنفها ، وفساد عقولهم ، وإبطال كفرهم فى منقولهم ، وافترائهم على عيسى المسيح ، وكذبهم على الله فى أمره بالصريح . واذكر مقال القسيسين واعتقادهم واحتيالهم وتركهم الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، وجحدهم فيه من صفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم نذكر حقيقة قربانهم وسجودهم لصلبانهم — أبعدهم الله تعالى وأخزاهم —حتى ألهمنى الله تعالى إلى الرأى السديد فى تأليف هذا المختصر السعيد)(١) :

ثم يعرض المؤلف منهجه فى تصنيف الكتاب قائلا:

(وجعلته ثلاثة فصول ليسهل مطالعته على الناظر ولا يمله الخاطر :

الفصل الأول :

فى ابتداء إسلامى ، وخروجى من الملة النصرانية إلى الملة الحنيفية ، وفيما غمرنى من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبى العباس أحمد ، وما اتفق لى فى أيامه .

---

(١) ص ٢٧ — ٢٩

الفصل الثانى :

فيما اتفق لى فى أيام مولانا أمير المؤمنين أبى فارس عبد العزيز ، ونذكر طرفاً من سيرته الحميدة و آثاره الجليلة وقت تصنيفى لهذا الكتاب وهو عام ثلاث وعشرين وثمان مائة من الهجرة النبوية .

الفصل الثالث :

فى مقصود الكتاب من الرد على النصارى فى دينهم ، وثبوت نبوة سيدنا محمد ﷺ بنص التوراة والإنجيل وسائر كتب الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وبتمامه يتم الغرض فى تصنيف هذا الكتاب بحول الله تعالى)(١) .

ويعنينا هنا قصة إسلام هذا القسيس وكيف بدأت ؟ ! .

ويخبرنا المؤلف أنه لما بلغ ست سنين أرسله والده إلى معلم من القسيسين فقرأ عليه الإنجيل حتى حفظ أكثر من شطره فى سنتين ، ثم أخذ فى تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق مدة ست سنين ، ثم ارتحل إلى مدينة هامة عند النصارى ، يجتمع فيها طلاب العلم لدى أحد القساوسة ، فلازمه ملازمة تامة قرأ فيها الإنجيل ولغته وبعض العلوم الأخرى مدة عشر سنين ، ثم ارتحل إلى مدينة ثالثة يجتمع فيها كل عام من الآفاق أكثر من ألفى رجل يطلبون العلم ولا يلبسون إلا لباساً واحداً متشابهاً يميزهم كطلاب ، ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذى يقرأون عليه .

---

(١) ص ٣٠ و ٣١

وهناك تعرف المؤلف بقسيس كبير السن والقدر معاً ، اسمه نقلاد مرتيل ، وانفرد بالهيبة والمكانة عن جميع أهل دين النصرانية ، وكانت الأسئلة ترد عليه من الآفاق من الملوك وغيرهم .

واستطاع المؤلف أن يتقرب إلى هذا القسيس ، ويحظى عنده بالثقة حتى أعطاه مفاتيح مسكنه وخزائن مآكله ، وصار كل شيء بيدي هذا الطالب النجيب ، ولم يستثن القسيس من ذلك شيئاً سوى مفتاح بيت صغير داخل مسكنه ، كان يخلو فيه ، هو بيت خزانة أمواله التي تهدى إليه .

ثم تأتى لحظة البداية ، وأول الغيث قطر .

يقول المؤلف :

(فلازمته على ما ذكرنا من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين ، ثم أصابه مرض يوماً من الدهر ، فتخلف عن مجلس قراءته ، وانتظر أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلم ، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام أنه يأتي من بعدي نبي اسمه البارقليط ، فبحثوا في تعيين هذا النبي ، من هو من من الأنبياء ؟ !

وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه ، فعظم بينهم في ذلك مقالهم ، وكثر جدالهم ، ثم انصرفوا عن غير تحصيل فائدة عن تلك المسألة .

فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور ، فقال لي : ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم ؟!

فأخبرته باختلاف القوم في اسم البارقليط ، وأن فلاناً قد أجاب بكذا . وأجاب فلان بكذا ، وسردت أجوبتهم .

فقال لى: وبماذا أجبت أنت؟ فقلت: بجواب القاضى فلان فى تفسيره للإنجيل، فقال لى: ماقصرت وقربت، وفلان أخطأ، وكاد فلان يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله، لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون فى العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل.. فبادرت إلى قدميه أقبلهما وقلت له: يا سيدى، قد علمت أنى ارتحلت إليك من بلد بعيدة، ولى فى خدمتك عشر سنين، حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تكمل على بمعرفة هذا الاسم الشريف ...»[1].

هنا بدأت بشائر الخير، وجاءت لحظة المخاض للميلاد الجديد فى الدين..

يقول المؤلف:

(فبكى الشيخ وقال لى: ياولدى، والله إنك لتعز على كثيراً من أجل خدمتك لى، وانقطاعك إلى، وإن فى معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكن أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى فى الحين.

فقلت له: ياسيدى، والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشىء مما تسره إلى إلا عن أمرك).

ثم أفصح القسيس عن السر المكتوم قائلا: (فاعلم يا ولدى أن «البارقليط» هو اسم من أسماء نبيهم محمد ﷺ، وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال عليه السلام، وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه دين الحق، وملته هى الملة البيضاء المذكورة فى الإنجيل).

---

(١) ص ٣٧ — ٣٩

هنا بدأ الشاب يسائل القسيس تساؤلات متوالية :

(قلت له : يا سيدى ، وماتقول فى دين النصارى ؟

فقال لى : يا ولدى ، لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله ، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله تعالى .

فقلت له : وكيف الخلاص من هذا الأمر ؟

فقال : ياولدى ، بالدخول فى دين الإسلام .

فقلت له . وهل ينجو الداخل فيه ؟

فقال : نعم ينجو فى الدنيا والآخرة .

فقلت له : ياسيدى إن العاقل لايختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم ، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك عنه ؟

فقال لى : يا ولدى ، إن الله تعالى لم يطلعنى على حقيقة ما أخبرتك به من فضل دين الإسلام وشرف نبي الإسلام إلا بعـــد كبر سنى ووهن جسمى ، ولاعذر لنا فيه ، بل حجة الله علينا قائمة ، ولو هدانى الله لذلك وأنا فى سنك لتركت كل شىء ودخلت فى دين الحق .

وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، فأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز والشرف وكثرة عرض الدنيا ، ولو أنى ظهر علىّ شىء من الميل إلى دين الإسلام لقتلتنى العامة فى أسرع وقت ، وهب أنى نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين ، وأقول لهم : إنى جئتكم مسلماً ، فيقولون لى قد نفعت نفسك بالدخول فىدين الحق فلاتمن علينا بدخولك فى دين خلصت به نفسك من عذاب الله ، فأبقى بينهم شيخا كبيراً فقيراً ابن تسعين سنة ، لا أفقه لسانهم ولا يعرفون حقى ، فأموت بينهم جوعاً ، وأنا — والحمد لله — على دين عيسى ، وعلى ما جاء به ، يعلم الله ذلك منى .

فقلت له : ياسيدى أفندانى أن أمشى إلى بلاد المسلمين ، وأدخل فى دينهم ؟ .

فقال لى : إن كنت عاقلا طالباً النجاة فبادر إلى ذلك ، تحصل لك الدنيا والآخرة)[1] .

لكن القسيس العجوز الذى استحكمت فيه العقيدة الفاسدة وتمكنت منه الدنيا وعسر عليه الجهر بالحق — حذر الشاب قائلا :

(ولكن يا ولدى هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن ، فاكتمه بغاية جهدك ، وإن ظهر عليك شىء منه تقتلك العامة لحينك ، ولا أقدر على نفعك ، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عنى ، فإنى أجحده ، وقولى مصدق عليك ، وقولك غير مصدق علىّ ، وأنا برىء من دمك إن فهت بشىء من هذا) .

وأخيراً ودع الشاب هذا القسيس العجوز ورحل إلى أرض المسلمين بتونس ، وهناك أعلن إسلامه فى حضرة السلطان وأمام جمع من النصارى الذين يعرفون مكانته فى دينهم وعلو منزلته فى علومهم .

وإذا طوينا بعض صفحات الكتاب لنصل إلى الفصل الثالث نجده قد خصصه للرد على النصارى بنص أناجيلهم وجعله مشتملا على تسعة موضوعات :

الأول : فى ذكر الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم لعنهم الله .

الثانى : فى افتراق النصارى على مذاهبهم وعدد فرقهم .

---

(١) ص ٣٩ — ٤١

الثالث : فى فساد قواعد دين النصارى والرد عليهم فى كل قاعدة منها بنص أناجيلهم .

الرابع : فى عقيدة شرائعهم التى يتعلمها صغيرهم وكبيرهم والرد عليهم بأصل أناجيلهم .

الخامس : فى بيان أن عيسى عليه السلام ليس بإله كما افترته النصارى .

السادس : فى اختلاف الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم .

السابع : فيما نسبوا إلى عيسى عليه السلام من الكذب وهم الكاذبون.

الثامن : فيما يعيبه النصارى على المسلمين أعزهم الله تعالى .

التاسع : فى ثبوت نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بنص الزبور والتوراة والإنجيل وبشارة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وما أخبر به الأنبياء من صحة بعثته وبقاء ملته .

ونقف متأملين ما كتبه فى هذا الموضوع الأخير فنجد أن المؤلف ذكر مجموعة بشارات هى :

الأولى : ما فى الفصل السادس عشر من الكتاب الأول من التوراة : أن هاجر لما هربت من سارة زوج إبراهيم ، رأت فى تلك الليلة ملكاً من الملائكة فقال لها : يا هاجر ما تريدين ؟ ومن أين أقبلت ؟

قالت : هربت من سارة ، قال : (ارجعى إليها واخضعى لها ، فإن الله سيكثر زرعك وذريتك . وعن قريب تحملين وتلدين ولداً اسمه إسماعيل ، لأن الله قد سمع خشوعك ، ويكون ولدك أعين الناس وتكون

يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، ويكون أمره فى معظم الدنيا) .

ومعلوم أن إسماعيل وأولاد صلبه لم يكونوا متصرفين فى معظم الدنيا وإنما الإشارة بذلك لعظيم ذريته وهو نبينا محمد ﷺ ، لأن دين الإسلام علا على أهل الأرض .

الثانية : ما فى الفصل الثامن عشر من الكتاب الخامس من التوراة : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : (قل لبنى إسرائيل إنى أقيم لهم آخر الزمان نبياً مثلك من بنى إخوتهم ، ومن لم يستمع كلمتى التى يؤديها عنى أنتقم منه) .

وهذا النص يدل على أن هذا النبى الذى يقيمه لبنى إسرائيل فى آخر الزمان ليس من نسلهم ولكنه من بنى إخوتهم ، وكل نبى بعد موسى كان من بنى إسرائيل وآخرهم عيسى عليه السلام ، فلم يبق من بنى إخوتهم إلا نبينا محمد ﷺ ، لأنه من ولد إسماعيل أخى إسحق جد بنى إسرائيل .

الثالثة : ما فى الفصل الثالث والثلاثين من الكتاب الخامس من التوراة : (إن الرب تعالى جاء من طور سيناء ، وطلع إلينا من ساعير ، وظهر من جبل فاران) .

يعنى مكة وأرض الحجاز ، فإن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض ، فكان الحجاز وتخومه لفاران ، فتسمى القطر كله باسمه .

الرابعة : ما اتفق عليه الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة :

أن عيسى عليه السلام قال للحواريين حين رفع إلى السماء : إنى أذهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم ، وأبشركم بنبى يأتى من بعدى اسمه بارقليط .

وهذا الاسم الشريف هو باللسان اليونانى ، وتفسيره بالعربية أحمد، كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ، وهو فى الإنجيل باللطينى (براكلتس) وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذى كان سبب إسلام المؤلف .

الخامسة : ما قال داود عليه السلام فى الزبور فى الفصل الثـانى والسبعين : (إنه يملك من البحر إلى البحر ، ومن أدنى الأنهار إلى مقطع الأرض ، وتأتيه ملوك اليمن والجزائر بالهدايا ، ويسجد له الملوك ، وتدين له بالطاعة والانقياد ، ويصلى عليه فى كل وقت ، ويبارك فى كل يوم ، وتنور أنواره المدينة ، ويدوم إلى أبد الأبد ، واسمه موجود قبل وجود الشمس) .

وهذه كلها صفات نبينا محمد ﷺ ، والوجود يشهد له ، وكل من دفع الصفات عنه فلا يجد فى العالم أحداً يستحقها ، وإن ادعاها مدع لغيره من الأنبياء كان مجاهراً بالبهتان .

السادسة : ما قاله النبى أبقوق فى الفصل الثالث من كتابه :

(فى آخر الزمان يجىء الرب من القبلة ، والقدوس من جبال فاران) ومجىء الرب تبارك وتعالى مجىء وحيه ، والقدوس هو نبينا محمد[1] ، ﷺ ظهر من جبال فاران وهى مكة وأرض الحجاز .

---

(١) هكذا فسره المؤلف ولم يعقب عليه المحقق ، وأرى أن كلمـة القدوس معطوفة على كلمة الرب ، والمعنى : يجىء القدوس من جبال فاران ومجيئه هو مجىء وحيه فالقدوس اسم من أسماء الله الحسنى .

السابعة : ما قاله النبي ميشا (أي ميخا) في الفصل الرابع من كتابه :

(في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة ، وتختار الجبل المبارك، يعبدون الله فيه ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ، ليعبدوا الله الواحد ولا يشركوا به شيئا) .

وهذا هو جبل عرفات بلا شك ، والأمة المرحومة هي أمة محمد ﷺ ، والاجتماع بالجبل المبارك هو إجتماع الحجيج بعرفات وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم .

والثامنة : ما قاله النبي ميشعيه (أي أشعيا) في الفصل الثاني والأربعين من كتابه :

(إن الرب سبحانه يبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه ، يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه ، وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين ، ويحكم بين الناس بالحق ويمشي بينهم بالعدل ، وهو نور يخرجهم من الظلمات التي كانوا عليها رقوداً ، وقد عرفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون) .

وهذه كلها صفات نبينا محمد ﷺ واضحة مبينة .

وقد وعد المؤلف — رحمه الله تعالى — أن يجمع البشارات كلها في كتاب منفرد على وجه التفصيل .

ولسنا ندري هل سنحت له الظروف أم لا ؟

وقد سألت صديقنا الفاضل محقق الكتاب عن ذلك ، فأجاب بأنه لم يعثر في ترجمة المؤلف على كتاب بهذا المعنى .

محمد صلى الله عليه وسلم

فى التوراة والإنجيل والقرآن

هذا الكتاب من تأليف القس السابق إبراهيم خليل فيلبس[1] ، وقد ساق المؤلف فى مقدمته عناصر أربعة دفعت به إلى الإسلام هى :

١ — الوحدانية :

قرأ المؤلف بتأمل وتفكير سورة الإخلاص .

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

وقارنها بالوحدانية التى وردت فى إنجيل متى : « الآب والابن والروح القدس ، إله واحد ، آمين »

وتبين له من الدراسة أن عبارة الإنجيل هذه لم ترد فى الأصل اليونانى ، بالإضافة إلى بلبلة أفكار عامة الناس وحيرة جهابذة العلماء فى الدفاع عن هذه العقيدة السقيمة التى كشف التاريخ عنها القناع ، وأكد العلامة « جار سلاف كربى » أستاذ الحفريات فى جامعة أكسفورد فى كتابه « ديانة قدماء المصريين » : أن عقيدة التثليث مستمدة من الوثنية الفرعونية .

٢ — الغفران :

قرأ المؤلف بتأمل وتفكير قول الله تعالى :

« قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ،

(١) مكتبة الوعى العربى بالقاهرة

إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم[١] .

وقارن بين هذه الآية وما ورد فى الإنجيل عن الغفران :

ـــ بدون سفك دم لا تحصل مغفرة .

ـــ هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الحبيب لكيلا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية .

قارن بين العقيدتين :

الأولى : أن رحمة الله ومغفرته تكون لعباده دون قيد أو شرط مادى بل بتوبة صادقة .

الثانية : أنها مقيدة بقيود من جانب الله يبذل ابنه الحبيب حسبما يعتقدون ، ومن جانب المرء بضرورة الإيمان بهذا الابن .

ومن هذه العقيدة نشأت فريضة كنسية تعرف بسر الشكر ، وفيها يؤمن المسيحى باستحالة الخبز إلى جسد المسيح ، واستحالة الخمر إلى دم المسيح حقيقة ، وبتناولهما تصير فى الإنسان حياة أبدية .

ومن هذه العقيدة نشأت صكوك الغفران .

٣ ـــ المبادىء وتقويمها بالأشخاص :

قرأ المؤلف قول الله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم[٢] » .

وقرأ ما جاء فى الإنجيل :

« إذن لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة .

(١) سورة الزمر ـــ الآية ٥٣

(٢) سورة الحجرات ـــ الآية ١٣

وعرف سر التفرقة العنصرية عند الأمريكيين فى أيامنا هذه بين البيض والسود . وزاد إعجابه وإجلاله المسلمين أن سيد القوم يقف بجانب المواطن العامل والمزارع والتاجر كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا راكعين ساجدين يخشون ربهم ويرجون الرضا والعفو ، فأيقن أن مجد الإسلام والمسلمين فى هذا التساند الجميل والتآخى الحبيب .

٤ — الرسالات السماوية :

قرأ المؤلف قول المسيح عليه السلام : خرج الزارع ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق .

وقرأ كتابة بولس :

فإنى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ، ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ، ويسبينى إلى ناموس الخطيئة الكائن فى أعضائى ، ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت .

قولان :

أحدهما للمسيح يمتاز بالبساطة ووضوح التعبير .

وثانيهما يمتاز بعمق وغور المعانى .

وكلاهما ينسب إلى الله جل شأنه .

وقرأ المؤلف فى القرآن الكريم قوله تعالى :

« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »[1].

وما قبل ذلك فاتحة القرآن الكريم إلى قوله « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس .. » السورة .

---

(١) سورة البقرة — الآية ١ ، ٢

وتأمل وتدبر ، وإذا بالله العزيز الحكيم يحسم الأمر بقوله :

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »[١].

ثم يتحدى الله خلقه بقوله :

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[٢] .

وعند هذه النقطة قرر المؤلف اعتزال الخدمة الدينية فى الكنيسة واشتغل بالأعمال الحرة من ١٩٥٥ — ١٩٥٩ م ، ثم شاء الله أن يلتقى بالدكتور محمد عبد المنعم الجمال على مائدة تفسير القرآن الكريم فى منزله، وشرح الله صدره للإسلام فأعلنها صريحة وقبل الإسلام دينا وتبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام ، ودخل المؤلف وأبناؤه الأربعة إلى دين الله أفواجا ، فسبح بحمده ، وتمت كل الإجراءات القانونية بتاريخ ١٩٦٠/٥/٣٠ م

ثم يقول المؤلف :

وبهذا انتهيت من الجهاد لاعتناق الإسلام حيث بدأت الجهاد فى سبيل الله ورسوله الكريم بحياة إسلامية مضيئة مشرقة نقية طاهرة ، وبالدعوة القوية المفعمة بالحب والإخلاص للقرآن الكريم والإسلام الحنيف » .

وعاش المؤلف باسمه الجديد ، إبرهيم خليل أحمد .

والكتاب يحوى عشرة مباحث على النحو التالى :

---

(١) سورة النساء — الآية ٨٢

(٢) سورة الإسراء — الآية ٨٨

١ — التوراة والإنجيل ينبآن ببعث الرسول الكريم :

وبدأ هذا البحث بقوله :

للمسلم أن يعتز بدينه فهو كالشمس ، تشرق على المسلمين وغير المسلمين ، وللمسلم أن يعتز بإسلامه فهو كالهواء النقى لا يستغنى عنه الخلق ولا حياة لهم بدونه .

وللمسلم أن يعتز بقرآنه فهو كالماء ، فيه حياة لكل من نهل منه .

ثم ساق المؤلف بشارات من التوراة والإنجيل وشرح انطباقها على سيدنا محمد ﷺ ، منها :

● ماجاء فى سفر التثنية :

« جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير وتلألأ من جبال فاران »

فهذا النص يشير إلى رسالات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فجبال فاران هى جبال مكة .

● ما جاء فى سفر التثنية :

« أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به » .

فسيدنا محمد هو النبى الموعود من نسل إسماعيل أخى إسحق .

ما جاء فى إنجيل متى :

أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس زاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره .

* * *

٢ — ما الذى اختلف عليه أهل الكتاب :

تكلم المؤلف عن اليهود والأحداث التى حلت بهم والدوافع التى جعلتهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وتطلعهم إلى امبراطورية كونية قاعدتها أورشليم (بيت المقدس) . وركونهم إلى نبوءة فى سفر زكريا :

ابتهجى جدا يا ابنة صهيون ، اهتفى يا بنت أورشليم ، هو ذا ملكك يأتى إليك ، هو عادل ومنصور وديع ، وراكب على حمار ، وعلى جحش ابن أتان .

ثم جاء المسيح فقوض هذا الزعم وقال لهم :

يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء والمرسلين ، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ..

وقال لهم أيضاً :

مملكتى ليست من هذا العالم ..

وتحدث المؤلف عن شخصية المسيح من خلال نصوص الأناجيل ، فلم يكن المسيح ناسكا زاهدا بل كان أكولا وشريب خمر، ومحبا للعشارين والخطاة .

وتكشف الأناجيل عن أخلاق تلاميذه وعيوبهم :

فهذا بطرس ينكر صحبته للمسيح .

ويهوذا يخون سيده . .

ويوحنا ويعقوب لا يخفيان مطامعهما ويقولان للمسيح : أعطنا أن نجلس، واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك .

والتلاميذ جميعا كانت مطامعهم تتفق مع مطامع هذين التلميذين، حتى إن المسيح وعدهم بأنهم سيجلسون على اثنى عشر كرسيا ، يدينون ، أسباط إسرائيل الإثنى عشر .

وكان المسيح يرى فى نفسه أنه واحد من اليهود ، يؤمن بأفكارهم ، ويجرى على سنتهم ويلتزم بشريعة موسى ، ومع ذلك قاومه الأحبار والكهنة .

وقامت دراسات لعلماء القرن العشرين حول المسيح جعلته أسطورة شبيهة بخرافات كرشنا فى الهند وأوزيريس فى مصر القديمة ..

واختتم المؤلف هذا البحث بقوله :

لقد اختلف اليهود فى إدراك ميراث الأرض .

واختلف النصارى فى إدراك شخصية المسيح .

* * *

٣ — المسيحية وتطورها :

تكلم عن حقيقة قول المسيح :

إن ملكوت الله قد حان أجله ، وإن الله سيقضى عما قريب على عهد الشر والخبائث .

وشرح تفسيرات المسيحيين الأولين ، وتفسيرات الأحبار والكهنة، ونظرية بولس فى التكفير .

وتحدث عن الأفكار الوثنية القديمة المتعلقة بالفداء والصلب، وساق فى النهاية هذه العبارة :

لقد كان الصلب خدعة كبرى بات على الإنسان أن يحل طلاسمها ، وهى عديمة التأثير على جلال الله بين غير المسيحين ، عديمة التأثير على على عدالة الله وضبط قوانينه ، تلك القوانين التى تنص على مسئولية الفرد وحده عن عمله وجرائه عليه « ولا تزر وازرة وزر أخرى ».

٤ — المسيحيون والتعاليم الكتابية :

أشار خلال هـذا البحث إلى مخطوطات البحر الميت التى اكتشفت حديثاً ، وقال إنها ستعطى صورة واضحة عن الكتب القديمة التى حرمتها الكنيسة أو كذبتها ، وأنها سوف تحدث ثورة فى تفكير كل من يبحث عن الحق بدلا من العقائد الصناعيـــة أو الدين الذى وضعه الإمبراطور قسطنطين فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م .

وأكد أن هـذه المخطوطات تؤيد إنجيل برنابا الذى استبعدته الكنيسة . .

٥ — القرآن الكريم يهدى أهل الكتاب إلى الصراط المستقيم :

٦ — الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وإيمانه بشخص المسيح عليه السلام :

شرح المؤلف تحول الرسالات من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل ، وتحول الأرض المقدسة من فلسطين إلى مكة المكرمة .

وساق الأحوال التى وجدها المسيح سائدة فى بنى إسرائيل تصديقا لقول الله تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً ، لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون[1] »

(١) سورة التوبة — الآية ٣١ .

ثم تكلم عما يمكن استخلاصه من الأناجيل لتأكيد شخصية المسيح بما يتفق وإيمان المسلم .

فقد جاء فى الأناجيل ما يجعل المسيح يخضع لناموس الغرائز الإنسانية من الأكل والشرب .

ويخضع لناموس الراحة والتعب .

ويخضع لناموس المؤثرات العاطفية من البكاء والحزن .

ثم يقارن المؤلف بين تعاليم المسيح وتعاليم بولس ، ويؤكد أن تعاليم بولس فلسفة يونانية لاعلاقة لها بتعاليم المسيح .

وتكلم المؤلف عن كلمة المسيح وأنها رمز إلى تتويج الملك ، ورمز إلى حلول روح القدس على الملك بمجرد مسحه بالدهن ، وأن عيسى بن مريم ارتبط بالروح القدس منذ حملت به مريم تصديقا لقوله تعالى « إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس[1] .... » .

وتحدث عن كلمة الإنجيل التى تعنى البشارة والبشرى ، ولقد كان سيدنا عيسى بشرى من الله للرحمة وبشرى بتبشيره عن سيدنا محمد الذى أتى للعالمين هدى ورحمة .

وساق موقف القرآن من شخصية المسيح فى مثل قوله تعالى « وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق[2] .. الآية وقوله تعالى وما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام .. الآية[3] :

---

(١) سورة المائدة — الآية ١١٠ (٢) سورة المائدة — الآية ١١٦
(٣) سورة المائدة — الآية ٧٥

٧ — الكتاب المقدس والعقيدة المسيحية :

بدأ هذا البحث بالكلام عن العهد القديم ، ونشأة اللغة العبرية وتطورها وقواعدها والعلاقة بينها وبين اللغة العربية ، وأقدم الترجمات.

ثم تكلم عن العهد الجديد وأقدم النسخ لدى الكنيسة ، وساق نماذج من التناقض بين الأناجيل ، والشكوك التاريخية حول صحتها ، وشرح قصة إنجيل برنابا .

وذكر تراجم الكتاب المقدس وأشار إلى النسخ الخطية الموجودة في المكتبات وبين أثر المجامع والفلاسفة في تطور العقيدة الكنسية .

واختتم هـــذا البحث بعرض قضية الصلب ومناقشتها وبيان موقف القرآن منها .

٨ — العالم قبل بزوغ الإسلام :

تكلم عن التنافس بين الامبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية ، والامبراطورية الرومانية الغربية أو بتعبير آخر بين القسطنطينية وروما .

وتكلم عن الدولة الفارسية والحروب التى نشبت بينها وبين الامبراطورية الرومانية .

٩ — العالم فى فجر الإسلام :

تحدث عن الرسائل النبوية التى بعثها سيدنا محمد ﷺ إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام ، وأشار إلى جهاد الصحابة فى سبيل الله ، وزحف الجيوش العربية على الامبراطورية البيزنطية والدولة الفارسية الساسانية .

وأكد تسامح المسلمين مع كافة الشعوب التى عانت من ظلم الحكام وعنصريتهم.

وساق عبارة سير أرنولد :

إن ميخائيل الأكبر اليعقوبى كان يرى فى فتح العرب المسلمين لمصر، وفى انتصاراتهم المتلاحقة — يد العدالة الإلهية التى بعثت لتثأر لما نال الكنيسة المصرية من تعذيب واضطهاد .

١٠ — لمحة من حياة محمد :

فى ختام الكتاب نقل لمحة من حياة محمد ﷺ من كتاب الدكتور محمد حسين هيكل ثم تكلم عن الزواج والطلاق فى الإسلام .

وبعد — فالكتاب قيم فى بحثه ، واف فى موضوعه ، صادق فى فكره ، عميق فى قضاياه ، رحم الله مؤلفه وأجزل له المثوبة ، وضاعف له الأجر .

الفصل الثالث

دراسات غير المسلمين

- لمحة تاريخية عامة .
- العهد القديم .
- الإلياذة والأوديسا .
- الحنفاء .
- الاستشراق .

لمحــــة عامة

في دراسات غير المسلمين

منذ أقدم العصور وجد رجال بحثوا فى الأديان ودرسوا العقائد، وسجلوا أفكارهم أو سجلت لهم فى كتب تناقلتها الأجيال وعرفتها البشرية على مدى تاريخها الطويل .

وما زالت المسيرة قائمة ، ولا يزال الباحثون يعكفون عـــلى هذه الدراسات ، ولا تـكاد تخلو جامعة من جامعات العالم اليوم من علم مقارنة الأديان ودراسة التاريخ العقدى للإنسانية .

وتتعدد الأهداف ، وتتنوع المقاصــد ، وتتباين المناهج ، وتكثر البحوث وتتكاثر الأديان والعقائد والمذاهب ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأمــلأن جهنم من الجنة والناس أجمعين »[1] .

إن طبيعة الحياة هى الصراع بين الحق والباطل ، ولو شاء الله لجمع الناس على دين واحد جبلة وغريزة وانسياقا ، ولكن تبطل حينئذ حكمة الخلق وتضيع حرية الإنسان ، وتصبح قضية التكليف عبثا .

إن الله تعالى خلق الناس كى يمارسوا حريتهم الموهوبة منه سبحانه ، ويتحقق فيهم التكليف الشرعى ، فيلقى كل إنسان مصيره الذى اختاره لنفسه إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

---

(١) سورة هود ـــ الآية ١١٨ ـــ ١١٩

إن غاية الخلق هي العبادة لله كي ينالوا الرحمة والفردوس الأعلى ، وتلك غاية يسعى إليها الناس فمنهم شقى ومنهم سعيد .

ومرجع اسم الإشارة فى قوله «ولذلك خلقهم» إلى الرحمة المستفادة من قوله تعالى «إلا من رحم» ، أى خلقهم للرحمة ، فهى هدف يسعى إليه الجميع ، منهم من يقارب ومنهم من يباعد .

أو مرجع اسم الإشارة إلى الاختلاف المذكور فى قوله تعالى « ولا يزالون مختلفين » أى خلقهم ليمارسوا الصراع الفكرى وصولا إلى الحق ، فمنهم من يؤمن به ومنهم من يتنكر له .. وتلك هى سنة المدافعة التى أشار إليها القرآن فى قوله :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض»(١) .

«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً »(٢) .

* * *

ونحن إذ نعرض لدراسات غير المسلمين نرى أن أقدم كتاب هو العهد القديم عند اليهود فهو يذكر الأديان والعقائد منذ بدء الخليقة .

ويلى ذلك فى القدم الملاحم الشعرية اليونانية وخاصة الإلياذة والأوديسا للشاعر اليونانى القديم هوميروس قبل الميلاد بعشرة قرون تقريبا .

---

(١) سورة البقرة — الآية ٢٥١
(٢) سورة الحج — الآية ٤٠

وقامت أديان الفلسفة منذ المدارس الطبيعية الأولى قبل الميلاد وإلى اليوم لتناقش الميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة) وتقف منها مواقف التأييد أو المعارضة .

وسقطت الكنيسة ، والنصرانية صرعى تحت وطأة دراسات نقدية شاملة وعنيفة وخاصة عند جان جاك روسو فى العقد الاجتماعى، وكارل ماركس فى رسالته حول « المسألة اليهودية » التى ربط فيها بين اليهودية والنصرانية باعتبارهما شريكين فى جريمة اغتراب الإنسان عن نفسه وعن الطبيعة ، وعند فردريك نيتشه فى كتابه « هكذا تكلم زرادشت » .

ووصل النقد الدينى الأوربى للنصرانية إلى منعطف خطير تمثل فى اتجاهين لهما أهمية قصوى هما :

(أ) النصرانية الحديثة هى لون من الوثنية القديمة ، ومن أمثلة هذه الدراسات :

دوان : خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها فى الديانات الأخرى .

أنمن : العلامات الوثنية القديمة فى النصرانية الحديثة .

لا ندى : المسيحية الأثرية .

فسك : الخرافات ومخترعوها[1] .

* * *

(ب) شخصية المسيح أسطورة ووهم كبير ، وساق المؤرخ العالمى

---

(١) راجع كتابنا « أصول النصرانية فى الميزان » ص ١٦٢ .

«ول ديورانت» عرضاً لأبحاث هؤلاء نوجزها فيما يلى[1] :

كان «بولنجبروك» والملتفون حوله يقولون فى مجالسهم الخاصة إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق .

وجهر «فلنى» بهذا الشك نفسه فى كتابه «خرائب الامبراطورية» الذى نشره عام ١٧٩١ م .

وفى عام ١٧٩٦ أشار «هردر» إلى ما بين مسيح متى ومرقس ولوقا ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها .

ولما التقى نابليون عام ١٨٠٨ م بالعالم الالمانى «فيلاند» لم يسأله القائد الفاتح سؤالا تافهاً فى السياسة أو الحرب ، بل سأله : هل يؤمن بتاريخية المسيح ؟ !

وفى عام ١٨٤٠ بدأ «برونور» سلسلة من الكتب الجدلية الحماسية يبغى بها أن يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير أو تجسيداً لطقس من الطقوس، نشأ فى القرن الثانى من مزيج من الأديان اليهودية واليونانية والرومانية ..

وفى المانيا عرض «آرثر دروز» هذه النتيجة عرضاً واضحاً محدداً عام ١٩٠٦ م .

وفى انجلترا أدلى «و . ب ا سميث . ج . م . روبرتش» بحجج من هذا النوع أنكرا فيها وجود المسيح ..

* * *

وصاحب عصر الاستعمار الأوربى لأفريقيا وآسيا — ظاهرة علمية عرفت باسم الاستشراق ، تكاتف فيها الباحثون الأوربيون لدراسة تاريخ الشعوب الشرقية عقدياً واقتصادياً واجتماعياً وكان هناك اهتمام خاص بالإسلام والمسلمين ..

---

(١) قصة الحضارة م ١١ ص ٢٠٢ ترجمة محمد بدران ط الثالثة ١٩٧٣ م

وإذا تركنا أوربا وحاولنا أن نجد دراسات لدى الشرقيين أنفسهم في مصر والهند والصين وشبه الجزيرة العربية ..

فإن المصريين القدماء تركوا دراساتهم من خلال هندسة المعابد والمقابر والنقوش التى سجلوها على الجدران، تصف حياتهم الدينية واعتقاداتهم فى الإله والحساب والجزاء ، وكان لاكتشاف حجر رشيد أثناء الحملة الفرنسية على مصر أثر بالغ فى قراءة التاريخ المصرى القديم ..

وفى الهند والصين نجد كتابات بوذا (٥٦٠ — ٤٨٠ ق . م)، وكونفوشيوس (٥٥١ — ٤٧٩ ق م) ، وكتابات الديانة الهندوسية التى لا يعرف مؤلفوها ..(١)

وفى الجزيرة العربية وجد الحنفاء فى القرن السادس الميلادى ، قاموا يبحثون عن الدين الصحيح وسط خظام الوثنية الجاهلية ..

ونحن نختار من هذه الدراسات المتعددة نماذج نشير إليها فى لمحات سريعة على النحو التالى :

١ — العهد القديم .

٢ — الإلياذة والأوذيسا .

٣ — الحنفاء .

٤ — الاستشراق .

---

(١) راجع تفاصيل الكتب لهذه الديانات فى الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة التى أعدتها الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض ص ١٠٧ ، ١٧٢ ، ٢١٠ ، ٥٣١ ط الثانية ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .

العهد القديم

العهد القديم هو كتب اليهود التي يقدسونها، ويمثل شطر الكتاب المقدس عند النصارى ، وهو يتضمن أسفاراً منسوبة إلى موسى عليه السلام وإلى أنبياء بنى إسرائيل ، وهو يقص مسيرة بنى إسرائيل الدينية من خلال المسيرة البشرية العامة ، ويكاد يكون عنصريا فى قضايا الدين والعقيدة ، فالإله فى منطق العهد القـــديم هو إله العبرانيين أو إله إسرائيل فقط ، ويقضى الإله ليله فى البكاء والنحيب على شعب إسرائيل المشتت . .

وينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ أسفار موسى عليه السلام :

تنسب إلى موسى عليه السلام أسفار خمسة هى التكوين ، والخروج واللاويين (الأحبار) ، والعدد ، والتثنية ، وهـذه الأسفـار هى المسماة بالتوراة . .

ويتحدث سفر التكوين عن قصة خلق العـــالم والإنسان الأول والطوفان ونشأة الشعوب وقصة إبراهيم الخليل وأولاده وأحفاده .

ويسوق سفر الخروج قصة بنى إسرائيل فى مصر من عهد يوسف إلى عهد موسى ، ويذكر سفر اللاويين التشريعات والوصايا والأحكام ، ويقسم سفر العدد أسباط بنى إسرائيل ويحكى مسيرتهم فى سيناء وحروبهم مع أعدائهم ، ويكرر سفر التثنية التشريعات والتعاليم التى سبق عرضها فى الأسفار السابقة .

٢ ـ أسفار الأنبياء :

تعرض هذه الأسفار قصص الأنبياء من عهد موسى إلى زكريا ،

وتذكر سير ملوك بنى إسرائيل والتقلبات الدينية والاجتماعية التى عاش فيها بنو إسرائيل ، والمؤامرات التى دبرها اليهود أو حيكت ضدهم ..

ومن أسفار هذا النوع : سفر يوشع بن نون ، وصموئيل الأول والثانى ، والملوك الأول والثانى ، وإرميا ، وحزقيال ، وزكريا ..

٣ — أسفار الآداب :

وهذه الأسفار مجموعة كتابات تتحدث عن حكم وأشعار وقصص ، ومواعظ ، ومراثى وغراميـــات مثل سفر نشيد الإنشاد والمزامير والمراثى .. إلخ ..

الإليـاذة والأوديسـا

قام الدين اليونانى القديم على الخرافة والأسطورة ، وكانت آلهة اليونان متعددة تملأ الأرض والسماء ، ولكل مظهر من مظاهر الكون إله خاص ، فللشمس إله والقمر إله وللبحار إله .. ولكل فن إله فللحكمة إله وللطب إله ..

وهناك آلهة أخرى للحرب والسلام ، للخير وللشر ، حتى البغاء كان له فى المجموعة نصيب ..

وقد صاغ الأدب اليونانى القديم هذه الأساطير فى ملاحم شعرية عرضت لكثير من مشاكل الكون ومظاهر الطبيعة ، وروت أخبار الحروب والمنازعات التى سادت بلاد اليونان ، وصاغت ذلك كله على لسان الآلهة .

والإلياذة ملحمة شعرية تضم أكثر من خمسة عشرة ألف بيت ، مقسمة إلى أربع وعشرين أنشودة .

والأوديسا ملحمة أخرى تتكون من حوالى مائة وعشرين ألف بيت شعرى وما يقرب من أربع وعشرين أنشودة ..

وكلتا الملحمتين لشاعر يونانى قديم عاش بين القرنيين العاشر والحادى عشر قبل الميلاد ، هو الشاعر هوميروس ..

وظهرت بعد ذلك ملاحم أخرى أقل منزلة مثل الأعمال والأيام لشاعر يونانى عاش خلال القرن الثامن قبل الميلاد يسمى هريودس ..

وفى هذه الملاحم وغيرها جرى الحديث عن الآلهة والقرابين ، والآلهة والصراع الكونى ، والآلهة وأنسابها وأسمائها ..

ويرى بعض المؤرخين أن هذه الأساطير حول الآلهة إنما هو تمثيل

التاريخ إنسانى وتسجيل لوقائع حدثت بين زعماء من البشر نالوا التعظيم التقديس ، وأن مفاهيم الألفاظ تختلف من جيل لآخر ومن عصر إلى العصر ، فلفظ الإله قديماً كان يضاهى لفظ البطل أو زعيم الأمة بلغتنا المعاصرة[1] .

(١) راجع : هوميروس شاعر الإلياذة والأوديسا — د عبدالمعطى شعراوى والموسوعة العربية الميسرة ص ٩٧

الحنفاء

في مجتمع جاهلي يعبد الأصنام ويقدس الحجارة وجد رجال بحثوا عن الدين الصحيح ونقبوا في البلاد سعيا لمعرفة الحقيقة الدينية .

ونقل كتاب السيرة النبوية أن أربعة من مفكري عصر ماقبل الإسلام وجدوا أنفسهم في وسط عقدي فاسد ، لايستسيغه العقل ولا ترتضيه الفطرة ، فخلصوا نجيا وقال بعضهم لبعض :

تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض .

تعلموا والله ماقومكم على شيء .

لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم .

ماحجر نطيف به ، لايسمع ولا يبصر ولايضر ولاينفع .

ياقوم التمسوا لأنفسكم دينا فإنكم والله ماأنتم على شيء ،

وساح هؤلاء في البلاد يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم .

• • •

إن هؤلاء الأربعة هم :

- ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي .
- عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر .. وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب ،
- عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي .
- زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله .

وكانت نتيجة البحث والدراسة هكذا :

أما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب .

وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم عند ظهور البعثة المحمدية ثم هاجر مع المسلمين الأوائل إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة ، فلما قدم الحبشة تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانيا .

وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه .

* * *

تفصيل موقف زيد :

ترك زيد بن عمرو بن نفيل عبادة الأوثان ، وكان لا يأكل إلا ماذبح على اسم الله وحده .

قالت أسماء بنت أبى بكر :

لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة يقول : يامعشر قريش : والذى نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى .

اللهم إنى لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكنى لا أعلم ، ثم يسجد على راحلته .

وكان يصلى إلى الكعبة ويقول :

إلهى إله إبراهيم ، ودينى دين إبراهيم .

قال ابن اسحق :

إن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال: لبيك حقا حقا تعبدا ورقا .

وعرف عن زيد أنه كان يحيى الموءودة، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته :

لاتقتلها ، ادفعها إلىّ أكفلها ، فإذا ترعرعت فإن شئت فخذها وإن شئت فادفعها .

وينسب إليه شعر دينى منه[1]:

أربا واحدا أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور

عزلت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولا ابنيتها ... ولا صنمى بنى عمرو أزور

* * *

ومنه أيضا :

إلى الله أهدى مدحتى وثنائيا

وقولا رصينا ، لا ينى[2] الدهر باقيا

إلى الملك الأعلى الذى ليس فوقه

إله ولا رب يكون مدانيا

* * *

(١) هذا الشعر ينسب إلى أكثر من شخص .

(٢) ينى : يفتر ، يريد أن قوله سيظل باقيا مدى الدهر .

وتحمل زيد بن عمرو بن نفيل البأساء والشدة فى سبيل الوصول إلى الحقيقة، فأوذى من قومه، وكانت زوجه عينا لهم عليه.

ويحكى ابن هشام أن زيدا أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم، لكن زوجه صفية بنت الحضرمى كانت كلما رأته قد تهيأ للخروج آذنت به الخطاب بن نوفل (عمه وأخاه لأمه)[1] وكان يعاتبه على فراق دينه عتابا شديدا.

وأنشد زيد بن عمرو مخاطبا زوجه:

لا تحبسينى فى الهـــوا ن صَفىّ ما دابى ودابه[2]
إنى إذا خفت الهـــوا ن مُشيَّع ذُلُل ركابه[3]

وعندما اشتد الأمر بين زيد وبين قومه أخرجه الخطاب إلى أعلى مكة فنزل بحراء، ووكل به شبابا من شباب قريش، وسفهاء من سفائها وقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة .. فكان لا يدخلها إلا سرا، فإذا علموا بذلك آذوه وأخرجوه كراهة أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم

واستطاع زيد بن عمرو بن نفيل أن يهرب من الطوق المفروض حوله وفر إلى الموصل، وجال الشام كله يسأل الرهبان والأحبار،

---

(١) أم زيد هى الحيداء بنت خالد، وهى امرأة جده نفيل، ولدت له الخطاب أبا عمر بن الخطاب، ثم مات عنها نفيل، فتزوجها ابنه عمرو (من امرأة أخرى) فولدت له زيدا، وكان نكاح زوجات الأب شائعا فى الجاهلية.

(٢) الدأب: العادة، وسهلت الهمزة.

(٣) المشيع: الجرئ الشجاع، الذلل: السهلة يريد أنه يأبى الهوان ويواجهه بشجاعة ولا يصعب عليه شىء.

وانتهى إلى راهب فى منطقة قرب دمشق، على علم بالنصرانية ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال الراهب :

إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم . ولكن قد أظل زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه .

فخرج زيد مسرعا يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم ، عدا عليه جماعة من الأعراب فقتلوه ، ولم تكتحل عيناه برؤية رسول الله ﷺ وفى نزعه الأخير امتد بصره إلى الأفق وقال :

اللهم إن كنت حرمتنى من هذا الخير فلا تحرم منه ابنى سعيدا ..

وتدور الأيام ويبعث الله تعالى محمدا ﷺ برسالة الهدى والنور . ويكون سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب من السابقين إلى الإسلام .. وعلى يديهما يقذف الله النور فى قلب عمر بن الخطاب ، رضى الله عن الجميع .

* * *

تقدير الإسلام للباحثين عن الحقيقة .

حفظ الإسلام للباحثين عن الحقيقة كرامتهم ، وقــدر اجتهادهم ومنحهم رسول الله ﷺ أوسمة عالية المقام فوق طموحات البشر المادية .

قال ابن اسحق :

حدثت أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعمر بن الخطاب قالا لرسول الله ﷺ : أنستغفر لزيد بن عمرو .

قال : نعم فإنه يبعث أمة وحده .

وساق ابن كثير أن خديجة رضى الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال :

قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض .

وهذا إسناد حسن ورواه الزهرى مرسلا .

وفى رواية لأبى يعلى :

قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض ، أبصرته فى بطنان[١] الجنة وعليه السندس .

وفى رواية للبزار :

لا تسبوا ورقة فإنى رأيت له جنة أو جنتين .

وهذا إسناد جيد وروى مرسلا »[٢]

هذا شأن الباحثين المخلصين ، ويختلف الحكم مع أصحاب الأهواء والأغراض الدنيئة .

فعبيد الله بن جحش لم يمتلك عقيدة، ولم يستقر على مبدأ ، واستهواه التنقل بين الأديان ، وخدع زوجه أم حبيبة فلم يعبأ به الإسلام وهلك مع الهالكين .

وعثمان بن الحويرث تنصر عنــــد ملك الروم لينال حظوة سياسية فولاه أمر مكة فلما رجع إلى أهلها أنفوا أن يدينوا الملك، وصاح الأسود

(١) بطنان كل شىء وسطه

(٢) راجع :

● السيرة النبوية لابن هشام — تحقيق الأساتذة مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى — ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى بمصر سنة ١٩٥٥ م ح ١ ص ٢٢٢ .

● البداية والنهاية لابن كثير ط مكتبة المعارف — بيروت ح ٢ ص ٢٣٧ .

ابن أسد بن عبد العزى : ألا إن مكة حى لقاح لا تدين الملك .. فلم يتم لعثمان بن الحويرث مراده ، ويقال إنه مات مسموما بالشام[1] .

ولم يكن هؤلاء الأربعة وحدهم هم الذين عرفوا خطيئة الواقع الجاهلى ، بل هناك رجال آخرون كانت لهم اعتقادات تخالف أقوامهم ، وآراء تعالت عن العقيدة الدارجة ، وأفكار رفضت الوثنية المنتشرة .

وساق ابن قتيبة مجموعة رجال منهم[2] :

أمية بن أبى الصلت الثقفى :

كان رجلا قرأ الكتب ورغب عن عبادة الأوثان ، وكان يخبر بأن نبيا يبعث قد أظل زمانه ، فلما سمع بخروج النبى ﷺ وقصته كفر حسدا له .

ولما أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره قال : آمن لسانه وكفر قلبه .. !!

أبو قيس صرمة بن أبى أنس :

وهو من بنى النجار وكان ترهب ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ،

---

(١) الروض الأنف للإمام السهيلى ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل جـ٢ ص ٣٥٩ ط دار الكتب الحديثة .

(٢) المعارف لابن قتيبة أبى محمد عبد الله بن مسلم (سنة ٢١٣ — ٢٧٦ هـ) — حققه وقدم له د . ثروت عكاشة ص ٦٠ ط دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية .

وهمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا ، لا يدخل عليه طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم .

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم وحسن إسلامه .

خالد بن سنان بن غيث :

روى أن النبي ﷺ قال عنه : ذلك نبي أضاعه قومه .. وأتت ابنته رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ « قل هو الله أحد » فقالت : كان أبي يقول هذا .

الاستشراق

التقاء الشعوب وتمازج الحضارات وتأثر الثقافات — سنة من سنن الاجتماع العام .

والذين يؤرخون للاستشراق منذ القرن السابع الميلادى والفتح الإسلامى للأندلس — ينسون هذه السنة فيتخذون من طبائع الأشياء مفاهيم يقيمون عليها مصطلح الاستشراق .

إن اهتمام الغرب بالشرق وجد قبل الإسلام وقبل النصرانية ولقد وصل الإسكندر المقدونى إلى الهند قبل الميلاد بثلاثة قرون .

وإن صلة الإسلام بالنصرانية واتصال المسلمين بالشعوب الأخرى قديمة منذ العهد الأول فى مكة والمدينة ، فكانت هناك هجرة المسلمين إلى الحبشة ، ودخل الناس فى الإسلام من ديانات شتى وأجناس متعددة ، وعاش فى المدينة المنورة منافقون ويهود ومشركون ، وعرفت لهم معركة فى السيرة النبوية باسم الأحزاب نزل بشأنها القرآن .. قال تعالى:

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً »[1] .

ومحاولة النيل من المسلمين بوسائل شتى وطرق متباينة وأساليب متنوعة مستمرة منذ نزل قوله تعالى «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم»[2] .

---

(١) سورة الأحزاب — الآيات ٩ : ١١

(٢) سورة البقرة — الآية ١٢٠

وقتل الخليفة الثانى عمر الفاروق نتيجة العمالة الأجنبية الوافدة . . . فتحدث الروايات أن عمر قال: يا ابن عباس أنظر من قتلنى ؟ فجال ساعة ثم جاء المسجد فقال: غلام المغيرة بن شعبة ، قال عمر : قاتله الله لقد أردت به معروفا ، الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام. قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقا. قال ابن عباس : إن شئت فعلت أى إن شئت قتلنا ، فقال عمر : كذبت بعد ماتكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم[1]

ووقعت الفتنة الكبرى فى الإسلام نتيجة كيد اليهود ممثلا فى عبد الله ابن سبأ وأعوانه .

ونحن عندما نتكلم عن الاستشراق لا نعنى مطلقا هـذه البدايات. ولا هذه السنن العامة التى تمخض عنها عصر الترجمة للعربية أو من العربية ، ونشأت عنها جامعات الأندلس التى احتضنت الوافدين الأوربيين للتزود من العلم الإسلامى .

إن مفهوم الاستشراق كمصطلح يعنى دراسة الشرق فى حضارته وأديانه وآدابه بهدف خدمة المستعمر الأوربى الذى سعى لاستغلال الشرق والانتفاع بخـيراته وانتزاع أهله من دينهم الإسلامى على وجه الخصوص .

وهـذا المصطلح يبدأ من القرن الثامن عشر مع مفهوم الاستعمار الحديث الذى يستعمر الأرض، ويشد العقل، ويقضى على الثقافة الوطنية، ويدمر كل شىء يتعلق بالشخصية الشرقية انطلاقا من نظرية تمجيد الجنس الأوربى وتحقير الجنس الشرقى .

لقد جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر

---

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين أبى الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى المعروف بابن الأثير .

بقيادة نابليون ومعه جيش جرار من العسكريين والباحثين ، واهتموا بتاريخ مصر القديم وبذلوا جهد جهيداً فى الحفر والتنقيب حتى عثروا على حجر رشيد بقيادة المستشرق شمبوليون ، ذلك الحجر الذى حلت به رموز الخط الهيروغليفى ، وقرئت الحضارة المصرية القديمة .

إن هناك جهودا علمية رائدة قام بها البحث الاستشراقى ، لكن تظل الأعمال بالنيات .. فما الهدف العام للاستشراق ؟ !

إنه هدف مركب من جوانب اقتصادية وسياسية وكنسية .

إن أوربا لا يمكن أن تعيش وحدها ، ولم يمنحها الله تعالى من خيرات الطبيعة ما يكفى شعوبها ، ثم إنهم تقدموا فى التصنيع تقدما كبيرا ، لكنه تصنيع يفتقر إلى المواد الخام ويحتاج إلى أسواق تجارية .

ثم إن أوربا هى المركز الدينى للنصرانية، يقبع فيها البابا فى ضاحية من ضواحى روما تسمى الفاتيكان ، ويخضع له النصارى خضوعا مطلقا ، وهم يسعون إلى التغلغل النصرانى فى الشرق ويريدون تصفية حسابات تاريخية .

وفى دراسة المستشرقين للإسلام على وجه الخصوص وقعت أخطاء وخطايا فكرية للأسباب التالية :

١ — الهدف الذى أعلنوه أحيانا وأخفوه حينا هو محاربة الإسلام من الداخل ومن خلال ثوابته .

٢ — الجهل باللغة العربية جعلهم لا يفهمون النصوص الشرعية أو يفسرونها تفسيرا خاطئا ..

٣ — اعتمادهم على الترجمات القرآنية، وهى لا تفى بمعانى القرآن المجيد، وهى جهد بشرى قاصر لا يتسامى إلى النظم العربى الإلهى المعجز . .

ونحن إذا تتبعنا دراسات المستشرقين واهتماماتهم نجد أن لهم أحيانا هِمما تبلغ قمم الجبال، ويتضح ذلك من خلال أعمال رائدة مثل كتاب «مفتاح كنوز السنة» للمستشرق أ. ى. ونسنك[1].

وأحيانا تقصر هممهم على ظواهر اجتماعية عابرة يدرسونها بما يشبه التحقيقات الصحفية كما فعل المستشرق جان بول رُود، فى كتابه «الإسلام والغرب»[2]، فقد تكلم عن تحرير المرأة كظهر من مظاهر التأثير الغربى الذى يقلب المجتمع الإسلامى رأسا على عقب، وتحدث عن المرأة فى تركيا بعد الثورة الكمالية فقال:

ومن الظواهر البارزة ظهور المرأة التركية فى المجتمعات والمحاكم فضلا عن الفنانات وعازفات الموسيقى والممثلات وعارضات الأزياء..

وهناك نشرة خاصة صادرة عن المديرية العامة للنشر والسياحة تظهر فيها صورة لتلامذة أكاديمية الفنون الجميلة يعملون فى مرسمهم مستوحين لذلك أمثلة حية من النساء العاريات.

ويقول أيضا:

قد تدهش عندما ترى فى الشوارع إلى جانب عاملات المكاتب والتلميذات والنسوة اللاهيات — طائفة من صغار القوم مظهرهم يبدو كأنه يذكر بماض مندثر.

---

(١) ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، طبع أكثر من طبعة منها طه سهيل اكيديمى، كنول آرت بريس — لاهور ١٣٩١هـ سنة ١٩٧١م.

(٢) تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز — منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر — بيروت.

ويقول :

والريفيات رغم كل مايشاهدن لا يتخلين بسرعة عن عاداتهن القديمة، وهن يلبسن عادة السروال الفضفاض من القماش المتماوج الذي يصل حتى القدمين »[1] .

والملاحظ أيضا أن المستشرقين يتعقبون الشخصيات القلقة في التاريخ الإسلامي يمجدونها ويعلون قدرها ويثيرون الفكر حولها ، مثل كتاب «أخبار الحلاج » المستشرقين : ل . ماسنيون ، ب . كرواس[2] . . وما يتعلق بتشويه الفكر الإسلامي واختراع الأباطيل وتزييف الحقائق فحدث ولا حرج .

وقد ساق الدكتور محمد البهي قائمة بأسماء بعض المستشرقين الخطرين منهم[3] .

١ — ا . ج . أربرى (انجليزى) .

٢ — الفرد جيوم (انجليزى) .

٣ — مرجليوث (انجليزى) .

٤ — هـ . أ . ر . جب (انجليزى) .

٥ — بارون كارادى فو (فرنسى) .

٦ — لويس ما سنيون (فرنسى) .

---

(١) ص ١٨٣ ، ص ١٨٥

(٢) طبع فى باريس ١٩٣٦م بمطبعة القلم ومكتبة لا روز .

(٣) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ط مكتبة وهبة — الطبعة الثانية ص ٤٨٩

٧ — س. م. زويمر (أمريكى).

٨ — كينيث كراج (أمريكى).

٩ — د. ب. ماكدونالد (أمريكى).

١٠ — جولد زيهر (مجرى يهودى).

١١ — جوزيف شاخت (ألمانى).

١٢ — غ. فون. غرو نباوم (ألمانى).

وهناك مستشرقون بحثوا بنزاهة وحيدة وموضوعية فانصفوا الإسلام ودافعوا عنه، ووصل بعضهم إلى اليقين والإقـــرار بتوحيد الله تعالى ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ومارسوا الدعوة إلى الله على بصيرة، ومن هؤلاء :

١ — ليبولد فايس (محمد أسد).

٢ — رينيه جينو (عبد الواحد يحي).

٣ — إتيين دينيه (ناصر الدين).

٤ — جارودى (رجاء جارودى).

٥ — موريس بوكاى.

ووقف البعض عند حد الإعجاب والدفاع مثل المستشرقة الألمانية «زيغريد هونكه» فى كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»[1]، وتقول فى مقدمته :

أردت أن أكرم العبقرية العربية، وأن أتيح لمواطنى فرصة العود

---

(١) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ط منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت.

إلى تكريمها ، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذى حرمهم من سماعه طويلا تعصب دينى أعمى أو جهل أحمق » .

* * *

ونختار نماذج من دراسات المستشرقين نعرضها عرضا عاما على النحو التالى :

١ ـــ تفصيل آيات القرآن الحكيم .

٢ ـــ مفتاح كنوز السنة .

٣ ـــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى .

٤ ـــ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة .

٥ ـــ حياة الحقائق .　　　٦ ـــ أخبار الحلاج .

٧ ـــ أخبار أمم المجوس .

تفصيل آيات القرآن الحكيم

هذا الكتاب وضعه بالفرنسية جول لابوم ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وألحق به كتاب « المستدرك » للمستشرق إدوار مونتيه وطبع لأول مرة سنة ١٩٣٥م (١) .

وهو مقسم إلى ثمانية عشر بابا هي :

١ — التاريخ . ٢ — محمد ﷺ .
٣ — التبليغ . ٤ — بنو إسرائيل .
٥ — التوراة . ٦ — النصارى
٧ — ما وراء الطبيعة ٨ — التوحيد
٩ — القرآن ١٠ — الدين
١١ — العقائد ١٢ — العبادات
١٣ — الشريعة ١٤ — النظام الاجتماعى
١٥ — العلوم والفنون ١٦ — التجارة
١٧ — علم تهذيب الأخلاق ١٨ — النجاح

وتحت كل باب منها فروع تبلغ عدتها خمسين وثلاثمائة فرعا وتحت كل فرع جميع ما ورد فيه من آيات التنزيل مما لم يسبق جمعه وتنسيقه فى كتاب .

والمستدرك قائم على ترتيب حروف الهجاء فيبدأ بحرف الألف هكذا :

١ — الآداب الشرعية ٢ — آدم
٣ — آزر ٤ — إبراهيم
٥ — إبليس ٦ — ابن السبيل

(١) نشرته دار الكتاب العربى — بيروت فى طبعة جديدة سنة ١٩٦٩

٧ — أبو لهب	٨ — الأخدود
٩ — الأدعياء فى النسب	١٠ — إرم
١١ — إسحق	١٢ — إسرائيل
١٣ — إسماعيل	١٤ — الله
١٥ — الأمثال	١٦ — الأنبياء والمرسلون
١٧ — الإنجيل	١٨ — الإنسان
١٩ — الأنصار	٢٠ — الأنفال
٢١ — الأولاد	٢٢ — الأيمان

وتتوالى العناوين والموضوعات حتى يختم بحرف الياء فيسوق الآيات التى وردت فى اليتامى ويحيى ويعقوب واليهود ويوشع ويونس وتكون آخر آية قوله تعالى « فاجتباه ربه فجعله من الصالحين »

ويختم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى الكتاب بدعاء مقتبس من خطبة الرسالة للإمام الشافعى رضى الله عنه قال :

« والحمد لله الذى لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه ، توجب على مؤدى ماضى نعمه ، بأدائها ، نعمة حادثة يجب عليه شكره بها »

وهو فى هذا يلتقى مع قول الشاعر :

يارب لك الحمد على كل نعمـــة
ومن أفضل النعماء قولى لك الحمد

وقد قرظ الكتاب الأستاذ محمد فريد وجدى فقال :

جاء هذا العمل من خير الأعمال وأجـــداها على الكتاب والمؤلفين والباحثين ، فإن الذى كان يحاول أن يكتب عن الزكاة أو الأديان أو بعض

الأنبياء أو مبــــدأ المساواة أو النظر إلى مصنوعات الله .. الخ مما يحب الكاتب أن يقتبس فيه من الكتاب الكريم — يعجز عن استيعاب الآيات الواردة فى هذه الموضوعات ..

فأصبح بهذا الكتاب الجديد يستطيع أن يلم فى مجال واحد بكل مايود أن يقرأه عنه من الآيات ، لا بالهداية إلى أرقامها من المصحف فحسب ولكن بإثبات تلك الآيات نفسها فى صلب الصفحات ..

هذا عمل جدير بالإعجاب...،

وقد ذكر المترجم أن السيد محمد رشيد رضا حدثه أن الأستاذ الإمام محمد عبده كان إذا شرح آية من كتاب الله يسرد الآيات التى تنتظم معها فى سلك واحد كلها أو جلها مما لم يسبق لمفسر الإتيان به — وكان ذلك اعتمادا على نسخة منقولة إلى العربية من كتاب وضعه أحد علماء فرنسا بوب فيه آيات القرآن حسب الموضوعات .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا :

ولما توفى إلى رحمة الله بحثنا فى مخلفاته عن تلك النسخة فلم نقف لها على أثر ..

مفتاح كنوز السنة

هذا الكتاب أهم عمل على الإطلاق خدم السنة فى العصر الحديث، وضعه بالإنجليزية الدكتور أ. ى. وِنْسِنْك، ونقله إلى اللغة العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى سنة ١٩٣٤م

وفى وصف هذا الكتاب والتعريف به وبيان أهميته قال الشيخ أحمد محمد شاكر: لو وجد بين يدى مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر علىّ أكثر من نصف عمرى الذى أنفقته فى المراجعة، ولكنه لم يكن ليغنينى عن هذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) فإن ذاك إنما يهديك إلى مواضع الأحاديث القولية التى تعرف أوائلها، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما فى معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازى وغيرها ..

فلو كان بيدى هو أو مثله من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة لوفر على ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها ..

ثم قال الشيخ أحمد شاكر:

وهذا الكتاب فى فن دقيق عويص لم تنشر فيه كتب كثيرة، ولذلك نرى المؤلف يمكث فى تأليفه نحو عشر سنين.

فإن فن الفهارس عموماً، والفهارس لكتب الحديث على الخصوص لم تثبت قواعده إلى الآن، وإن كان أئمتنا المتقدمون رضوان الله عليهم جاهدوا فى سبيله جهاداً كبيراً فاخترعوا لمفردات اللغة العربية ترتيب معاجمها على الحروف الهجائية، وسبقوا إلى ذلك سائر الأمم ...

وقد بذل الأئمة المتقدمون جهداً كبيراً لإرشاد الباحثين عن الأحاديث

فى مظانها من الدواوين الكبار كالكتب الستة وغيرها ، فألفوا نوعا من الفهارس لها سموه (الأطراف) ، فيجمع أحـــدهم أحاديث الصحيحين (البخارى ومسلم) أو أحاديثهما مع أحاديث باقى الكتب الستة (السنن الترمذى والنسائى وأبى داود وابن ماجه) ، ويفرد رواية كل صحابى وحده ، ويرتب أسماء الصحابة على الحروف ، ثم يبين موضع كل حديث من أبواب كل كتاب .

وهذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) جعله مؤلفه فهرسا لثلاثة عشر كتابا من أمهات كتب الحديث وهى[1] :

١ — مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٢ — صحيح البخارى .

٣ — صحيح مسلم .

٤ — سنن الدارمى .

٥ — سنن أبى داود السجستانى ،

٦ — سنن الترمذى .

٧ — سنن النسائى .

٨ — سنن ابن ماجه .

وهذه الكتب الثمانية هى أصول السنة ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ، ويندر أن يكون حديث صحيح خارجا عنها ، ليس موجودا فى أحدها .

---

(١) هى أربعة عشر كتابا لكن الكتاب الأخير وهو مسند الإمام زيد مشكوك فى صحته

٩ — موطأ الإمام مالك .

١٠ — مسند أبى داود الطيالسى .

وهى من أقدم الكتب المؤلفة فى الحديث ، فإن مالكا والطيالسى من علماء القرن الثانى الهجرى ، وإن كان الطيالسى تأخرت وفاته إلى أول القرن الثالث (سنة ٢٠٤هـ) .

١١ — سيرة ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨هـ ، وهى اختصار وتهذيب لأول كتاب ألف فى السيرة ، وهو كتاب محمد بن إسحق رئيس أهل المغازى المتوفى سنة ١٥١هـ .

١٢ — كتاب المغازى للامام محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧هـ .

١٣ — الطبقات الكبير ، وهو أعظم كتاب جمع سيرة النبى ﷺ وتراجم الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، للامام الحافظ الثقة محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ وهو تلميذ الواقدى وكاتبه .

١٤ — المسند المنسوب للامام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، المتوفى شهيدا ، سنة ١٢٢هـ وهذا الكتاب عمدة فى الفقه عند علماء الزيدية من الشيعة ، ولو صحت نسبته إلى الإمام زيد عليه السلام لكان أقدم كتاب موجود من كتب الأئمة المتقدمين ، إلا أن الراوى له عن زيد رجل لا يوثق بشىء من روايته عند أئمة الحديث ، وهو أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى ، رماه العلماء بالكذب فى الرواية ، قال الإمام أحمد بن حنبل فى شأنه : كذاب ، يروى عن زيد بن على عن آبائه أحاديث موضوعة ،

ثم قال الشيخ أحمد شاكر :

وقد رتب الأستاذ ونسلك كتابه على المعانى والمسائل العلمية والأعلام التاريخية .

وقسم كل معنى أو ترجمة إلى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك .

ثم رتب عناوين الكتاب على حروف المعجم .

واجتهد فى جمع ما يتعلق بكل مسألة من الأحاديث والآثار الواردة فى هذه الكتب .

واختتم الشيخ أحمد شاكر تعريف الكتاب قائلا :

وها أنا اشتغل بعلوم الحديث وكتبه منذ خمس وعشرين سنة ، وقد تلقيت كثيرا منها سماعا وقراءة عن أعلام وكبار من الشيوخ ، وفى مقدمتهم والدى الأستاذ الجليل السيد محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر سابقا — حفظه الله .

والحافظ الكبير العلامة السيد عبد الله بن إدريس السنوسى عالم مراكش وشيخ شيوخها رحمه الله .

ومع ذلك فإنى طالما أعيانى تطلب بعض الأحاديث فى مظانها ، وأقرب من هذا أنى لبثت نحو خمس سنين وأنا أطلب حديثا معينا فى سنن الترمذى ، وهو كتاب تلقيته كله عن والدى سماعا ولى به شبه اختصاص وكبير عناية .

فهذه الكتب كانت بين يدى من لم تطل مدارسته لها كالصناديق المغلقة ، لا يعلم من أين يصل إلى ما فيها ، فجاء الأخ محمد أفندى فؤاد عبد الباقى فأسلم إليه مفتاحها ليتخير من كنوزها ما تطيب له نفسه ويزكو به عقله وقلبه ... » .

١١ من ربيع الثانى سنة ١٣٥٣ هـ

٢٣ من يوليو ١٩٣٤ م

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى

هذا الكتاب من أضخم الكتب فى السنة النبوية ، إذ يحوى أكثر من خمسمائة وثلاث آلاف صفحة من القطع الكبير ، ويعد من أهم الكتب التى خدمت البحث فى الحديث الشريف من خلال فهرست صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن الترمذى والنسائى وأبى داود وابن ماجه ، ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل .

وقد رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره الدكتور : أ. ى. ونسنك أستاذ العربية بجامعة ليدن ، وطبع الجزء الأول منه سنة ١٩٣٦م ، وتوالى نشره بعد ذلك فى أجزاء متعاقبة وشارك فيه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، وكانت المساعدات المالية والنفقات من المجامع العلمية البريطانية والدنيمركية والسويدية والهولندية والاتحاد الأممى للمجامع العلمية .

دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة

هذا الكتاب من تأليف المستشرق الفرنسى موريس بوكاى[١]، ويتصدره إهداء: لذكرى صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله.

ويفسر سر هذا الإهداء فى ثنايا البحث حين يقول[٢]:

وسأظل مدينا بالعرفان وبشكل لاحد له للمغفور له جلالة الملك فيصل، الذى أحيى ذكراه باحترام عميق، سيظل محفورا فى ذاكرتى دائما أن كان لى الشرف الأثير أن استمع إليه يتحدث عن الإسلام، وأن أذكر فى حضرته بعض مشاكل تفسير القرآن فى ارتباطها مع العلم الحديث!.

إن كونى قد تلقيت معلومات قيمة من جلالته نفسه ومن حاشيته ليشكل بالنسبة لى امتيازاً خاصا.

ونعود إلى مقدمة المؤلف التى وضح فيها موقف الغرب من الإسلام بقوله:

١ — إن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عموما فى بلادنا الغربية، ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التى اتبعت فى تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان، وكيف فرض عليهم الجهل فى كل ما يمس الإسلام ..

---

(١) ط دار المعارف — لبنان

(٢) ص ١٤٤

٢ — إن الاستعمال السائد حتى اليوم فى التسميات الغربية مثل «الدين المحمدى والمحمديون» ليدل على الرغبة فى أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأى الخاطىء القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل، وأنه ليس لله (بالمعنى الذى يدركه المسيحيون) مكان فى تلك المعتقدات ..

٣ — إن كثيراً من معاصرينا المثقفين يهتمون بالجوانب الفلسفية والاجتماعية والسياسية فى الإسلام دون أن يتساءلوا عن التنزيل الإسلامى بصورة خاصة كما كان يجب عليهم أن يفعلوه، ويرون من البديهيات أن محمداً ﷺ قد اعتمد على ما سبقوه، وذلك بقصد استبعاد قضية الوحى منذ البدء.

٤ — وزيادة على ذلك فهناك بعض أوساط مسيحية تحتقر المسلمين، ولقد خبرت هذا حين حاولت إقامة حوار من أجل دراسة مقارنة حول عدد من الأخبار المذكورة فى القرآن والتوراة معاً فى موضوع واحد، ولاحظت أن هنا رفضاً باتاً للنظر بعين الاعتبار ولو لمجرد التأمل فيما يحتويه القرآن مما يتعلق بموضوع الدراسة المزمعة، كأن الرجوع فى ذلك إلى القرآن يعنى الاعتماد على الشيطان ..

ويقرر المؤلف أن هناك فرقاً جوهرياً بين المسيحية والإسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة هو:

فقدان نصوص الوحى الثابت لدى المسيحية فى حين أن الإسلام لديه القرآن الذى هو وحى منزل وثابت معاً ..

ويقول المؤلف(١) :

فالقرآن هو الوحى الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل ، وقد كتب فور نزوله ، ويحفظه ويستظهره المؤمنون عند الصلاة وخاصة فى شهر رمضان ، وقد رتب فى سوره بأمر من محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، وجمعت هذه السور فور موت النبى ﷺ (فى عهد أبى بكر) وفى خلافة عثمان (من السنة الثانية عشرة إلى السنة الرابعة والعشرين التالية لوفاة محمد ﷺ) ذلك لتصبح النص الذى نقرأه اليوم ..

أما الكتاب المسيحى المقدس فإنه يختلف بشكل بين عما حدث بالنسبة للإسلام ، فالإنجيل يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة ، وأننا لا نملك أى شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى ...

ويؤكد المؤلف أن تطور العلم كشف عن وجود نقاط خلاف مع التوراة والإنجيل تجعل من غير الممكن قبولها كرسالة إلهية منزلة ، لأنهما ينصان على واقع غير صحيح بالمرة ..

والأمر بالعكس بالنسبة للقرآن ، فدراسة النص القرآنى فى العصر الحديث على ضوء العلم لم تكشف أى تعارض بينهما ، ولا يتناقض موضوع ما من مواضع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية الحديثة ، ولا يحتوى القرآن على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث ..

---

(١) ص ١٠

وساق المؤلف دراسته فى ثلاثة محاور على النحو التالى :

التوراة :

يرى المؤلف أن الكتاب المقدس قبل أن يكون أسفاراً كان تراثا شعبيا لا سند له إلا الذاكرة ، وهى العامل الوحيد الذى اعتمد عليه نقل الأفكار ، وكان هذا التراث غناء شعبيا فى مناسبات الطعام والحصاد والعمل والحداد والزواج والنصر والهزيمة ..

ويؤكد المؤلف أن أسفار العهد القديم كتبت على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة ..

ويقدم المؤلف عرضاً للأسفار الخمسة أو التوراة، والكتب التاريخية والكتب النبوية وكتب الشعر والحكمة .. ثم يبدأ فى المقابلة بين العهد القديم والعلم الحديث ، واختار ثلاث نقاط جوهرية هى :

١ — خلق العالم ومراحله .

٢ — تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض .

٣ — رواية الطوفان .

وجاءت نتيجة البحث هكذا :

بالنسبة للنقطة الأولى :

● إن التوراة تضع خلق الشمس والقمر بعد الأرض ، وهذا يناقض المعلومات الأساسية عن تشكل عناصر الشمس .

● إن سفر التكوين لا يشير إلى الحيوانات الأرضية إلا فى اليوم السادس بعد ظهور الطيور ، وهذا غير مقبول علميا .

• إن رواية الخلق فى النص الكهنوتى تقسم الزمن إلى أيام بالمعنى الدقيق لأيام الأسبوع ، وهو تقسيم لا يقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية ، فمن المعروف تماما أن تشكل الكون والأرض قد تم على مراحل تمتد فترات زمنية شديدة الطول ، لا تسمح المعطيات الحديثة بتحديد مدتها .

وبالنسبة للنقطة الثانية :

يشير الباحث إلى أن سفر التكوين يعطى إشارات دقيقة جداً عن الزمن الذى جرى بين آدم وإبراهيم عليهما السلام ، ولكن بالنسبة للفترة الممتدة من إبراهيم وحتى العصر المسيحى فإن المعلومات المعطاة غير كافية . .

ونستنتج أن إبراهيم — كما تقول التوراة — قد رأى النور فى عام ١٩٤٨ بعد آدم .

ويحدد حاليا عصر إبراهيم بحوالى ثمانيـــة عشر قرنا قبل الميلاد ، فيكون تاريخ خلق العالم وظهور الإنسان حوالى ثمانية وثلاثين قرنا قبل المسيح . .

وهذا التقدير خاطىء بلا أى جدل . . ! !

فالمعطيات العلمية الحديثة تسمح بأن نقتنع بأن الإنسان كان يوجد على الأرض بطاقة ذكائه وعمله التى تجعله يختلف عن كائنات حية تبدو مقاربة له تشريحيا — فى فترة لاحقة على تاريخ يمكن تقديره بوحدات تتكون من عشرات من ألوف السنين .

وبالنسبة للنقطة الثالثة :

نجد أن إشارات سفر التكوين – من خلال قائمة الأنساب – تقول إن نوحا ولد بعد ١٠٥٦ عاما من آدم ، وتحدد الرواية الكهنوتية عمر نوح يومئذ ٦٠٠ سنة ، فيكون الطوفان قد وقع بعد ١٦٥٦ عاما من خلق آدم ، كما يحدد سفر التكوين الطوفان قبل إبراهيم بحوالى ٢٩٢ عاما ، ويعطى سفر التكوين معلومات تجعل الطوفان يعم الجنس البشرى كله والكائنات التى خلقها الله على الأرض .

والمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة ، فإن هذا التاريخ قد ظهرت فيه حضارات انتقلت أطلالها للأجيال التى تلتها ، فى مصر هو تاريخ الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشر ، وفى بابل هو أسرة أور الثالثة ، ولم يحدث انقطاع فى هذه الحضارات ولم يحدث إعدام يعم البشرية برمتها كما تقول التوراة .

• • •

ويسوق المؤلف موقف المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان (١٩٦٢ – ١٩٦٥ م) حين قال فى وثيقته عن العهد القديم :

إن هذه الكتب تحتوى على شوائب وشىء من البطلان ومع ذلك ففيها شهادة عن تعليم إلهى .. !!

وقد صوت على هذه الوثيقة ٢٣٤٤ صوتا ضد ستة أصوات .. !!

• • •

الأناجيل :

يؤكد المؤلف أن المسئولين الكنسيين يقللون بشكل مبالغ فيه الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية رسالة المسيح وبين ظهور النصوص ، ويريدون إيهام الناس بوجود صيغة واحدة اعتمدت على تراث شفهى .

على حين أثبت المتخصصون أن هذه النصوص الإنجيلية قد أصابتها تعديلات كثيرة وتناقضات بينة وأخطاء صارخة .

ويرى المؤلف أن الصيغ المديحية (صيغ المدح) للإنجيل لا تصلح أمام النقد ، وأن الطابع الخداع لتعليقات الشراح الإنجيليين لا تغنى من الحق شيئا .

ويصف المؤلف الأناجيل بأنها تحوى متناقضات وأمورا غير معقولة واستحالات مادية ودعاوى معاكسة لأمور تم التحقق من صحتها ، ويستعرض المؤلف أخطاء متى ومرقس ولوقا ويوحنا فى أناجيلهم ، ويصل إلى أن الدراسة النقدية لهذه النصوص تقود إلى اكتساب مفهوم أدب مضحك ، تفتقر خطته إلى الاستمرار ، وتبدو تناقضاته غير قابلة للحل .

وقام المؤلف بدراسة الأناجيل على ضوء العلم الحديث وقال فى أول سطر :

تحتوى الأناجيل على قليل جدا من الفقرات التى تستطيع أن تقود إلى مقارنة مع المعطيات العلمية الحديثة .

ولا يرى المؤلف أى تعارض بين المعجزات الإلهية والعلم الحديث ، وبالتالى فلا يخضع معجزات عيسى عليه السلام للبحث العلمى والنقد ، فقدرة الله صالحة لكل شىء .

واختار المؤلف مجموعة نصوص إنجيلية للمقارنة هى :

- نسب المسيح .
- روايات الآلام والأحداث الأخيرة من حياة المسيح مثل العشاء الأخير والقيامة والصعود إلى السماء .

وأظهر المؤلف تناقض روايات الأناجيل فى هذا المجال .

واختتم المؤلف هذا الباب بقوله(١) :

خيالات متى ، والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل ، والأمور غير المعقولة ، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث ، والتحريفات المتوالية للنصوص — كل ذلك يجعل الأناجيل تحتوى على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنسانى وحده .

لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجود رسالة المسيح .

---

(١) ص ١٣١

القرآن والعلم الحديث :

تحدث المؤلف عن الأحكام المغلوطة التي يصدرها الغرب عن الإسلام، والتي هي ناتجة عن جهل حيناً وعن تسفيه عامد حيناً آخر.

وتكلم المؤلف عن الأخطاء الراجعة إلى ترجمة القرآن الكريم ممن لا يفهم اللغة العربية حق الفهم، الأمر الذي دفع بالمؤلف نفسه إلى تعلم اللغة العربية ليكون قادراً على التقدم في دراسة الدين الإسلامي الذي يجهله الكثيرون في أوربا .. ثم قال[1]:

لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بالظاهرات الطبيعية، وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي.

أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكون عنها أدنى فكرة.

ثم يقول :

وقد دفعني ذلك لأن أتساءل : لو كان كاتب القرآن إنساناً كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة.

ليس هناك أي مجال للشك، فنص القرآن الذي نملك اليوم هو فعلاً نفس النص الأول.

ما التعليل الإنساني الذي يمكن أن نعطيه لتلك الملاحظة ؟!

---

(١) ص ١٤٥

فى رأيى ليس هناك تعليل ، إذ ليس هناك سبب خاص يدعو للاعتقاد بأن أحد سكان شبه الجزيرة العربية فى العصر الذى كانت تخضع فيه فرنسا للملك داجوبير استطاع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالى عشرة قرون ثقافتنا العلمية فيما يخص بعض الموضوعات .

ويؤكد المؤلف أن المعارف اللغوية المتبحرة لا تكفى وحدها لفهم هذه الآيات القرآنية ، بل يجب بالإضافة إليها امتلاك معارف علمية شديدة التنوع ، تحتاج إلى تخصصات عدة .

ومع ذلك فليس القرآن كتابا يهدف إلى عرض بعض القوانين التى تتحكم فى الكون ، إن له هدفا دينيا جوهريا .

وأوصاف القدرة الإلهية هى المناسبة الرئيسية فى توجيه الدعوات للبشر أن يتأملوا فى أعمال الخالق .

وتحت عنوان : صحة القرآن وتاريخ تحريره يقول المؤلف :

صحة القرآن التى لا تقبل الجدل تعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد .

فالقرآن يتمتع منذ البداية بعنصرى الصحة اللذين لا يتمتع بهما الإنجيل وهما :

١ — الكتابة والتدوين .

٢ — التلاوة والحفظ عن ظهر قلب .

وأول آيات القرآن نزولا تمدح القلم وتدفع إلى الاهتمام بحفظ القرآن مكتوبا : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم »[1] .

---

(١) سورة العلق — الآيات ١ : ٥

وتتوالى نصوص القرآن لتؤكد هذه الميزة فهو فى صحف مكرمة ، وفى كتاب مكنون ، وكان هناك كتبة الوحى يسجلون النص ساعة نزوله، وكان هناك تلاوة للنص فى جميع الصلوات والسهر به فى شهر رمضان .

وتوجد اليوم فى مكتبات العالم نسخ أصلية ترجع إلى عهد سيدنا عثمان تتطابق كل منها مع الأخرى تماما .

ثم بدأ المؤلف يسوق التطبيقات العلمية لتوافق القرآن والمعطيات الحديثة ، وتكلم عن خلق السموات والأرض ، ومراحل هذا الخلق ، وأن لفظ ستة أيام فى المفهوم القرآنى لا تعنى الوحدات المكونة من أربع وعشرين ساعة ، وإنما تعنى مراحل فى الخلق وفترات طويلة وعصورا ممتدة أخذا من مثل قوله تعالى :

«فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون»[1]، «فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»[2].

وساق المؤلف معطيات العلم والقرآن حول نظام الشمس والمجرات والنجوم والكواكب ، والسماء الدنيا والقبة السماوية ، وتعاقب الليل والنهار ، وتوسيع الكون ، وغزو الفضاء ، ودورة الماء والبحار ، وتضاريس الأرض ، والجو الأرضى، وعالم النبات والحيوان، والتناسل البشرى .

وقام المؤلف بموازنة دقيقة فاحصة عميقة بين الروايات القرآنية وروايات التوراة ، واختار موضوعين هما :

— الطوفان فى عهد نوح .

— خروج موسى من مصر .

---

(١) سورة السجدة — الآية ٥

(٢) سورة المعارج — الآية ٤

وأظهر وجوه الاتفاق والاختلاف ، وكذا تميز القرآن في صدق الخبر ، وتصحيحه لتناقضات التوراة ، وتوافق النص القرآني في دلالته مع معطيات العلم الحديث .

واختتم المؤلف كتابه ببحث عن الأحاديث النبوية والعلم الحديث وقال إنه تمت مراجعته بالتعاون مع الدكتور معروف الدواليبي .

ويفرق المؤلف بين القرآن والحديث من حيث السند والمتن ، مع اعترافه بالجهود العلمية الفذة التي قام بها أساتذة الفكر الإسلامي لتحديد درجتي القبول والعمل بالأحاديث .

ويقرر أن حقائق القرآن العلمية تدل جميعها على أن نصوص القرآن لادخل ليد البشر فيها وأنها وحي لاشك فيه .

وذلك خلافا لنصوص الأحاديث الظنية من أخبار الآحاد التي لا يمكن أن ترتفع في الثبوت إلى درجة الوحي المنزل المتواتر المكتوب ، وذلك لما قد يدخل عليها من أخطاء الرواة .

وفضلا عن ذلك كله فقد يكون الحديث صحيحا لا شك فيه ولكنه مادام في أمر من أمور الدنيا مما لاعلاقة للدين به فلا فرق عند الله في ذلك بين النبي ﷺ وبين غيره من البشر لما ورد في صحيح مسلم عن النبي ﷺ « إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » .

وكذلك نقل السرخسي في أصوله قول النبي ﷺ « إذا أتيتكم بشيء من أمر دينكم فاعملوا به ، وإذا أتيتكم بشيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم بأمر دنياكم » .

ويعترض المؤلف على بعض الأحاديث في الطب والكونيات كالفصد والحجامة والكي والعلاج بالحبة السوداء والتمر ، وأحاديث الذباب والنزيف

للمرأة ، وتفسير غروب الشمس بسجودها تحت عرش الله ، وتحديد مراحل تطور الجنين بأربعين يوماً .

ويقول :

إن هذه الأحاديث غير مقبولة علمياً ، وأن الشك يخيم على صحتها فضلا عن أنها من أمور الدنيا (١) .

وهي تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن هو الوحي المكتوب وهو معصوم من كل خطأ علمي .

وأما كلام محمد ﷺ في تلك الأمور الدنيوية التي لا وحي فيها ، حتى وإن صحت نسبته إليه فإنه كلام بشر قد يخطىء وقد يصيب ، عملا بقول محمد ﷺ نفسه .

ولذلك كان التمييز على هذا الأساس ما بين القرآن وبين أقوال محمد ﷺ البشرية الدنيوية هو تمييز ضروري ، وفيه قوة للقرآن وتأكيد على أنه وحي ، كما أنه قوة لمحمد ﷺ نفسه ، وذلك بالتدليل على صدقه فيما نقله عن الله بطريق الوحي مما يتميز تمام التمييز عن كلام البشر ..

---

(١) لعل المؤلف متسرع في تعميم هذه الأحكام ، ولعله يعود يوما لدراسة هذه الأحاديث بروية وهدوء . فإن هناك اليوم دراسات للإعجاز العلمي في الحديث الشريف ، ونحن لا ننكر أن هناك أشياء قالها النبي ﷺ بحكم كونه بشرا - من واقع البيئة العربية والتجربة العامة أو الرأي الشخصي

حياة الحقائق

هذا الكتاب من تأليف الدكتور غوستاف لوبون [1]، وغاية الكتاب كما يقول المؤلف :—

هي البحث في مصادر بعض المعتقدات الدينية والفلسفية والخلقية العظيمة التي وجهت الناس في غضون التاريخ ، والبحث في تحولات هذه المعتقدات .. ويؤكد المؤلف مجموعة قضايا هي :

• من أشد أغاليط الزمن الحاضر خطراً هو العزم على نبذ الماضي مع أن الحاضر هو وليد الماضي .

• إن الأمة تتقدم أو تتأخر بحسب قيمة المبادىء التي تسيرها ، وتصاب الأمم بالمصائب الجمة من تطبيق المبادىء المختلة عليها ، وإن أكثر الفاتحين سفكا للدماء أقل تخريباً من المبادىء الفاسدة .

• لا تكفي الرغبة في السير للتقدم بل يجب أن تعلم الوجهة التي يسار إليها قبل كل شيء .

• الإنسان العامل هو بان أو هادم بحسب اتجاه جهوده ، وشأن رجل الفكر هو في هدايته إلى الطريق التي يسلكها .

ويقسم المؤلف الحقائق إلى خمسة أنواع :

١ — الحقائق البيولوجية   ٢ — الحقائق العاطفية
٣ — « الدينية   ٤ — الحقائق الجمعية
٥ — « العقلية

---

(١) ترجمة عادل زعيتر ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م

ويرى أن الحقيقة ليست حادثا بسيطا يمكن أن يعبر عنه بصيغة موجزة، بل هى مركبة من مجموعة عناصر متباينة، وتختلف الحقائق على الخصوص بنسب العناصر المختلفة التى تدخل فى تركيبها..

ويذهب المؤلف إلى أن الحقائق لم يعد لها ثبات مع التطور العلمى الحديث، وأن المعتقدات الدينية نوع من الافتراض العظيم الذى لاغنية للبشر عنه، وهى من الحقائق المؤقتة..

ويمكن للبشر أن يعيشوا على انتحال الافتراض الدينى طالما كانت هناك نتائج مادية واضحة ذات تأثير كبير، كقيام الدول وتعمير الصحراء، ووقوع الحروب..

وبافتراض دينى قامت دولة محمد ﷺ العظمى..

وبافتراض دينى آخر انقض الغرب على الشرق أيام الحروب الصليبية.

وبافتراض دينى أيضاً فر البيوريتيان الإنجليز من الاضطهاد، راغبين فى ممارسة مذهبهم فأنشأوا فى برارى أمريكية مهجورة مستعمرة صغيرة لم تلبث أن تحولت إلى جمهورية الولايات المتحدة الواسعة..

ويستمر المؤلف فى تأكيد أهمية هذه الافتراضات الدينية فيقول:

والإنسان لو لم يتخذ من الفرضيات مايسيره لعاد إلى دور الهمجية، فالفرضيات وجهت الإنسان فى طريقه الجائرة. وأعانته على إيجاد مايلائمه من الحقائق، أى ماينا سب ذهنية زمنه ومزاج عرقه النفسى، وبدور الفرضيات الوهمية جاء عصر العقل..

ولذلك لا ينبغى لنا أن نزدرى الفرضيات التى عاش بها آباؤنا . . أجل إن كثيرا من هذه الفرضيات لم يكن غير أوهام ، لا ريب ، بيد أن هذه الأوهام أوجدت لدى ملايين البشر آمالا تبصر فيها سر السعادة ، وأوجبت حدوث أنفع الحقائق .

* * *

موضوعات الكتاب :

ويضم كتاب « حياة الحقائق » مجموعة أبواب هى :

١ — دائرة اليقين الدينى : الآلهة .

٢ — دائرة اليقين العاطفى والجمعى : الأخلاق .

٣ — دائرة الحقائق العقلية : الفلسفة والعلم .

وتحت كل باب مجموعة فصول توضح الفكرة وتعرض وجهة نظر المؤلف . .

ويكفى أن نعرض هنا أهم أفكار وقضايا الباب الأول الذى يحوى الفصول التالية :

— أسس المعتقدات الدينية .

— ما يعتور المعتقدات الدينية الفردية من التحولات حينما تصبح جمعيـــة .

— آلهة العالم القديم .

— الأديان الكبرى التركيبية .

— كيف تنحل الديانات الكبرى .

— ظهور المعتقدات الجديدة .

الدين والعقل :

ويرى المؤلف أن العوامل الأساسية لجميع المعتقدات هي العناصر النفسية كتأليه قوى الطبيعة ، والخوف ، والرجاء ، والخيال ، والاحتياج إلى التفسير ، وحب الخلود بعد الموت ..

ويذهب إلى أن العناصر العقلية لم تمثل أى دور فى تكوين الآلهة ، وأن المؤمنين حينما حاولوا تسويغ إيمانهم بالعقول كانت الأديان قائمة منذ زمن ، وأن علماء اللاهوت يعترفون طائعين بأن العقل لا يصلح لتسويغ الإيمان ، وأن جميع الملاحظات حول تكوين الأديان وتطورها تدل على اشتقاق اليقين الدينى من عناصر عاطفية ودينية لا من البراهين العقلية التى لم يكن لها تأثير أبداً على المعتقدات ..

ويعلل المؤلف المعتقدات بالروح الدينية ويعدها عنصراً جوهريا من عناصر الأديان ، ويصف الروح الدينية تلك بأنها مخافة الأمر الخفى ، والأمل فى الأمر الخفى ، وعبادة الأمر الخفى ..

ويقول : ولم تؤد الروح الدينية إلى غير أجوبة خادعة عن مسائل الحياة والكون ، بيد أن هذه الروح سلكت بالإنسان طريقاً جديدة فقادته إلى المعارف التى تعيش بها اليوم .

ويعزو المؤلف الأديان إلى صنع الفرد وصنع الجموع معاً ، فالمعتقدات الدينية هى جمعية لتوقف نجاح الرسل على اعتناق الناس لتعاليمهم اعتناقا تاماً ، وهى لا تنتشر إلا إذا لاءمت رغائب الزمن واحتياجاته .

وفى هذا تجد السر فى إبداع الرسل لقليل من الأديان الثابتة مع أن عددهم كثير لا يحصى فى التاريخ ، ومن وفق منهم لهذا كبوذا ومحمد فقد

ظهر فى الوقت المناسب حين أضحى تحول المعتقدات القديمة ضربة لازب..

فهناك تنتشر العقائد الجديدة بالتلقين والعدوى النفسية ، وتعانى من التحولات مافرضة الضرورة ..

ويرفض المؤلف تفسير الدين بالعقل فالمنطق العقلى لا يقيم دينا ، ويقدم أسسا أخرى تستند إليها الأديان هى :

الإيمان والشعائر والرموز .

ولا غنية لأى دين عن الشعائر والرموز ، فبفضلها يدخل المعتقد الجديد دائرة اللاشعور ، ويتحول الانتحال المؤقت البسيط إلى إيمان وطيد قادر على تعيين وجهة السير .

ويرى المؤلف تشابه المعتقدات الدينية فى جميع الأمم بغض النظر عن أسماء الآلهة وتفسيرات علماء اللاهوت ، فالناس يعزون إلى آلهتهم قوى واحدة ، ويطلبون منها أمورا واحدة ويعبدونها على صورة واحدة[1] .

• • •

التحولات الدينية :

يتحدث المؤلف عن التحولات التى تعتور الدين حينما يصبح جمعيا ، فالجموع تتهافت فى الغالب مع الدعاة ، وتقوم وتقعد معهم أكثر مما تفهم من النصوص .

وبنفوذ الزعماء وتأثير العدوى النفسية يفسر سبب ولوع الجموع أحيانا بالمجادلات اللاهوتية غير المفهومة تماما أو العقيمة بداهة .

والإيمان الشعبى يختلف عن إيمان المتكلمين أو اللاهوتيين .

(١) هناك نقد لهذه النظرية عند حديثنا عن شبهات حول الأصل الأول ص ٣١٢ من الباب الثالث .

ولا تنتحل أى أمة فنون أمة أخرى ونظمها ولغتها من غير أن تحولها تحويلا كبيرا ، ومن الوهم اعتقاد بعض المؤرخين أن الأمم تغير آلهتها كما تشاء ، وليس انتحال أمم بأجمعها دينا جديدا إلا أمرا خياليا ، وإذا لاح أن أمما كثيرة اعتنقت النصرانية أو الإسلام أو البوذية مثلا فإن هذه الأمم لم تنتحل من هذه المعتقدات بالحقيقة سوى بعض الصيغ وبعض الشعائر ، ولم تمسك من الإيمان الجديد إلا العناصر الملائمة لاحتياجاتها ومشاعرها .

ويرى المؤلف أن ثبات الأديان أمر ظاهرى ، وأنه يمكن للعقائد المدونة أن تظل ثابتة وأن الشعائر وإن دامت زمنا طويلا فإن المبادىء الدينية تتبع نفسية من يعتنقونها ، وأن هذه المبادىء تكتسب وصفا مشتركا عندما تنفذ فى روح الشعب ، وأن الآلهة ذات قوى متشابهة وتستمال بوسائل متماثلة ، فالآلهة تبث فى كل مكان آمالا واحدة ومخاوف واحدة وأحلاما واحدة .

آلهة العالم القديم :

أشار المؤلف إلى الطوطمية والوثنية والروحية وذكر الترابط بينها ، فالطوطم حيوانا كان أو نباتا أو جمادا — يبدو رمزا لاجتماع القبيلة ثم يصير وثنا .

والروحية وثيقة الصلة بالوثنية ، فمن المتعذر أن يكون أقل الهمج ذكاء عبد حجرا أو شجرا من غير أن يفترض اشتماله على أرواح خفية .

وتحدث المؤلف عن آلهة العالم الإغريقى ، وعن عبادة الأموات ، وتأليه المجردات والأبطال والوسطاء من الكهنة والعرافين . وأكد استمرارها إلى الآن فى أشكال متعددة مثل زيارة القبور وتقديس الأضرحة والقساوسة وإقامة التماثيل والصور للزعماء الدينيين والسياسيين .

* * *

النصرانية :

قدم المؤلف دراسة عن النصرانية كنموذج تطبيقي لآرائه السابقة في ظهور الدين وتحوله وانتشاره .

ويرى المؤلف أن حياة مؤسس النصرانية مجهولة تقريبا ، وأن الأناجيل مجموعة أوهام وذكريات غير محققة ، بسطها خيال مؤلفيها ، وأن الذي أنقذ حياة يسوع من الضياع هو خيال المتهوس القديس بولس ، فقد أسس دينا باسم يسوع لا يفقهه يسوع لو كان حيا ، وأن النصرانية في قرونها الخمسة الأولى تحولت إلى مزيج من جميع المعتقدات الشرقية الوثنية في مصر وفارس .

ولم تثبت العقائد النصرانية ثباتا حقيقيا إلا بعد أن سلم بسلطان البابا تسليما نهائيا في القرن الخامس عشر .

ويؤكد المؤلف أن النصرانية لم تنتشر لما فيها من عقائد ولاهوت معقد ، ومبادىء ما بعد الطبيعة، وإنما انتشرت بوعود الضعفاء والمحرومين واليائسين من هذه الحياة الدنيا بجنة ذات نعيم أبدي ، فرضي النصراني بأسوأ زهد : رضي بالفقر والرهبانية وبالشهادة أيضا .

كيف تنحل الديانات الكبرى :

هذا هو عنوان الفصل الخامس ، ويقول فيه المؤلف : يعتنق الدين في بدء الأمر جملة واحدة بفعل العدوى النفسية من غير أن يتدخل أي نفوذ ديني في ذلك ، ولكن انتحال دين لا يعني إضاعة الرغبة في البرهنة فيجد المؤمن على الدوام ناحية ثانوية تتطلب تفسيرات جديدة فيظهر في الحال انفصال أو إلحاد .

وتاريخ النصرانية ملىء بهذه الانفصالات والإلحادات التي تدور حول طبيعة المسيح وطبيعة أمه وتاريخ حياته .

ويرى المؤلف أن الآلهة ليست خالدة ، وهي تعانى سنن الزمن أيضا فتزول أو تتحول وفق ما تنشأ عنه من الاحتياجات والمشاعر .

ويتوقف مصير الآلهة إلى أبعد حـــد على درجة ثبات العقائد التي تعرضها الكتب الدينية ، وعندما لا تكون هذه العقائد كثيرة الثبات تتحول الآلهة من غير أن تزول تماما ، فالمعتقد إذا ما ثبت كثيرا عجز عن التطور فيتلاشى بفعل الزمن .

ويقارن المؤلف بين العقيدة النصرانية الأولى وبين العقيدة النصرانية الحالية فيقول : من غير المفيد أن نبحث في ظهور مؤسس النصرانية ، فسواء ظهر يسوع أم لم يظهر — لم نجد أي شبه بين النبي الجليل الخاشع وبين الرب الأسطوري الذي عبده الناس منذ ألفي سنة .

إن يسوع المعبود الذي يضرع إليه المؤمنون هو من صنع الجموع ، فقد تطلب تأليف شخصه وتعاليمه من أنقاض الآلهة والمعتقدات السابقة مرور عدة قرون ، وما إله كنائسنا إلا من الآلهة التركيبية . .

وينهي المؤلف هذا الفصل قائلا :

وجميع آلهة البشر ظهرت من دوائر اللاشعور في روح الجموع حيث لا ينفذ العقل ، والآلهة تسيطر على ذهن النــــاس وتوجه الحضارات العظيمة . .

ولا سلطان للمنطق العقلي على هذه المعبودات التي لا تفنى . .

أجل ، يشير المنطق العقلي علينـا بهدم معابد تلك الآلهة في بعض الأحيان ولكن من غير أن يلوح لهـذا المنطق وجود منطق أعلى منه يكرهنا على إعادة بنائها ذات يوم على ما يحتمل . . !!

الأسس النفسية فى تكوين ديانات جديدة :

ساق المؤلف هنا بعض القضايا التى تصورها لكيفية ظهور المعتقدات الجديدة على النحو التالى :

● لا يفترض أن يزول عصر المعتقدات الدينية أو أن تزول الظاهرة الدينية .

● إن دور مؤسسى الأديان العامة كبوذا ومحمد (عليه الصلاة والسلام) أو دور أقوياء المصلحين كلوثر وكالفين قد غاب ولكن يظهر فى مختلف البلدان من الأديان الصغيرة على الدوام ما يدل على أن ثقة البشرية بعون الآلهة فى كل زمان — قائم مستمر . .

● المعتقدات تتطلب فى بعض الأحيان عدة أجيال لتزول ، وهى إذا ما زالت تركت آثارا لا تمحى فى النفس ، يمكن أن تستيقظ فى الأحوال العظيمة كساعة الموت لدى الأفراد ، وساعة المصائب لدى الأمم .

● الديانات الجديدة نوعان :

١ — ديانات نشأت عن تحول معتقدات قديمة كالبروتستانتية .

٢ — ديانات اقتبست عناصر قليلة من المعتقدات القديمة مثل المرمونية التى ظهرت فى أمريكا وقالوا بتعدد الزوجات ، والبابية والبهائية فى فارس والروحية الحديثة التى تناجى أرواح الموتى وأرواح العالم الآخر بواسطة الموائد الدوارة والوسطاء .

● من الممكن أن يكون المرء زنديقا وأن يظل مشبعاً بالروح الدينية ، فالأحزاب السياسية والثورات لا تفوز بالبراهين العقلية بل بالمشاعر ذات الصبغة الدينية . .

وينتهى المؤلف إلى أنه لا يمكن إقامة دين على العلم ، فالدين والعلم أمران لا يجتمعان . . !!

والديانة العلمية أمر مستحيل . . !!

أخبار الحلاج

(أو مناجيات الحلاج)

هو من أقدم الأصول الباقية فى سيرة الحسين بن منصور الحلاج البيضاوى البغـــدادى ، اعتنى بنشره وتصحيحه وتعليق الحواشى عليه المستشرقان ل . ماسنيون ،ب كراوس ، وطبع فى باريس سنة١٩٣٦[(١)]:
ويضم الكتاب أربعة وسبعين خبراً عن الحلاج .. ونسوق هنا الخبر الأول والخبر الأخير ..

١ — عن إبراهيم بن فاتك قال :

لما أتى بالحسين بن منصور ليصلب ، ورأى الخشبة والمسامير فضحك كثيراً حتى دمعت عيناه ، ثم التفت إلى القوم فرأى الشبلى فيما بينهم فقال له :

يا أبا بكر هل معك سجادتك ؟

فقال : بلى يا شيخ .

فقال افرشها لى

ففرشتها فصلى الحسين بن منصور عليها ركعتين ، وكنت قريباً منه ، فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب ، وقوله تعالى « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع » الآية[(٢)] .

وقرأ فى الثانية فاتحة الكتاب وقوله تعالى : « كل نفس ذائقة

---

(١) مطبعة القلم ومكتبة لاروز بباريس .

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٥

الموت ، الآية[1] ، فلما سلم عنها ذكر أشياء لم أحفظها ، وكان مما حفظته :

اللهم إنك المتجلى عن كل جهة ..

المتخلى من كل جهة ..

بحق قيامك بحقى

وبحق قيامى بحقك

وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى ، فإن قيامى بحقك ناسوتية ، وقيامك بحقى لاهوتية ..

وكما أن ناسوتيتى مستهلكة فى لاهوتيتك غير ممازجة إياها ، فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيتى غير مماسة لها .

وبحق قدمك على حدثى

وحق حدثى تحت ملابس قدمك ..

أن ترزقنى شكر هذه النعمة التى أنعمت بها على ، حيث غيبت أغيارى عما كشفت لى من مطالع وجهك ،

وحرمت على غيرى ما أبحت لى من النظر فى مكنونات سرك .

وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلى تعصباً لدينك وتقرباً إليك فاغفرلهم .

فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لى ما فعلوا ما فعلوا ..

ولو سترت عنى ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت ..

فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد ..

ثم سكت وناجى سراً ..

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٥

فتقدم أبو الحارث السياف فلطمه لطمة هشم أنفه ، وسال الدم على شيبه ، فصاح الشبلي ومزق ثيابه ، وغشى على أبى الحسين الواسطى وعلى جماعة من الفقراء المشهورين ، وكادت الفتنة تهيج ، ففعل أصحاب الحرس ما فعلوا .. »

* * *

٢ — وقال أحمد بن فاتك : سمعت الحلاج يقول :

أنا الحق ..

والحق للحق أحق ..

لابس ذاته ..

فما ثم فرق ..

أخبار أمم المجوس

من الأرمان وورنك والروس

هذا الكتاب مجموعة نصوص عربية جمعها المستشرق الكسندر سيبل وطبع في مدينة أوسلو سنة ١٩٢٨م[1] .

وهو يتتبع المصادر العربية في تاريخ هذه الأمم ، ويقدم نقولا من كتب التاريخ والأدب والجغرافيا في عصور مختلفة موزعة على خمسة أبواب هي :

— ذكر المجوس
— ذكر الأرمان
— ذكر ورنك
— ذكر الروس
— ذكر ملك الفرنج مدينة صيداء سنة ٥٠٤ ه

والكتب التي نقل منها كثيرة منها :

١ — مروج الذهب ومعادن الجوهر :
لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي .

٢ — تاريخ الأندلس :
لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية.

٣ — المقتبس في تاريخ الأندلس :
لأبي مروان حيان بن خلف بن الحسين بن حيان.

---

(١) وأعيدت طباعته بالأوفست في مكتبة المثنى ببغداد .

٤ — المسالك والممالك :

لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري .

٥ — المسالك والممالك :

لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه .

٦ — مسالك الممالك :

لأبي إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالاصطخري .

٧ — نزهة المشتاق في اختراق الآفاق :

للشريف أبي عبد الله محمد بن محمد الإدريسي .

٨ — المطرب في أشعار أهل المغرب :

لأبي الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية .

٩ — الكامل في التاريخ :

لعز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري .

١٠ — آثار البلاد وأخبار العباد :

لزكريا بن محمد بن محمد القزويني .

١١ — البيان المغرب في أخبار المغرب .

لأبي العباس ابن العذاري .

١٢ — المختصر في أخبار البشر :

للملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل بن علي الأيوبي .

١٣ — نهاية الأرب في فنون الأدب :

لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري .

١٤ — أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم :

لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي .

١٥ — الفهرست :

لأبى الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن أبى يعقوب النديم

١٦ — تكملة تاريخ الطبرى :

لأبى الحسن محمد بن عبد الملك الهمذانى .

١٧ — معجم البلدان :

لشهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى .

١٨ — مناهج الفكر ومباهج العبر :

لجمال الدين محمد بن إبراهيم الوراق المعروف بالوطواط .

١٩ — بسط الأرض فى طولها والعرض :

لأبى الحسن على بن موسى المعروف بابن سعيد المغربى .

٢٠ — عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان :

لبدر الدين محمود بن أحمد العينى :

٢١ — العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر :

لأبى زيد عبد الرحمن محمد بن خلدون .

٢٢ — ديوان أبى طالب المتنبى ..

وساق المؤلف قصيدة المتنبى يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدث ومنازلته أصناف جيش الروم سنة ٣٤٣هـ ، والتى مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

يكاف سيف الدولة الجيش همه
وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه
وذلك ما لا تدعيه الضراغم

---

٢٣ — التفهيم لأوائل صناعة التنجيم :
لأبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى .

٢٤ — التذكرة فى الهيئة :
لنصير الدين محمد بن محمد الطوسى .

٢٥ — نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر .
لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الدمشقى .

الباب الثالث

فى البدء كان التوحيد

الفصل الأول : آدم عليه السلام أول إنسان وأول نبي

الفصل الثانى : شبهات حول الأصل الأول

الفصل الأول

آدم عليه السلام

أول إنسان وأول نبي

- خلق آدم
- آدم بين المعصية والتوبة
- البيان الإلهى الأول

خلق آدم

قصة خلق آدم من الأمور السمعية التي تلقيناها عن الوحي الإلهي ، وهي في تصوير القرآن المجيد مرت بمراحل ، عبرت عنها الآيات الكريمات في أكثر من سورة .

المرحلة الأولى : من تراب :

وإليها الإشارة بقوله تعالى « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »(1) .

فآدم خلق من تراب الأرض مباشرة ، ولعل هذه المرحلة تمثل الصلة بين هذا الكائن الجديد وهذه الأرض ، فهو خليفة فيها يعمرها ويستثمر خيراتها باسم الله وعلى هدى تشريعه الحكيم .

المرحلة الثانية : من طين :

وإليها الإشارة بقوله تعالى «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين»(2) .

فالتراب إذا صب عليه الماء صار طيناً ، ويمثل الماء عنصراً أساسياً في خلق كافة الكائنات الحية تصديقاً لقوله تعالى «وجعلنا من الماء كل شيء حي»(3).

وقد نص القرآن على الماء في خلق الإنسان في قوله سبحانه «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً»(4).

---

(1) سورة آل عمران آية ٥٩

(2) « ص آية ٧١

(3) سورة الأنبياء آية ٣٠

(4) « الفرقان آية ٥٤

المرحلة الثالثة : من طين لازب :

وإليها الإشارة بقوله جل شأنه «فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا، إنا خلقناهم من طين لازب»[1] .

واللازب الملتصق باليد عند الملامسة ، وتلك مرحلة تعقب تحول التراب إلى طين مباشرة .

ومعنى « خلقناهم » خلقنا أباهم الأول آدم عليه السلام ، فهم إليه ينسبون .

المرحلة الرابعة : من حمأ مسنون :

وإليها الإشارة بقوله تعالى «وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون»[2] .

الحمأ هو الطين الأسود .

والمسنون هو المتغير .

فالطين عند تركه فترة معينة يصير حمأ مسنونا .

المرحلة الخامسة : من صلصال :

وقد وردت الإشارة إليها فى مثل قوله تعالى « خلق الإنسان من صلصال كالفخار»[3] .

والصلصال هو الطين اليابس الذى يسمع له صلصلة أى صوت عند النقر عليه .

---

(١) سورة الصافات آية ١١ (٢) سورة الحجر آية ٢٦
(٣) « الرحمن آية ١٤

المرحلة السادسة : كالفخار :

وهى مرحلة لها من اليبس والصلابة ما يقربها إلى الفخار ، ولم يرد ذكر لهذه المرحلة إلا فى آية سورة الرحمن السابقة .

وبذلك تمت تسوية البدن المادية .

المرحلة السابعة : نفخ الروح :

وإليها الإشارة بقوله سبحانه «فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين»[1] .

وبهذا تم خلق الكائن الجديد والإنسان الأول ، وكان خاتمة مطاف الخلق الإلهى لأجناس هذا الكون وأنواعه .

ومن هنا كان الاحتفاء به فى الملأ الأعلى حيث صدر الأمر الإلهى للملائكة وإبليس بالسجود لآدم «فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه»[2] .

وأحيط آدم علما بالأسماء كلها تمهيداً لممارسة خلافته فى الأرض . . هذا وقد جعل بعض الباحثين مراحل خلق آدم عشرا ، فذكر مرحلة ثانية هى الماء عقب مرحلة التراب، وذكر مرحلة رابعة هى من سلالة من طين بعد مرحلة الطين ، وذكر مرحلة تاسعة هى التسوية قبل نفخ الروح[3] .

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩
(٢) سورة الكهف آية ٥٠
(٣) راجع كتاب العقيدة والفطرة د . محمد فتح الله بدران ص ٥٣ ط زهران .

ولكنى آثرت هذه المراحل السبع فقط لأن الماء لم يرد استقلالا لآدم على وجه الخصوص وإنما ورد للإنسان على وجه العموم كما فى قوله تعالى «وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا»[١] .

فقد يراد بالماء هنا الماء الدافق أو الماء المطلق .

ومرحله السلالة من طين لا تعنى أكثر من مرحلة الطين لأن النص الكريم ورد بقوله «من طين» ولفظ «من» يفيد التبعيض فيتفق مع معنى السلالة .

ومرحلة التسوية لا تعنى شيئا أكثر من تمام المراحل السابقة ، وعندما نلاحظ سياقها فى النظم الكريم نجد أنها ذكرت حيث طويت المراحل السالفة بعضها أو معظمها ، واقرأ مثلا :

«وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين»[٢] .

فهنا طويت مراحل التراب والطين والطين اللازب وكالفخار .

وفى سورة أخرى نقرأ قوله تعالى «إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين»[٣] فلم تذكر هنا إلا مرحلة واحدة وطويت باقى المراحل المادية . .

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٤

(٢) « الحجر آية ٢٨ ، ٢٩

(٣) « ص آية ٧١ ، ٧٢

آدم

بين المعصية والتوبة

اتفقت كلمة أهل الأديان السماوية قاطبة على أن آدم أبو البشر، وأنه الإنسان الأول الذى بدأ التناسل البشرى، ومنه تكاثرت الذرية.

وهناك اتفاق أيضا على أن آدم سكن الجنة ومعه زوجه بعد أن سجدت له الملائكة وأبى إبليس أن يكون مع الساجدين، فطرد إبليس من الجنة مرجوما تلاحقه اللعنة إلى يوم الدين.

لكن إبليس اللعين تحايل على آدم حتى أقنعه أن يأكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عنها، فتلى ذلك خروج آدم من الجنة وهبوطه إلى الأرض.

وفى تفاصيل ذلك تختلف المذاهب وتتعدد الاتجاهات.. ولكن القصص الحق الذى ذكره القرآن المجيد حول هذه القصة يمكن أن نشير إليه كما يلى:

شرف الله تعالى آدم وبنيه بأن ذكرهم فى الملأ الأعلى قبل خلقهم، فقال جل شأنه:

«وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة.

قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.

قال إنى أعلم ما لا تعلمون»[1]

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠

ومعنى الخليفة أنه يخلف بعضهم بعضاً جيلا بعد جيل ، والمقصود هو آدم وذريته وليس آدم وحده .

وتساؤل الملائكة إنما هو عن حكمة هذا الخلق ،وليس اعتراضا على فعل الله عز وجل ، ولا حسداً لآدم ، ولا عجباً بأنفسهم .

ومعرفة الملائكة بصفات الخليفة التى قد توجد فى بعض بنى آدم إنما هو استنتاج قائم على مجموعة اجتهادات منها :

١ — استنتاج من طبيعة الخلقة فقد صرح الله تعالى لهم بهذه الطبيعة فقال :

« إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون »(١) .

« إنى خالق بشراً من طين »(٢) .

فطالما كان الخلق من طين فيمكن أن تتغلب على المخلوق بعض صفات الظلمة التى تلازم الطين .

٢ — استنتاج من لفظ « خليفة » بمعنى الحاكم الذى يفصل بين الخصوم ويظهر الحق ويرد المظالم .

٣ — استنتاج من قياس على خلق سابق كالجن، فهم أسبق وجوداً من الإنس ، ورويت آثار تفيد أنهم سكنوا الأرض وأفسدوا فيها(٣) .

ثم بين القرآن أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها أى خصائص عناصر علكته الأرضية ومافيها ومن فيها حتى تتهيأ ملكاته لاستثمارها على الوجه الأكمل ، والانتفاع بها انتفاعاً كبيراً .

---

(١) سورة الحجر آية ٢٨ (٢) سورة ص آية ٧١

(٣) راجع بعض التفصيلات فى تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٦٩

واستقبل هذا الإنسان الأول استقبالا عظيما عن سبقه فى الوجود ، فأمر الله تعالى الملائكة وإبليس ممثل الجن بالسجود لآدم عليه السلام سجود تحية وتقدير .

واستجابت الملائكة استجابة فورية «فسجد الملائكة كلهم أجمعون»[1] ورفض إبليس أن يكون مع الساجدين ، وقاس قياساً فاسداً فى مقابلة النص فقال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

فليس هناك خيرية ذاتية وإنما هى مرهونة باختيار الله واصطفائه كما قال جل شأنه :

« وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون »[2] .

وهنا تحددت العلاقة ، وظهرت العداوة من إبليس لآدم، وأصر عليها إصراراً ، وتمرد على الأمر تمرداً :

« قال أنظرنى إلى يوم يبعثون .

قال إنك من المنظرين .

قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين »[3] .

وحكم الله — وهو خير الحاكمين — بطرد إبليس من الملأ الأعلى مذءوما مدحوراً ، وكافأ الله تعالى آدم وزوجه بإسكانهما الجنة ، وإباحته الأكل منها حيث شاءا ، ونهاهما عن الاقتراب من شجرة فيها :

---

(١) سورة ص آيه ٧٣ (٢) سورة القصص آية ٦٨

(٣) سورة الأعراف آية ١٤ — ١٧

« وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين[1] » .

وجمهور المفسرين على أن هذه الجنة هي جنة الخلد التي هي دار الثواب للمؤمنين .

والقول بأنها بستان أرضي لايستند إلى دليل شرعي ، وهو رجم بالغيب .

وجو القصة وإطارها العام يؤكد رأي الجمهور ، فالله تعالى يقول « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين[2] »

فلو كانوا في بستان أرضي لما استقام هذا التعبير ، لأن المستقر والمتاع إلى حين ثابت لهم قبل الهبوط وبعده .

وقوله جل شأنه « قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين[3] » ، صريح في النقلة من جنة الخلد إلى الأرض ، ولو كان إبليس في بستان أرضي لما صحت التفرقة بين هذا البستان وبين بقاع الأرض الأخرى .

وقوله سبحانه : « قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون[4] » ، يؤكد النقلة الكبرى من جنة الخلد حيث لاموت ، إلى الأرض حيث الحياة والموت والبعث .

ولو كانوا في بستان أرضي لاستوى الأمران وما اختلف الحال داخله وخارجه .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥ — (٢) سورة ٣٦

(٣) سورة الأعراف آية ١٣ — (٤) سورة الأعراف آية ٢٥

وقوله تعالى : « قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى [١] » ، واضح جلى فى حقيقة النقلة فإن الجنة لارسل فيها ولا كتب ، والأرض هى محل الرسالات وتنزلات الوحى للهداية والرشاد .

والأمر لايختلف بين البستان الأرضى وبين بقية أركان الدنيا فى حاجة البشر للرسالات .

وبعدما تم الفصل بين آدم فى الجنة منعما وبين إبليس مطروداً منها تحايل إبليس أن يوقع آدم فى المعصية وأكد له بالقسم المغلظ أن هذه الشجرة المنهى عنها خصوصية تقربه من ربه وتجعله خالداً فى النعيم .

قال جل شأنه « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ، وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور [٢] » .

وقد يتساءل البعض: كيف وسوس إبليس وهو مطرود، لآدم وهو فى الجنة ؟ .

وأظن أن هذا التساؤل أصبح غير وارد الآن بعد أن تيسرت سبل الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وأضحى الناس يتناجون عبر القارات والمحيطات وأجواء الفضاء .

وأكل آدم وزوجه من الشجرة ، وبدت لهما سوآتهما فأدركا الزلة التى وقعا فيها فالتجأ كل منهما إلى الله تعالى فى ضراعة ضارعة :

---

(١) سورة طه آية ١٢٣ : ١٢٤

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠ : ٢٢ .

« ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»[1].

واستجاب الله الدعاء الضارع وبدأ آدم رسالته على الأرض فى طهر طاهر ونقاء نقى .

قال جل شأنه :

« ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى[2] » .

تتوارد هنا تساؤلات :

هل خرج آدم من الجنة مطرودا ؟

هل هبط آدم إلى الأرض ملعونا مدحورا ؟

باستعراض صدر هـــذه القصة فى سورة البقرة نلمح أن آدم خلق للأرض وعمارتها ولم يخلق ليقيم فى الجنة ونعيمها ، وما مرحلة السكن فى الجنة إلا استطلاع للملك والملكوت ، وتعرف على الملأ الأعلى بما فيه ومن فيه .

فهى مرحلة تمهد للخلافة فى الأرض ، فقد علم الله الأسماء كلها لآدم إشارة إلى مجال عمله وتفاعله ، وأمر الملائكة بالسجود تكريما لآدم وذريته ، وعندما تمرد إبليس على السجود ظهرت العداوة وتحددت العلاقة بين الجن والإنس . وسكن آدم فترة فى الجنة حتى تحيا فى وجدانه ويستعد للعودة إليها ثوابا وفضلا ، وفى الأمر بالأكل من ثمار الجنة والنهى عن شجرة منها تجربة عملية للتكليف الشرعى لآدم وذريته ، وما يترتب عليه من الطاعة والمعصية ثم الثواب والعقاب .

ومما يجب التنبيه إليه أن المعصية هى مخالفة الأمر بقصد المخالفة ونية التمرد ، وقد رفع الله الخطأ والنسيان والإكراه عن الإنسان فلا يؤاخذه به حتى ولو كان كفرا .

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٣ (٢) سورة طه آية ١٢٢

وقال الله تعالى « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم[1] » .

وفى الدعاء الذى علمنا القرآن ، قوله :

« ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا[2] » .

وهناك تفرقة شرعية بين القتل عمدا والقتل خطأ . . فنقرأ مثلا فى القتل العمد :

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما[3] » .

ونقرأ فى القتل الخطأ :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا[4] » .

فليس مجرد شكل المخالفة يعد معصية ، كما أنه ليس مجرد شكل الاستجابة يعد طاعة وإلا فماذا نحن قائلون فى المنافقين والمخادعين والمرائين ؟!

إن القرآن العظيم يؤكد أن معصية آدم كانت نسيانا للعداوة مع إبليس فقال جل شأنه :

« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما[5] » .

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦
(٣) سورة النساء آية ٩٣
(٤) سورة النساء آية ٩٢
(٥) سورة طه آية ١١٥

وهذا النسيان للعداوة جعل آدم يظن أن لا أحد يحلف بالله حانثا ، فتقبل آدم نصيحة إبليس وخدعته عندما قاسمه بالله أن الهدف من الأكل هو مرضاة الله بأن يكون ملكا أو يكون من الخالدين فى الطاعة والنعيم .

ولعل آدم عندما قبل هذه النصيحة الخادعة تأول النهى على أن الإشارة للشجرة بعينها لا لنوعها .

وأيا ما كان فإن القصد إلى المعصية غير متحقق .

وإنما سمى القرآن فعل آدم معصية فى قوله جل شأنه « وعصى آدم ربه فغوى[1] » .

فهو بالنسبة لعظمة الرب الكبير المتعال ، وعبودية الإنسان الضعيف ، وكما قيل فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وعلى قدر صلة الإنسان بربه يكون لومه لنفسه وحسابه لها ، والرسل أعرف الناس بجلال الله وكماله ، ولذا عندما حدث شكل المعصية لآدم التجأ إلى ربه ، بالتوبة وتضرع مخلصا فتقبل الله منه وعفا عنه وتاب عليه .

قال الله سبحانه :

« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهدى[2] » .

وفى التعبير بتلقى الكلمات من الله تأكيد لما قلناه من أن مرحلة السكن فى الجنة كانت تمهيدا للخلافة فى الأرض وأن المسألة من أولها إلى آخرها ترتيب إلهى حكيم .

وقال جل شأنه فى سورة أخرى :

« قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنـــا لنكونن من الخاسرين[3] » .

---

(١) سورة طه آية ١٢١ (٢) سورة البقرة آية ٣٧ .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٣ .

وفى هذا النص إثبات للجانب الإنسانى المقبل على الله عز وجل .

وفى تعبير آخر معجز نقرأ قوله سبحانه « وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى[1] » .

وجو التعبير هنا يخرجنا من ثنائية الموقف بين تلقى الكلمات والنفس اللوامة ليسمو بنا إلى أفق الفضل الإلهى العميم فى الاجتباء والتوبة والهداية .

لقد هبط آدم إلى الأرض طاهرا مجتبى ، ونبيا رسولا يتحمل رسالة إلهية إلى بنيه وذريته :

« قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[2] » .

(١) سورة طه آية ١٢٢ (٢) سورة البقرة الآية ٣٧ : ٣٩
وللمزيد من التفاصيل راجع كتابنا أصول النصرانية فى الميزان صـ٢٨، ص ٧٠ .

البيان الإلهي الأول

بدأت الإنسانية عهدها على ظهر هذه الأرض منذ هبوط آدم عليه السلام تحقيقا للوعد الإلهي «إني جاعل في الأرض خليفة».

وكان البيان الأول لحظة بناء الحياة وحيا إلهيا صاغه القرآن المجيد في أكثر من أسلوب بياني، منه: قوله تعالى: فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى»[1]

من هذا البيان نستخلص الحقائق التالية:

١ — الإنسانية بدأت مؤمنة موحدة تلتزم الحق وتدعو إليه. فقد نزل آدم عليه السلام مهديا مجتبى.

٢ — وعد الله لبني الإنسان أن يرسل لهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

٣ — العقيدة الواجبة تبدأ بالإيمان بالله واهب الوجود. ومانح الأرزاق، وصاحب الملك والملكوت، وتنتهي بالإيمان باليوم الآخر حيث توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون... وبين المبدأ والمعاد هناك منهج حياة يحقق للأحياء كرامة الدنيا وسعادة الآخرة.

من هذا المنطلق تواكب المسير في الحياة، وارتفعت حرارة الإيمان

---

(١) سورة طه ١٢٣ : ١٢٧

و انخفضت ، وآمن الناس وكفروا ، وبين الحين والحين تظهر الهداية الإلهية على يدى رسول كريم توضح الحقيقة وتجليها .

وعلى مدار الرسالات الإلهية كانت تلك الحقيقة هى هى من عهد آدم إلى خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

إيمان بالله ...

ومنهج حياة ...

واستعداد لليوم الآخر ...

قالها نوح عليه السلام :

« إنى لكم نذير مبين أن لاتعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم »(١) .

وأعلنها إبراهيم الخليل أمام قومه :

« قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين »(٢) .

وصدع بها موسى وهارون لفرعون وقومه :

« قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ، إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى »(٣) .

---

(١) سورة هود — ٢٥ : ٢٦

(٢) سورة الشعراء — ٧٥ : ٨٣

(٣) سورة طه — ٤٧ : ٤٨

ومن فوق جبل بمكة وقف محمد ﷺ ينادى على بطون قريش فلما حضروا قال لهم :

لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟

قالوا : نعم ما جربنا عليك كذباً قط .

قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد :

ثم أعلنها القرآن :

« قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد »[1] .

هكذا كان الوحى الإلهى يقود خطى الناس على درب الهدى وسبيل الرشاد ، ويقيمهم على جادة الطريق ويثبت أقدامهم على الصراط السوى .

ولكن الناس — فى أزمان كثيرة — انحرف بهم الهوى وتشعبت بهم الطرق ، وسرت فيهم مذاهب بدعة وضلال . . غير أن الحقيقة التى بقيت ماثلة أمام الأذهان واعتنقتها شعوب الأرض هى تلك الفطرة المركوزة فى النفس :

بأن الحياة لابد لها من واهب .

وأن الكون لابد له من مدبر .

وأن للإنسان حياة أخرى للحساب والجزاء .

---

(١) سورة سبأ — ٤٦

الفصل الثاني

شبهات حول الأصل الأول

- عبقرية الأنبياء
- مراحل التفكير البشرى
- أصل الأنواع
- أطوار العقيدة
- الافتراض العظيم

عبقرية الأنبيـــاء

قد يعجب البعض كيف يكون وصف الأنبيـــاء بالعبقرية شبهة واتهاماً ؟! وقد يتساءل البعض : أليس من الصفات الواجبة للرسل الفطانة والذكاء وحدة العقل وسرعة البديهة ؟!

بلى إن الأنبياء جميعاً يجب لهم رجاحة العقل وعمق التفكير ، وما من نبي إلا واجه مجتمعاً بكل فئاته ، وألزم قومه الحجة ، وأقام لهم برهان صدقه .. لكن القائلين بعبقرية الأنبياء يقصدون معنى آخر ، فى ظاهره المدح والثناء ، وفى باطنه أقسى اتهام وأشد جريمة وأنكى كذب ..

إنهم يقطعون صلة الأنبياء بالوحى الإلهى ..

إن أحد هؤلاء وهو الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨ م) أتى بأمر عجاب عند حديثه عن نشأة القانون وعقائد الدين فاعتبر الشرائع نتاج عبقرية عقلية استنطقت الذات الإلهية حتى يقبل الناس الخضوع لقوانين الدولة كما يخضعون لنواميس الطبيعة .

ويزعم أنه نظراً لوجود أفكار كثيرة لا يمكن ترجمتها إلى لغة يفهمها عامة الشعب ، وحيث إن من الصعوبة إقناعهم بمزايا تعود عليهم من حرمان تفرضه القوانين العادلة ، وليس من الحكمة استعمال القسوة لإكراه فرد على تذوق المبادىء السليمة والقواعد الأساسية لمصلحة الدولة .. فإن (روسو) يرى أن نلجأ إلى سلطة من نوع آخر ، تقود بلا عنف ، وتقنع بلا حجة ، هى التجاء المشرعين إلى السماء ونسبة قوانينهم إلى الله .. !!

ولكن لا يستطيع كل إنسان أن يجعل الآلهة تتكلم ، ولا أن يجعل الناس

تصدقه عندما يدعى أنه يتحدث باسمها ، فيجب أن تكون روح المشرع العظيمة وعقله السامى دليلا على رسالته .

وبناء على هذه النظرة وذلك الاتجاه فى فهم النبوة تحظى الشريعة الإسلامية بإكبار جان جاك روسو .. فهو يقول :

(والشريعة الإسلامية التى حكمت نصف العالم مدى عشرة قرون ما برحت حتى اليوم تعلن عن عظمة أولئك الذين وضعوها ، وقد لا يرى فيهم أولئك الذين أعمتهم الكبرياء الناجمة عن الفلسفة ، أو روح التحيز العمياء ، سوى دجالين حسنى الحظ ، ولكن السياسة الحسنة تعجب فى أنظمتهم بتلك العبقرية العظيمة)[1] .

وقد شرح روسو رأيه هذا بتفصيل فى كتابه (إميل) ، وفى رده على أسقف باريس الذى أصدر منشوراً فى أغسطس ١٧٦٢م يفند فيه آراء روسو ويسفه أخلاقه .

وقد افتتح الأسقف منشوره بوصف دقيق لحياة روسو وفلسفته ، قال فيه : فقد نشأ فى حظيرة الخطيئة رجل ينتحل لغة الفلاسفة من غير أن يكون فيلسوفاً حقاً ، إنما هو ذهن أتخم من المعلومات بجم لم ينره ، وبعث بالظلمات إلى أذهان أخرى .

وطبع مولع بغرائب الآراء وطرائق السير فى الحياة ، جمع بين بساطة الخلق وترف الفكر ، وبين الشغف بقواعد الأقدمين وشهوة إقامة المحدثات ، وبين خفية العزلة والرغبة فى أن يعرفه الناس جميعاً .

ورأى يناهض العلوم التى يتعهدها ، يقرر كمال الإنجيل ثم يهدمه من أصوله ، ويصف جمال الفضائل ثم يمحوها من نفوس قرائه .

---

(١) العقد الاجتماعى — ترجمة عبد الكريم أحمد ، ص ١٢٥ .

وأقام نفسه مهذباً للنوع الإنسانى كى يضله، ومرشداً عاماً ليغوى الناس جميعاً ، وهادياً العصر ليفسد عليه أمره .

وجاء فى رد جان جاك روسو على الأسقف قوله :

(إنى أحترم جميع الذين وضعوا الأديان والمذاهب ، ولقد كان لهم جميعاً نبوغ عظيم وفضائل كبرى ، وذلك محترم أبداً ، ولقد قالوا إنهم رسل من عند الله ، وذلك ممكن أن يكون وأن لا يكون ، والجماعة لا تستطيع أن تتفق فى الحكم عليه أن ليست أدلته فى متناول الكل على السواء .. على أنهم لو لم يكونوا رسلا فليس ذلك بداع إلى اتهامهم فى خفة بأنهم كذبة دجالون .. فمن يدرى إلى أى حد يضل التفكير المستمر فى الإلهيات ، والتناهى فى الحرص على الفضيلة من أرواحهم ، حتى يفسد عليها المنطق ونظامه ، ويجعلها تتعلق بشىء من أفكار العامة .. فعند التناهى فى السمو يدور الرأس ، ولا يرى الإنسان الأشياء على طبائعها) .

وهكذا يصر روسو على تناقضه فى الجمع بين احترام الرسل وتكذيبهم، ويضيف تناقضاً آخر وهو أن التناهى فى السمو يؤدى إلى فساد المنطق ورؤية الأشياء على غير طبائعها !! [1] .

ونحن نناقش هذا الزعم وذلك الادعاء — على وجه الإجمال — فنقول: إذا كان الهدف الرئيسى من نسبة المشرعين قوانينهم إلى الله ، هو إيجاد نوع من السلطة يقود بلا عنف ويقنع بلا حجة كما يزعم روسو ، فنحن نتساءل : هل وجد الأنبياء الاستجابة السريعة لدعوتهم ؟! .

إن القصص القرآنى حافل بمواقف جهاد المرسلين ، الطويل والشاق

(١) راجع كتابنا :(المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى) ، ص ٢٠٩ إلى ٢٣٠، الطبعة الثانية

فى سبيل تبليغ الدعوة .. وما من نبي إلا عودي فى قومه ، وأصابته البأساء والضراء ، وزلزل المؤمنون زلزالا شديداً .

لقد مكث نوح عليه السلام فى قـــومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم ليلا ونهاراً ، وكانت النتيجة « وما آمن معه إلا قليل »[1] .

وعلى مدار كافة الرسالات الإلهية وجد المكذبون الذين أصروا واستكبروا استكباراً . قال تعالى : « كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود « وعاد وفرعون وإخوان لوط « وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيد »[2] .

ومكث سيدنا محمد ﷺ فى مكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة ذاق المسلمون خلالها صنوف العذاب ، حتى أكلوا أوراق الأشجار فى شعب بالجبل ، وتسللوا سراً إلى الحبشة مرتين ثم إلى المدينة فراراً بدينهم وثباتاً على عقيدتهم .

ثم عاش النبي ﷺ عشر سنوات فى المدينة يحمل السلاح ، وأمسى المسلمون وأصبحوا فى رباط وجهاد « فمنهم من قضى نحبـــه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »[3] .

لقد أكد القرآن كثيراً أن الإيمان جهاد ، وأن الدين مسؤولية ، وأن الشريعة تبعات وامتحان . . قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين »[4] .

---

(١) سورة هود ، الآية ٤٠
(٢) سورة ق ، الآيات ١٢ — ١٤
(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣
(٤) سورة العنكبوت ، الآيتان ٢ ، ٣

وكشف القرآن عن حقيقة تاريخية هي أن المؤمنين أقــل عدداً من الكافرين ، وتكرر في سورة الشعراء عقب قصص الأنبياء قوله تعالى : « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال : (عرضت عليّ الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ... » .

ثم نتساءل تساؤلا آخر : هل عقائد الدين وشرائع المعاملات التي بلغها الأنبياء تمثل اتجاهاً فلسفياً خاصاً بشخصية النبي ؟ ! .

في كل عصر ظهــر الفلاسفة والحكماء ، وتباهوا بنتاج عقولهم ، وقدسوا للناس تأملاتهم ؛ فما السر في أن هؤلاء الأنبياء — إن كانوا فلاسفة — لم يعلنوا فلسفتهم ويواجهوا بها الزمان والتاريخ ؟ ! .

إن ادعاء نسبة القوانين إلى الله تعالى كحيلة لجــأ إليها المشرعون العباقرة ، فرض سخيف يعوزه الدليل ، ويناقضه الواقع ، ويرفضه التاريخ .

وصدق الأنبياء في التبليغ عن الله عز وجل هو الوسام الأكبر الذي يعلو هامتهم ، وما كان النبي ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ! !.

وما دام الكون مربوباً لله جل شأنه ، وما دام الإنسان — في وسط الكون — محدود القوى والإدراك ؛ فإن الله سبحانه وتعالى أولى بخلقه يضع لهم الشرائع ويسن لهم القوانين « ألا يعلم من خلق وهــو اللطيف الخبير »[1] .

وليس كل واحد من البشر مؤهلا للتلقي عن الله ، فمسألة النبوة هي الحل العادل والأمثل « وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي

---

(١) سورة الملك ، الآية ١٤

من رسله من يشاء ، فآمنوا بالله ورسله ، وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم »[1] .

ومن هنا تبرز عدة قواعد أصيلة فى فقه العقيدة هى :

١ — النبوة لا تكتسب ، وليس لها مؤهلات تحتم أن يكون صاحبها نبياً ، قال الله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون »[2] .

٢ — الوحى ليس رغبات شخصية للنبى ، ولا اتجاهات فكرية تخصه بل التبليغ الصادق عن ربه عز وجل هو فيصل التفرقة بين النبى والمتنبىء ، قال الله جل شأنه :

« قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ ، إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم »[3] .

٣ — لم يكن للنبى قبل الوحى إليه مؤهلات التشريع . . قال تعالى : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما »[4] .

وقال سبحانه : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون »[5] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٧٩
(٢) سورة القصص ، الآية ٦٨
(٣) سورة يونس ، الآية ١٥
(٤) سورة النساء ، الآية ١١٣
(٥) سورة يونس ، الآية ١٦

٤ — المعجزة دليل النبوة الأكبر ، وهى فعل الله تعالى على يدى نبيه ما لا يستطيعه المكلفون ، ويعجز عنه الخلائق أجمعون . فالتحدى وعدم إمكان المعارضة من ملامح المعجزة البارزة .. قال جل شأنه : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين[1] » .

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٣ وراجع كتابنا « الرسول والوحى » ص ٢٩٣

نظرية مراحل التفكير البشرى

يقدم الفيلسوف أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧م) نظرية أو فلسفة تقوم على الوضعية أو الواقعية ، وتجعل المعرفة الإنسانيـــة والتفكير البشرى مراحل وعصورا ثلاثة متعاقبة هى(١) :

العصر الدينى :

وهو يمثل الطور الأول للتفكير ، وفيه ينسب الناس الأحداث والظواهر الطبيعية والكونية إلى قوى خارجية غير مرئية سموها الآلهة ، وسواء كانت النزعة الدينية قائمة على التوحيد أو التعدد فهذا هو العصر اللاهوتى الذى يمثل ماضى الإنسانية السحيق .

العصر العقلى :

وهو مرحلة تالية للتفكير اللاهوتى . يفسر الظواهر من داخلها ويربط بين الأحداث ويعللها بصفات خفية أو خواص عامة تجريدية لا علاقة لها بالواقع والتجربة .

وهذا العصر يشمل الفكر الفلسفى كله فى نظرته إلى الكون والحياة .

العصر العلمى :

وهو عصر الوضعية أو التجريبية أو الواقعية ، وهو يبحث الظاهرة بما يصاحبها أو يلازم حدوثها ، ولا يفسرها تفسيراً خارجيا أو داخليا يبعد عن الواقع ولا يمكن التحقق منه بالتجربة .

فالعلم هو علم الوجود وما يمكن إدراكه بالتجربة ، أما البحث عن

---

(١) راجع : تاريخ الفلسفة الحديثة — يوسف كرم ص ٣١٧ ط دار المعارف — الطبعة الخامسة

العلل الفاعلة والغائية فبحث مناف للعلم ، ولا يوجد شيء مطلق ، وجميع معارفنا نسبية .

وعصر العلم الوضعي هو العصر الذي نحياه الآن ونستشرف به للمستقبل ، وهو قمة المعرفة ، وله السلطان الممتد بعد أن سقط سلطان اللاهوت والعقل النظري .

وتعقيبا على هذه النظرية على النحو التالي :

أولا :

التدين ليس مرحلة سلفت ، وليس عصرا ودعناه ، وإنما هو الحياة الممتدة منذ كان الإنسان وإلى أن يزول هذا الكون .

ودراسة تاريخ الإنسان تؤكد أن التدين صنع الحضارة ، وصاغ الفكر ، وصاحب الإنسان على دروب الحياة كلها .

وفي أقدم العصور وفي أحدث الأزمان وجد التدين رغم دعاوى الإلحاد ومحاربة المؤمنين ، وفي قمة السيطرة الشيوعية على الحكم فيما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي ومع حملات الدعاية المكثفة ضد الإيمان في المدارس وأجهزة الإعلام — اكتشفوا أن المواطنين السوفيت مازالوا متدينين .

جاء[1] ذلك في إعلان رسمي صدر عن الحكومة السوفيتية يؤكد أن هناك واحداً من كل خمسة من الشباب السوفيتي يؤمن بشكل أو بآخر بدين من الأديان ، وهذا يعني أن حوالي ٣٣ مليوناً من الشباب هناك ممن تزيد أعمارهم عن ١٨ عاما يعتبرون من المؤمنين بالأديان .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن ١٠ ٪ من الشباب يمكن وصفهم بالمترددين

---

(١) صحيفة الأخبار (١٠/١٢/١٩٧٦) .

بين اعتقاد عقيدة دينية أو لا فسنجد أن العدد الإجمالى للذين تأثروا بالأديان منهم يبلغ ٥٥ مليونا .

جاءت هذه الأرقام فى تعليق نشرته جريدة «الديلى تلجراف» البريطانية بعددها الصادر فى اليوم الأخــــير من نوفبر سنة ١٩٧٦ لمحرر الشئون الشيوعية بها « دافيد فلويد » الذى كان يعلق على كتاب نشر مؤخراً فى لينتجراد بعنوان «الرأى العام والدعاية الإلحادية» .

مؤلفا الكتاب : د . دافيلوف ، وف . كوينسكاى — لفتا نظر القراء إلى الحقيقة التى تؤكد أن معظم هؤلاء الشباب المتدينين من المواطنين الذين ولدوا وتعلموا فى الاتحاد السوفيتى ، وكشفا فى نتائج استطلاع للرأى قاما به فى لينتجراد عن أن ٤١٪ من الذين سئلوا اعترفوا بأنهم يحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينيـــة فى منازلهم أو منازل أصدقائهم .

ويضيف الكتاب أنه فى الكثير من الإجابات نستطيع أن نلمس الاعتراف بأثر العقيدة على الأخلاق ، وتبين أن واحداً من كل عشرة من الطلاب الذين سئلوا اعترضوا على الدعاية السوفيتية الناطقة بالإلحاد، كما عبر واحد من كل خمسة من المثقفين الروس عن وجهة نظره فى الأديان بقوله :

من الممكن أن يكون هناك من يؤمنون بالأديان لو وجدوا هذه الأديان معقولة !! .

ومن المتوقع أن يكون الرقم الحقيقى للمؤمنين بالأديان فى الاتحاد السوفيتى أكبر بكثير من هذا الرقم الذى كشف عنه الإعلان الرسمى» اه .

وأحب أن نقرأ بتدبر قول المثقفين الروس مرة أخرى :

«من الممكن أن يكون هناك من يؤمنون بالأديان لو وجدوا هـذه الأديان معقولة » .

وبمجرد أن انهار الحكم الشيوعى العاتى خرج الناس يعلنون عقيدتهم ويدافعون عن دينهم ونشأت خمس جمهوريات إسلاميـــة فى الاتحاد السوفيتى السابق وانقسمت جمهورية يوغسلافيا إلى جمهوريات كان منها الصرب الصليبيون وكان منها البوسنيون المسلمون .

ثانيا :

إن العقل صاحب الإنسان منذ كان ، ولسنا نجد مجتمعا بشريا بلا عقل ، أو حضارة بلا فكر أو دولة بلا فلاسفة وحكماء ،

وما يقال عن طفولة العقل هو افتراض وهمى لا يعبر عن الواقع فى شىء ويتناقض مع بدهيات الأمور .

إن دراسة تاريخ الحضارة فى مصر القديمة وبلاد الرافدين والهند والصين تؤكد عمق العقل الإنسانى الذى صاغها ، فالأهرام وفن التحنيط وهندسة المعابد ، وحدائق بابل ، وسور الصين العظيم وغير ذلك لا يصنع بغير عقل ، ولا يبقى بغير علم ولا يفهم فى غيبة الدين .

فهناك ترابط وثيق وتوامن كامل للدين والعقل والعلم .

وقد حكى القرآن المجيد قول نوح عليه السلام لقومه :

« مالكم لا ترجون لله وقارا .

وقد خلقكم أطوارا .

ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا .

وجعل القمر فيهن نورا .

وجعل الشمس سراجا .

والله أنبتكم من الأرض نباتا .

ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا .

والله جعل لكم الأرض بساطا .

لتسلكوا منها سبلا فجاجا »(١) .

وتأمل معى كيف لفتهم نوح عليه السلام إلى حقائق عليا فى العلم والتجربة ، وخاطب فيهم العقل والفكر ، ودعاهم إلى صدق الإيمان وطهارة اليقين .

لقد وضح أمامهم أطوار الخلق فى الإنسان .

وبدائع الصنع فى السموات .

وعجائب الأفلاك والأجرام .

وجغرافية الأرض . .

كل ذلك فى منظومة واحدة تجمع الدين والعقل والتجربة .. ! !

ثالثا :

إن الذين يشيدون بالتجربة والعلم الوضعى يتناسون دور العقل ويخدعون أنفسهم بدعوى انفصال ذلك عن العقل النظرى .

إن الوضعية العلمية لا تكتفى بالتجربة والمشاهدة ، وإنما يسبق عمل العقل التجربة بفترة زمنية حين يلاحظ ثم يفترض الفروض ثم يقوم بالتجربة على بعض الظواهر فى استقراء ناقص ثم يستخلص قانونا ويجرده ويصل به إلى التعميم على ما وقع تحت التجربة وما لم يقع حتى يمكن الاستفادة من هذا القانون فى أزمنة متباعدة وأماكن مختلفة وأحوال متعددة .

ولو اكتفينا بمجرد الظاهرة وملاحظة الحادثة الواحدة ما نشأ العلم ، وما تقدمت البشرية ، وما قامت الحضارة .

---

(١) سورة نوح — الآية ١٣ : ٢٠

فالبحث عن العلل الفاعلة والعلل الغائية هو من متممات العلم ، ومن ضرورات تواصل البحث العلمى ، ومن الواجبات الملحة للاستفادة من العلم ، ولا يمكن الاكتفاء بتسجيل الظواهر أو مشاهدة الأحداث دون التمهيد لها أو التعقيب عليها أو استخلاص الكليات منها .

فالمنهج التجريبى يقوم على :

— الملاحظة

— الفرض

— التجربة

— القانون

وللعقل مدخل فى كل مرحلة :

فلا ملاحظة بغير عقل يرتب الظواهر ويتتبع سيرها ويتابع مسيرتها ، ولا فرض بغير عقل يحلل ويركب ، ويعلل ويستفهم ، ويقدم ويؤخر ، ويستبقى ويعزل .

ولا تجربة بغير عقل فاحص يحسن المتابعة ويجيد التأمل ، ويفكر فى تعاقب الأشياء وتخلفها ، أو ترابط الأشياء وانفصالها .

ولا قانون بغير عقل يدرك حقيقة التعميم ، ويقوم بالتطبيق ويقارن بين النتائج ، ويجمع بين المتشابهات ، ويفرق بين المتمايزات .

رابعا :

العلم الوضعى ليس وريث الدين وخليفته.

والدين الصحيح ليس نقيض العلم أو مقابلا له .

فالدين والعلم يلتقيان .

وقد تكونت أسطورة الفصل بينهما منذ عصر النهضة فى أوربا بعد أن قاسى البحث العلمى من عوامل التدمير ومعاول الهدم على أيدى رجال الكنيسة الذين أزهقوا الأرواح ونكلوا بالعلماء فى صورة وحشية باسم الكنيسة والنصرانية ، وقامت محاكم التفتيش لتكون حجرة عثرة فى سبيل التقدم العلمى .

ولهذا انطلق الباحثون فى شبه بلبلة فكرية إلى إنكار مباحث الألوهية ونادوا بفصل الدين عن الحياة ، والحجر على الكنيسة وعزل القساوسة عن ركب المجتمع .

وكانت تلك حادثة خاصة لها ظروفها وزمانها ومكانها ، ولا تقبل التكرار مع الإسلام الذى جاءت آياته الأولى ترفع قدر العلم والقلم ، وتفتح آفاق البحث فى الإنسان والطبيعة ، قال تعالى :

إقرا باسم ربك الذى خلق

خلق الإنسان من علق .

إقرأ وربك الأكرم .

الذى علم بالقلم .

علم الإنسان ما لم يعلم »[1] .

فقضية الصراع بين الدين والعلم قضية نصرانية أوربية لا علاقة لها بالدين الصحيح ولا بالعلم الصادق . . . وكانت قضية نفسية أكثر منها قضية بحث وتجربة .

وعندما تحطمت الكنيسة وسقطت أغلالها انحلت العقدة ، وظهرت الحقيقة التى لا مرية فيها ، وهى أن العلم يدعو إلى الإيمان وأن البحث التجريبى يقود إلى الدين ، وأن الواقعيـــة والوضعية لا تعاند الألوهية ولا تستغنى عنها .

---

(١) سورة القلم — الآيات ١ : ٥

وهـذا هو مدير أكاديمية العلوم فى نيويورك يقول فى كتابه « الإنسان لا يقوم وحده » :

إن البشر لا يزالون فى فجر العلم ، وكلما إزداد العلم ضياء جلا لنا شيئاً فشيئاً صنعة خالق مبدع ، ففى السنوات التسعين[1] التى مضت منذ عهد دارون تمت للعلماء مكتشفات هائلة ، والتقدم فى العلم يدنو بنا شيئا فشيئا إلى معرفة الله ، فطريق العلم يسير بنا إلى الإيمان به ولا يبتعد بنا عن ذلك أبدا .

والمعادلات الرياضيـــة إذا طبقناها على نظام الكون تجعل عامل المصادفة فى ظهور الحياة احتمالا لا يبلغ واحدا من ملايين .

كما أن سعة حيلة الحياة فى تحقيق أغراضها يدل على عقل منبث فى أنحائها جميعاً .

وحكمة الحيوان تنطق بلسان لا ترد حجته بأن لها خالقا كريما بث الغريزة فيها ، فالرحلات الطويلة الوعرة التى يقـــوم بها كل من سمك السالمون وثعبان البحر تتم فى ظروف تجعلنا لا نستطيع أن نعلل ذلك بالتكيف والملاءمة بل لابد وأن هذه الرحلات تتم على هدى غريزة موهوبة ممنوحة » .

---

(١) كان ذلك فى أوائل السبعينات .

خامساً :

إننا يجب أن ننظر إلى الآراء الفلسفية بهدوء وروية ، فإن كثيراً منها ينسب إلى شخصيات قلقة أو مريضـــة .. وعلى سبيل المثال فقد قالت الموسوعة الفلسفية المختصرة عن أوجست كونت : فى عام ١٨٢٥ م تزوج من كارولين ماسان التى التقى بها لأول مرة — حينما كان يفيد من خدماتها وهى بغى .. وبدأ كونت عام ١٨٢٦ إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة فى فلسفة الوضعيـة .. لكنه اضطر إلى الانقطاع عن إلقاء هـذه المحاضرات بسبب مرضه العقلى وفى العام التالى حاول أن ينتحر غرقاً فى نهر السين ، لكنه عاد فى عام ١٨٢٩ فاستأنف محاضراته العامة التى نشرت فى ستة أجزاء فى الفترة من عام ١٨٣٠ — ١٨٤٢ بعنوان « محاضرات فى الفلسفة الوضعية » وفيـه يبسط نظريته فى المعرفة ، وفى العلوم ، ويضع أسس العلم الجديد الذى سماه فى بادىء الأمر « الفيزيقا الاجتماعية » ثم سماه بعد ذلك .. علم الاجتماع[1] .

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة — نقلها عن الإنجليزية الأساتذة فؤاد كامل وجلال العشرى وعبد الرشيد صادق ، وراجعها د. زكى نجيب محمود ط دار القلم — بيروت

أصل الأنواع

قدم الفيلسوف الإنجليزى تشارلس داروين (١٨٠٩ — ١٨٨٢) نظرية فى أصل الأنواع تقوم على قانون الانتخاب الطبيعى القائل بأن الحياة نشأت بمحض الاتفاق ، فالخلية الحية أو الأميباصورة متطورة من المادة البحتة غير العضوية ، ثم تطورت تلك الخلية البسيطة إلى أخرى معقدة فظهرت المملكة النباتية والحيوانية ثم ظهرت الزواحف بأنواعها، وما لبثت أن انقرضت وقام على أنقاضها الثدييات ومن بينها الإنسان الذى تطور عن القردة العليا ، والفرق بين الإنسان والحيوان — فى زعمهم — فرق كمى وليس كيفيا .

والقول بالتطور مجرد فرض يعوزه التحقيق العلمى ، وكل ما التمسوه من أدلة لا يرقى به إلى مستوى الحقيقة العلمية المقررة .

وهاك ما ساقوه من أدلة :

١ — الدليل التشريحى :

قالوا إن أجزاء الهيكل العظمى للإنسان تتشابه مع مثيلاتها فى الحيوانات الأخرى،فذراع الإنسان والرجل الأمامية من ذوات الأربع تتشابه عظامها فى التركيب وإن اختلفت فى الوظيفة ، وكذلك الحال بالنسبة للأجهزة الهضمية والتناسلية . . إلخ .

وهذا الدليل لا ينهض برهاناً على دعواهم فمتى كان التشابه دليلا على أن أحدهما أصل للآخر وذلك الآخر منقلب عنه ؟ !

لقد كان الأولى أن يقال إن تشابه الخلق دليل على وحدة الخالق .

وصدق الله إذ يقول : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم[١] » .

فقد أودع الله سبحانه فى كل هذه الجماعات من عجائب الصنع وغرائب التدبير وتشابه الوظائف العضوية ما يشهد لله بالربوبية وينادى بعظمته جل جلاله .

٢ — دليل التراكيب الأثرية :

ويعنون به أن بعض الأعضاء زائدة فى الإنسان ولا فائدة منها مثل الشعر الموجود فى جسم الإنسان البالغ وكذا الزائدة الدودية . . فظهور هذه الفضلات — فى زعمهم — ما هى إلا آثار لصفات فقدها بنو البشر منذ أزمان بعيدة .

وبدهى أن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة ، والحكم على هذه الأعضاء بالزيادة حمق وبلاهة فهل أحطنا علماً بكل شىء وعرفنا كل صغيرة وكبيرة فى الإنسان أعضائه ومشاعره ؟ !

إن الظاهرة الإنسانية ظلت مغلقة على العلم قروناً متطاولة نظراً لتعقدها وسرعة تغيرها واختلافها من بيئة لأخرى وتطورها من جيل لآخر . . ولهذا تعددت العلوم التى تدرس الظاهرة الإنسانية وتفرغت لدراسة كل جزئية على حدة بل إن علم الجزئية الواحدة أصبح الآن علوما متعددة وانظر إلى علم النفس وفروعه العديدة وإلى علم الاجتماع وأقسامه المختلفة ! !

إننا يجب أن نؤمن بالحكمة القرآنية القائلة :

« وفوق كل ذى علم عليم[٢] » .

---

(١) سورة الأنعام — ٣٨ (٢) سورة يوسف — ٧٦

٣ — دليل الصور الجنينية :

وقد بنى على أساس أن تحولات الجنين فى الفرد الواحد صورة مصغرة لتحولات النوع ، وقالوا أيضا إن الأطوار الأولى للجنين تتشابه فى كل من الإنسان والحيوان ،وحاول فيلسوف ألمانى يدعى « ارنست هيكل » (١٨٣٤ — ١٩١٩) عرض صور لجنين القرد وجنين الإنسان كى يثبت تطابقهما ، وقد عرف — على وجه اليقين — أن « ارنست هيكل » كان مزورا فى الصور التى عرضها ، وعندما احتفلت أكاديمية برلين بعيدها المئوى دعت العلماء من شتى بقاع الأرض وأغفلت دعوة مواطنها « ارنست هيكل » استخفافا به كعالم .

هذا وقد زعم هيكل أن الحياة ترجع إلى أصل واحد هو « المونيرا » التى تركبت اتفاقا من الأزوت والهيدروجين والأكسجين والكربون ثم تطورت على التوالى حتى تكونت جميع الكائنات الحية ، وبينها وبين الإنسان — فى زعمه — اثنتان وعشرون حلقة ، وقد رتبها مستعينا ببقايا الأحياء فى طبقات الأرض ، ولما لم يجد من الكائنات ما يملأ هذه السلسلة الوهمية بدأ يتخيل كائنات حية لم توجد ليسد بها الفراغ .

فهل تبنى حقائق العلم على التخيل ؟ !

وهل من الأمانة العلمية الافتراء على التاريخ ؟ !

إن قصة الحياة الإنسانية أكبر من أن تؤخذ هكذا كأسطورة عجيبة أو رواية طريفة .

وصدق الله حيث يقول :

« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا »[1] .

---

(١) سورة الكهف — ١٥

٤ — دليل الحفريات :

فقد اكتشفوا هياكل وجماجم بشرية قديمة تثبت — في الطرم — التطور .

وكل ما اكتشفوه من حفريات إنما يؤكد الاختلاف الكمي للإنسان في مختلف العصور ، فكونه هنا ماردا ، وهناك قزما ، أو جمجمة هذا الإنسان أكبر حجما من ذلك ليس فيه شائبة تطور للإنسان عن نوع آخر ، وإنما هو تطور داخل النوع الواحد تبعاً لظروف البيئة والطقس والمناخ .

والإنسانية — وهي تعيش اليوم — تختلف من منطقة لأخرى في اللون والحجم والطول والقصر اختلافا بينا .

قال الله تعالى :

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين »[1].

بعد هذا نقول إن ادعاء المصادفة في نشأة الحياة قول يبرأ منه العلم وتنفيه حقائق الكون فإن النظر في سمائه وأرضه ، حيوانه وطيره ، بحره وبره — كفيل بدحض هذا الافتراء .

وإذا كان الإنسان عناصر مادية فحسب وليس فيه روح من أمر الله فكيف فشلوا في تحضير الخلية الحية رغم معرفتهم بتكوينها العنصري ؟!

وإذا افترضنا جدلا أنهم استطاعوا تخليق إنسان في أنبوبة اختبار

---

(١) سورة الروم — ٢٢

بالجمع بين الحيوان المنوى والبويضة فإنهم لم يصنعوا شيئاً أكثر من تهيئة جو لهذا الكائن الحى شبيه بجو الرحم، والله وحده هو الذى يتولى تخليقه وتطويره فى مراحل خلقه ويمسك الروح فيه إن شاء .. ويبقى التحدى القرآنى قائما .

« أفرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون »[1].

وقد اعترف دارون فى نهاية حياته أن الكلمة الأخيرة عنده هى أن المسألة خارجة عن نطاق العقل[2] .

---

(١) سورة الواقعة — ٥٨ : ٥٩

(٢) راجع : « أسس الفلسفة — توفيق الطويل ص ١٢٠

« تاريخ الفلسفة الحديثة — يوسف كرم ص ٣٥٥

تطور العقيدة

هناك فرية تبناها الباحثون فى علم مقارنة الأديان وخدع بها بعض المفكرين المسلمين — تقوم على أن الانسان قد ترقى فى عقائده كما ترقى فى العلوم والصناعات ، وأن العقيدة الدينية مرت بأطوار شتى هى[1] :

١ — دور التعدد وفيه كانت القبائل الأولى تتخذ لها أرباباً تعد بالعشرات .

٢ — دور التمييز والترجيح وفيه تبقى الأرباب على كثرتها ويأخذ رب منها فى البروز والرجحان على سائرها .

٣ — دور الوحدانية وفيه تتوحد الأمة فتجتمع إلى عبادة واحدة تؤلف بينها مع تعدد الأرباب فى كل إقليم .

٤ — بعد هذه الوحدانية الناقصة ينشأ دور الثنائية فى محاولة لتفسير الشر فى الوجود بنسبته إلى إله غير إله الخير .

٥ — يعقب ذلك وحدة الوجود فى محاولة للتوفيق بين النقائص والضرورات ولإثبات وجود إله عن طريق الحس والعقل معاً .

٦ — بعد كل هذا بدأت الأديان الكتابية تبلغ بالتوحيد غاية مرتقاه وتعلم الناس عبادة الإله الأحد الذى خلق الوجود من عدم ووسعت قدرته كل شىء ».

هكذا يفكر علماء مقارنة الأديان .. وهذا التفكير ينطلق من

---

(١) الله — لعباس محمود العقاد صـ ١٨ بتصرف — ط الهلال سنة ١٩٦٨

التسليم بصحة نظرية دارون مع أنها — كما قلنا — مجرد فرض يعوزه التحقيق العلمي .

فإن الإنسان بما يمتاز به من علم ولغة وفن وصناعة، وخلق ودين لا يرتبط أدنى ارتباط بعالم الحيوان .

ونحن لا ننكر أن الإنسانية مرت بهذه الأطوار التي يرتبها علماء مقارنة الأديان ولكننا نؤمن أنها انحرافات عن المنهج الأول، وتحريفات للنص المقدس ومذاهب بدعة وضلالة سرت في الناس بعد أن طال عليهم الأمد وقست قلوبهم .

ولهذا تتابعت الرسالات الإلهية لتعيد الناس إلى الفطرة النقية، قال تعالى :

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه »[1] .

وفي تفسير ابن كثير عند هذه الآية قال :

قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو داود، أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال :

كان بين نوح وآدم عشرة قرون[2] كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال وكذلك هي في قراءة عبد الله : « كان الناس أمة واحدة فاختلفوا» ورواه الحاكم في مستدركه من حديث بندار عن محمد بن بشار . ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وكذا

---

(١) سورة البقرة — ٢١٣

(٢) القرن: الأمة من الناس وليس المراد به مائة سنة .

وروى أبو جعفر الرازى عن أبى العالية عن أبى بن كعب أنه كان يقرؤها: « كان الناس أمة واحدة ، فاختلفوا »⁽¹⁾ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » .

وقال عبد الرازق : أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله « كان الناس أمة واحدة » قال: كانوا على الهدى جميعاً . فاختلفوا فبعث الله النبيين » فكان أول من بعث نوحا » ا.هـ

وإذا انتقلنا إلى تفسير الإمام الرازى نجد أنه رفض التفسير القائل بأن الناس كانوا على أمة واحدة فى الدين الباطل ، وهو تفسير الحسن . وعطاء وابن عباس .

كما رفض القول بأن الأمة الواحدة كانت فى التمسك بالشرائع العقلية وهى الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر نعمته، والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والجهل والعبث وأمثالها . كما هو اختيار أبى مسلم والقاضى أبى بكر . .

ورجح الرازى الرأى القائل :

إن الناس كانوا على دين واحد وهو الإيمان والحق .

وأيده بمجموعة وجوه هى : —

الوجه الأول :

ما ذكره القفال فقال : الدليل عليه قوله تعالى بعد ذلك « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . . . » .

---

(1) قراءة تفسير لا قراءة قرآن .

فهذا يدل على أن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا حين الاختلاف.

ويتأكد هذا بقوله تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا »[1] .

ويتأكد أيضاً بما نقل عن ابن مسعود أنه قرأ « كان الناس أمة واحدة (فاختلفوا) فبعث الله النبيين ... الآية » ،

ثم يقول الرازى :

إذا عرفت هذا فالفاء فى قوله « فبعث الله النبيين » تقتضى أن يكون بعثهم بعد الاختلاف ، ولو كانوا قبل ذلك أمة واحدة فى الكفر لكانت بعثة الرسل قبل هذا الاختلاف أولى ، لأنهم لما بعثوا عندما كان بعضهم محقاً وبعضهم مبطلا ، فلأن يبعثوا حين ما كانوا كلهم مبطلين مصرين على الكفر كان أولى ..

ثم علق الإمام الرازى فقال :

وهذا الوجه الذى ذكره القفال رحمه الله حسن فى هذا الموضوع .

الوجه الثانى :

أنه تعالى حكم بأنه : كان النـــاس أمة واحدة ، ثم أدرجنا فيه « فاختلفوا » بحسب دلالة الدليل عليه ، وبحسب قراءة ابن مسعود ، ثم قال تعالى « وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ... » .

والظاهر أن المراد من هذا الاختلاف هو الاختلاف الحاصل بعد ذلك الاتفاق المشار إليه بقوله « كان الناس أمة واحدة » .

(١) سورة يونس — الآية ١٩

ثم حكم على هذا الاختلاف بأنه إنما حصل بسبب البغى ..

وهذا الوصف لا يليق إلا بالمذاهب الباطلة ..

فدلت الآية على أن المذاهب الباطلة إنما حصلت بسبب البغى ..

وهذا يدل على أن الاتفاق الذى كان حاصلا قبل حصول هذا الاختلاف إنما كان فى الحق لا فى الباطل..

فثبت أن الناس كانوا أمة واحدة فى الدين الحق لا فى الدين الباطل ..

• • •

الوجه الثالث :

أن آدم عليه السلام لما بعثه الله رسولا إلى أولاده ، فالكل كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى ، ولم يحدث فيما بينهم اختلاف فى الدين ، إلى أن قتل قابيل هابيل بسبب الحسد والبغى ..

وهذا المعنى ثابت بالنقل المتواتر[1] ، والآية منطبقة عليه ، لأن الناس هم آدم وأولاده من الذكور والإناث ، كانوا أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا بسبب البغى والحسد كما حكى الله تعالى عن ابنى آدم..

فلم يكن ذلك القتل والكفر بالله إلا بسبب البغى والحسد ..

---

(١) جاء ذلك فى قوله تعالى من سورة المائدة : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ، إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك .. الآية رقم ٢٧ : ٣١

الوجه الرابع :

أنه لما غرقت الأرض بالطوفان لم يبق إلا أهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح ثم اختلفوا بعد ذلك .. وهذه القصة مما عرف ثبوتها بالدلائل القاطعة والنقل المتواتر(١) ، فثبت أن الناس كانوا أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا بعد ذلك ، ولم يثبت ألبتة بشيء من الدلائل أنهم كانوا مطبقين على الباطل والكفر ، وإذا كان كذلك وجب حمل اللفظ على ما ثبت بالدليل وأن لا يحمل على ما لم يثبت بشيء من الدلائل . .

الوجه الخامس :

أن الدين الحق لا سبيل إليه إلا بالنظر ، والنظر لا معنى له إلا ترتيب المقدمات لتوصل إلى النتائج .

وتلك المقدمات إن كانت نظرية افتقرت إلى مقدمات أخر ، ولزم الدور أو التسلسل ، وهما باطلان .

فوجب انتهاء النظريات إلى الضروريات .

وكما أن المقدمات يجب انتهاؤها إلى الضروريات ، فترتيب المقدمات يجب انتهاؤه أيضاً إلى ترتيب تعلم صحته بضرورة العقل .

وإذا كانت النظريات مستندة إلى مقدمات تعلم صحتها بضرورة

---

(١) هذا الوجه قائم على أن رسالة نوح عليه السلام كانت عامة وأن الطوفان أغرق الأرض كلها ، وهو رأى من رأيين ، فهناك من يذهب إلى أن رسالة نوح كانت لقومه خاصة وأن الطوفان وقع فى منطقة دعوته فقط .

العقل، وإلى ترتيبات تعلم صحتها بضرورة العقل ، وجب القطع بأن العقل السليم لايغلط لو لم يعرض له سبب من خارج .

فأما إذا عرض له سبب خارجى فهناك يحصل الغلط .

فثبت أن ما بالذات هو الصواب ، وما بالعرض هو الخطأ ، وما بالذات أقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان أيضاً ، وهذا هو الأظهر .

فثبت أن الأولى أن يقال : كان الناس أمة واحدة فى الدين الحق ثم اختلفوا بعد ذلك لأسباب خارجية ، وهى البغى والحسد .

فهذا دليل معقول ، ولفظ القرآن مطابق له فوجب المصير إليه .

الوجه السادس :

قوله عليه السلام « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

والحديث على أن المولود لو ترك مع فطرته الأصلية لما كان على شىء من الأديان الباطلة ، وأنه إنما يقدم على الدين الباطل لأسباب خارجية وهى سعى الأبوين فى ذلك وحصول الأغراض الفاسدة من البغى والحسد[1] ا هـ .

هذا وقد أمرنا الله تعالى أن نحافظ على فطرة التوحيد والاعتصام بشريعة الحق ونخلع ربقة الجاهلية التى تعمل على تغيير معالم الفطرة ، فقال جل شأنه :

---

(١) التفسير الكبير للإمام الرازى جـ٦ ص١١

« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، كل حزب بما لديهم فرحون[1] ».

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى « إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » .

ونحن نؤمن بالفطرة على المستوى الجمعى وعلى المستوى الفردى .

فالفطرة على المستوى الجمعى تعنى أن البشرية جمعاء بدأت عقيدتها بالتوحيد الخالص لله تعالى انطلاقاً من أولية آدم وهبوطه إلى الأرض طاهراً مجتبى ونبياً رسولا وكما أكدته النصوص القرآنية والدلائل العقلية التى أشار إليها الإمام الرازى .

والفطرة على المستوى الفردى تعنى قبول الإنسان للحق وإيمانه بالله ويقينه بأن للكون خالقاً مبدعاً حكيماً لاشريك له .. طالما كان الفرد سليماً من آفات التقليد والهوى والعادة الجاهلية ..

وفى ذلك يقول الرسول ﷺ :

« ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »

وفى رواية :

كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه

(١) سورة الروم — الآية ٣٠ : ٣١

كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هـــل ترى فيها من جدعاء »[1] .

وإذا استطلعنا آراء العلماء فى شرح هذا الحديث الشريف نجد الإمام ابن حجر العسقلانى يقول :

وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام ، قال ابن عبد البر : وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى « فطرة الله التى فطر الناس عليها » الإسلام ..

ثم نقل ابن حجر أن المراد بالفطرة تمكن الناس من الهدى فى أصل الجبلة والتهيؤ لقبول الدين ، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها ، لأن حسن الدين ثابت فى النفوس ، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد ..

وإلى هذا مال القرطبى فى المفهم فقال :

المعنى أن الله خلق قلوب بنى آدم مؤهلة لقبول الحق ، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات ، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ، ودين الإسلام هو الدين الحق ..

وقد دل على هذا المعنى بقية الحديث حيث قال عليه الصلاة والسلام: كما تنتج البهيمة ؛ يعنى أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة . فلو ترك كذلك كان بريئا من العيب لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه ، فلو مثلا فخرج عن الأصل . وهو تشبيه واقع ووجهه واضح .

ثم نقل ابن حجر توضيحاً لمعنى الحديث عن ابن القيم فقال :

---

(١) تنتج — بضم أوله وسكون النون وفتح التاء بعدها جيم — على مالم يسم فاعله (مبنى للمجهول) والجدعاء المقطوعة الأذن ، والمراد أن البهيمة تولد سليمة ثم يجدعها الناس بعد ذلك .

ليس المراد بقوله « يولد على الفطرة » أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين ، لأن الله تعالى يقول « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً[1] » .

ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته ، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار والمحبة . .

وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك لأنه لايتغير بتهويد الأبوين مثلا بحيث يخرجان الفطرة عن القبول .

وإنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية ، فلو خلى وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره . .

كما أنه يولد على محبة مايلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه الصارف ، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن بل كانت إياه فى تأويل الرؤيا . . »[2] .

ومن هذا يتبين أن مايجرى على الفرد هو مايجرى على النوع ، ففطرة الفرد تنادى بالتوحيد .

وإذا كان الإنسان فى حال الضيق والاضطرار واليأس يجد نفسه مدفوعاً دفعاً قوياً إلى اللجوء إلى الله وحده واستمداد العون منه ، ومناجاته رجاء كشف الضر وإزالة الغمة والإنقاذ من المحنة كما قال تعالى : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين .

قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون »[3] .

---

(١) سورة النحل — الآية ٧٨

(٢) فتح البارى — شرح صحيح البخارى جـ٣ ص ٢٤٨

(٣) سورة الأنعام — الآية ٦٣ ، ٦٤

فإن الإنسانية فى بدء أمرها لم تنشأ فى غيبة الوحى الإلهى ولا بعيداً عن المنهج الذى جاءت به الرسل ..

وإن الأطوار الموعومة فى تطور العقيدة ليست متعاقبة يسلم بعضها إلى بعض ، وفى كل زمان ومكان وجد المؤمنون والمشركون ، ومازالت البشرية حتى اليوم وإلى الغد بعده يلتقى فى أحضانها اليهود والنصارى والمجوس والوثنيون والدهريون والحنفاء ..

وسيرجع الكل إلى الله ليحكم بين عباده قال تعالى :

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شىء شهيد[٢] .

(١) سورة الحج — الآية ١٧

الافتراض العظيم

للفيلسوف الفرنسي المعاصر غوستاف لوبون نظرية فى الدين ونشأته وتطوره ، يرى فيها أن الحقائق البشرية تتطور كجميع الحادثات الطبيعية فتولد وتنمو وتزول .

والمعتقدات الدينية نوع من الافتراض العظيم الذى لا غنية للبشر عنه ، وهى من الحقائق المؤقتة .

ويتعذر الاستغناء عن الفرض الدينى فى تفسير الكون ، وعليه تقوم المجتمعات والحضارات .

ويمكن للبشر أن يعيشوا على انتحال الافتراض الدينى طالما كانت هناك نتائج مادية واضحة ذات تأثير كبير كقيام الدول ، وتعمير الصحراء ووقوع الحروب ... إلخ .

والافتراض الدينى ما هو إلا وهم ، يقدم أجوبة خادعة عن مسائل الحياة والكون ، لكنه وهم يمنح الناس السعادة وتترتب عليه حقائق نافعة ...

والمنطق العقلى لا يقيم ديناً ، والعناصر العقلية لم تمثـل أى دور فى تكوين الآلهة .

والروح الدينية هى التى توجد المعتقدات الدينية ، ويعنى بالروح الدينية مخافـة الأمر الخفى ، أو الأمل فى الأمر الخفى ، أو عبادة الأمر الخفى ...

والدين ينتشر بالعدوى النفسية والتلقين وقوة الدعاة وأهمية الشعائر والرموز الدينية ...

هذا هو ملخص النظرية التى سجلها فى كتابه « حياة الحقائق »[1] .

وتعليقنا على هذه النظرية على النحو التالى :

أولا :

إن المقدمة التى ذكرها غوستاف لوبون فى كتابه « حياة الحقائق » مهمة جدا ، ومعبرة عن قيمة الفكر والدين فى الحياة ، فهو يرى أن الحاضر وليد الماضى ، وأن أكثر الفاتحين سفكا للدماء أقل تخريبا من المبادىء الفاسدة ، وأن الفكر هو الذى يهدى الإنسان إلى معالم الطريق الصحيحة .

ومقتضى هذه المقدمة أن تعيش الإنسانية فى وعيها وعقلها ، وتبنى الحياة على حقائق وليس أوهاما ، وتؤسس الحضارة على قيم حقيقية وليست أغلاطا .

لكن غوستاف لوبون تقمص ثوب السوفسطائيين ، وتبنى فكرهم فى إنكار حقائق الدين ، وخلط بين الاعتقاد والحقيقة .

فاعتقاد الناس فى مرحلة من المراحل أو عصر من العصور قد يكون وهما أو خرافة أو أسطورة نتيجة عوامل البيئة الفاسدة والتقليد الأعمى وغفلة العقل وفقد الوعى ، أما الحقيقة فهى ثابتة ، عرفها الناس أو لم يعرفوها ، آمنوا بها أو جحدوها .

وعندما يقول لوبون إن الحقائق لم يعد لها ثبات مع التطور العلمى

---

(١) ترجمة عادل زعيتر ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٩ م ١٣٦٨ هـ ، وقد سبق عرض تفاصيل هذا الكتاب عند الحديث عن دراسات غير المسلمين ص ٢٤٦ .

يكون مخطئا ، فطالما كانت الحقيقة فهي ثابتة ، والحقيقة غير يقين الناس حيالها ، واليقين هو الذى يتطور تبعاً لأشياء كثيرة من اكتشاف الجديد أو التعرف على جوانب غامضة أو يقظة العقل وتحرره من أسر العادة والتقليد .

ثانيا :

إذا وصف غوستاف لوبون الدين بأنه نوع من الافتراضات العظيمة، فهذا من تزيين القبيح أو تقبيح الجميل .

فهل الدين مجرد افتراض ؟ !

إن حقائق العلم قد أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن وجود الله تعالى هو حقيقـــة الحقائق ، فآيات الأنفس والآفاق ، ونواميس الكون والكائنات ، وحركة الكواكب والنجوم ، ومسيرة الليل والنهار — كل ذلك يؤكد وينطق بلسان لا ترد حجته بأن له خالقا مبدعا حكيما ، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

ويرفض العلم الحديث بإصرار — نظرية المصادفة فى نشأة الحياة ، ويعدها فرضاً سخيفا ، وضربا من الوهم ، ولونا من المستحيل .

وهناك دراسات عميقة فى هذا الجانب مثل كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم »[1] .

وهو يجيب على سؤالين : هل تعتقد فى وجود الله ؟
وكيف دلتك دراستك وبحوثك عليه ؟

وتولى الإجابة طائفة من العلماء المتخصصين فى سائر فروع العلم ، من الكيمياء ، إلى الفيزياء ، إلى الأحياء ، إلى الفلك ، إلى الرياضيات ، إلى الطب ... إلخ .

---

(١) ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »[1] .

وإذا ضاعت هذه الحقيقة الكبرى فقد ضاعت كل الحقائق وسقطت كرامة الإنسان .

ولا يصح فى الأذهان شىء   إذا احتاج النهار إلى دليل

ثالثا :

إن غوستاف لوبون يرى أن من الضرورة اللازمة ومن الأهمية القصوى أن تظل فرضية الدين والأخلاق سائدة بين النـــاس ، لأن الحضارة رهن الدين .

بالله عليك — أيها القارىء الكريم — أى عبث هذا ؟ !

إذا كانت الحضارة قرينة الدين ، وإذا كان التقدم نتيجة الإيمان ، وإذا كانت الطموحات الفردية والجمعية مرتبطة بالدين ، فإن المنطق يقول ما كان قائماً على وهم فهو وهم ، وما نشأ من الخرافة فهو خرافة ، وما خرج من الجهل فهو جهل .

فيلزم أن تكون الحضارة والتقدم والعبقرية وهما على وهم ، وظلمات بعضها فوق بعض .

وهذا يتنافى مع الواقع ، ويتناقض مع الآثار الإيجابية السائدة فى حياة البشر ، فلا أحد ينكر حضارة الإنسان إلا الصم البكم العمى الذين لا يعقلون .

---

(١) سورة فصلت الآية ٥٣

ومتى سلمنا أن الدين شفاء لأمراض النفوس ، وزكاة للفطرة ، ونماء العقل ، وعمارة الكون ثم أنكرنا أن يكون الدين حقيقة ، فما الحقيقة إذا ؟!

وأين نكتشفها ؟ ! ومتى ؟ !

رابعاً :

إن غوستاف لوبون يرى أن العناصر العقلية لم تمثل أى دور فى تكوين الآلهة .

وهذا التعبير يبين خطأ عرض القضية ، وخطيئة النتائج التى قامت عليها .

إن تعدد الآلهة هو اختراع البشر فى عصور الإنحراف عن الفطرة ، والبعد عن الوحى ، وتحريف النص المنزل ، وحيثما يكن تعدد الآلهة فلا يكون عقل . لأن تعدد الآلهة — على فرض وقوعه — يؤدى إلى فساد الكون ، كما قال تعالى :

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[1] .

« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون »[2] .

إن قضية وجود الله تعالى هى العقل فى أسمى صوره وأكمل معانيه وأجل أفكاره ، فالكون صنعة إله واحد أحد ، له الجلال والكمال والجمال ، وهو الإله الحق ، خالق ومدبر .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٢

(٢) سورة المؤمنون الآية ٩١

فالكائنات واقعة تحت سلطانه وقهره وتدبيره ورحمته التى وسعت كل شىء ، ومن منطلق هذا التدبير الإلهى والعناية الربانية أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ، يقدمون للناس معالم الهداية ومبادىء الحق وقيم الحياة المثلى ...

وهنا يلتقى العقل مع الشرع ، ويتعانق العلم والدين ، وتستقيم مسيرة الإنسان الصالحة .

وما تعاند الدين مع العقل إلا لأحد أمرين :

١ — تحريف الدين فى أصله وانحراف أهله عنه .

٢ — جهل الإنسان ووضع العقل فى غير موضعه .

فالعقل ميزان صادق ويقينى فى إطار الطبيعة والمادة ، ولكن لا نطمع أن نزن به حقيقة الذات الإلهية وعالم الغيب وما وراء الطبيعة ، وعلينا أن نكتفى من العقل بدليل الإمكان العام أو الجواز العقلى ثم نلتقى السلم للوحى الإلهى بضوابط التلقى عن النبى المعصـــوم المؤيد بالمعجزة .

وقامت تكاليف الشرع كلها على اعتبار العقل الشرط الأول للتكليف فلا دين بغير عقل .

والأنبياء جميعاً خاطبوا العقل الإنسانى وقدموا له البراهين العقلية وطلبوا منه سلامة النظر وصحة التفكير وجدية البحث ، ورفضوا التقليد والغباء والغفلة .

قال الله تعالى :

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ،

ثم استوى على العرش ،

وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ،

يدبر الأمر ، يفصل الآيات

لعلكم بلقاء ربكم توقنون .
وهو الذى مد الأرض ،
وجعل فيها رواسى وأنهارا .
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ،
يغشى الليل النهار ،
إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ،
وفى الأرض قطع متجاورات ،
وجنات من أعناب ،
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ،
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ،
إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون[1] » .

وقال جل شأنه :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ،
لهم قلوب لا يفقهون بها ،
ولهم أعين لا يبصرون بها ،
ولهم آذان لا يسمعون بها ،
أولئك كالأنعام بل هم أضل
أولئك هم الغافلون[2] » .

---

(١) سورة الرعد — الآية ٢ : ٤ .
(٢) سورة الأعراف — الآية ١٧٩ .

خامساً :

إن غوستاف لوبون يرى أن الدين قدم أجوبة خادعة عن مسائل الحياة والكون .. وتلك أكذوبة كبيرة !! ..

فاذا اكتشف لوبون من الخداع فى أجوبة الدين الصحيح ؟!

إن وجود الله حقيقة الحقائق ..

وإن شرائع الله هى العدل والرحمة والإحسان ، قال تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . يعظكم لعلكم تذكرون[(١)] » .

ولم تعرف البشرية — ولن تعرف — منهجا يسمو بالإنسان ، ويحقق له الأمن ويلبى حاجاته الروحية والعقلية والبدنية فى توازن عجيب مثلما جاء على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

لقد صاغ الفلاسفة نظما ، وسن الحكام قوانين ، ووضعت الدول دساتير ، وكلها فى غيبة الوحى الإلهى — ظلم وظلام ، تنتقص من كرامة الإنسان وتسلبه الأمن والأمان [(٢)] .

وبالنسبة لجواب الدين عن قصة الخلق وبدء الحياة ونهاية المطاف واليوم الآخر من خلال القرآن الحكيم فهو الحق المبين والجواب الشافى ، وقد قامت دراسات عميقة مقارنة بين القرآن ومعطيات العلم الحديث أكدت الإعجاز القرآنى [(٣)] .

---

(١) سورة النحل — الآية ٩٠ .

(٢) راجع كتابنا « المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه ، ط دار المعارف بمصر .

(٣) راجع كتاب « دراسة الكتب المقدسة فى ضوء العلم الحديث » للمستشرق موريس بوكاى وقد سبق عرضه .

ويقف العلم عاجزاً عن إدراك ما بعد الطبيعة ، فليس يستطيع إجراء بحث ميداني على الموتى أو أن يضع تسجيلات أو آلات تصوير ليعرف مايجرى في القبر ، ولا يمكن استشراف المستقبل ليبحث عن الجنة والنار .

وحيثما وقف العلم عاجزا وجب التسليم للوحى المعصوم في إخباره عن اليوم الآخر ومافيه .

فهناك ضرورة إنسانية كبرى لليوم الآخر[1] .

سادساً :

ما يسوقه غوستاف لوبون عن انتشار الدين أو تحوله ، فتلك قضية إنسانية تعبر عن يقين الناس واعتقادهم الذى ينمو أو يضمحل ، والذى يقبل كل شيء أو يرفض بعض الأشياء ، والذى يؤمن أو ينافق .

وما يقوله عن وسائل انتشار الدين بقوة الدعاة أو رغبة الشعوب أو بالعدوى النفسية — كما يسميها — أو التلقين .. الخ .

فكلها مسائل تخضع للبحث ، ولا حرج في التعليل بها كلها أو بعضها . فهى بحوث متصلة بواقع الناس وليس بالحقيقة المطلقة الثابتة .

وبعــد :

فإن المنازعين لأصل التوحيد وفطرية الدين السماوى يريدون أن يتعاملوا مع الإنسان من منطلق الحيوانيــة الصرفة ، ويسعون جاهدين إلى ربط الإنسان بعالم القردة .

ويصلون بالإنسان إلى هاوية سحيقة يلتقى فيها مع فئران التجارب وقطط البحوث وكلاب المعامل .

---

(١) راجع كتاب « الإسلام يتحدى » وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ط المختار الإسلامى سنة ١٩٧٣ م

وينقلون تجاربهم هذه إلى التطبيق العملى على الإنسان كفرد والإنسان كمجتمع .

ويتناسون أن الإنسان وحده يحمل روحا من أمر الله ، .

وأن الإنسان ينفرد بكرامة الخلقة وحسن التقويم .

وأن الإنسان مخصوص بكونه خليفة فى أرض الله يقود الحياة المثلى بمنهج الله .

« ولقد كرمنا بنى آدم .

وحملناهم فى البر والبحر .

ورزقناهم من الطيبات .

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا[1] » .

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

المؤلف فى سطور

د . محمد سيد أحمد المسير

ــ أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين ــ جامعة الأزهر بالقاهرة .

ــ عمل أستاذاً مشاركاً ثم رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى كلية التربية ــ فرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة ١٩٨٣ ــ ١٩٨٧م .

ــ أعير أستاذا فى كلية الدعوة وأصول الدين ــ جامعة أم القرى بمكة المكرمة من سنة ١٩٩٣

ــ عمل عميداً لمعهد الإمامة للدراسات الإسلامية التابع للجمعية الشرعية بالمطرية .

ــ عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف .

ــ عضو جمعية الدراسات الإسلامية بالزمالك .

ــ عضو الجمعية الفلسفية المصرية .

ــ يكتب المقالات فى المجلات والصحف الإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى .

ــ يشارك فى البرامج الدينية الإذاعية والتليفزيونية لمصر والعالم الإسلامى .

ــ كان الأول على طلاب الجمهورية فى الشهادة الإعدادية الأزهرية عام ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤م من معهد شبين الكوم الدينى .

ــ كان السادس عشر على طلاب الجمهورية فى الثانوية الأزهرية عام ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩م ، وكانت المرحلة الثانوية يومئذ خمس سنوات .

ــ حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف فى الشهادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م

ــ حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨م .

– شارك فى المؤتمرات والملتقيات الفكرية مثل :

• المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى رجب ١٤٠٨ هـ.

• ندوة الفقه الإسلامى فى سلطنة عمان فى شعبان ١٤٠٨هـ.

• الموسم الثقافى لشهر رمضان فى دولة الكويت ١٤٠٩ هـ.

• الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبى فى بغداد من ٢٢ : ٢٤ لشهر جمادى الأولى ١٤١٠ هـ.

• المؤتمر الإسلامى العالمى لمناصرة العراق المنعقد فى بغداد فى شهر ذى القعدة ١٤١٠ هـ (قبل الغزو).

• المؤتمر القومى الذى نظمه المركز العربى للإعلام بالقاهرة تحت عنوان « الإدمان قضية العصر » من ١٨ : ٢٠ من فبراير ١٩٩٠م.

• المؤتمر الإسلامى العالمى لمناقشة أزمة الخليج الذى نظمته رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة من ٢١ : ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ.

• الندوة العالمية لمناقشة حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب فى طهران بتاريخ ٩ : ١٢ من سبتمبر ١٩٩١م.

• المهرجان الإسلامى العالمى فى الكويت للإفراج عن الأسرى والمحتجزين فى سجون العراق ، من ١٩ : ٢١ يناير ١٩٩٢

• الموسم الثقافى لشهر رمضان فى دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤١٢هـ

• ندوة الإعلام الإسلامى بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل التى نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية بالتعاون مع جامعة الأزهر فى ذى القعدة ١٤١٢ هـ – مايو ١٩٩٢م.

• سافر مع وزير الأوقاف المصرى ضمن وفد رسمى لزيارة دول الكومنولث الإسلامية بتاريخ ١٣ : ٢٥ من سبتمبر ١٩٩٢م.

• المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من ٢ : ٥ لشهر جمادى الأولى سنة ١٤١٣ هـ

من المؤلفات

١ — الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة .
٢ — المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه .
٣ — فى نور العقيدة الإسلامية .
٤ — أدب الحديث عن الله .
٥ — محاورة تطبيق الشريعة .
٦ — المدخل لدراسة الأديان .

سلسلة فلسفة السيرة

٧ — الرسول فى رمضان .
٨ — الرسول حول الكعبة .
٩ — الرسول والوحى .
١٠ — الرسول وقضايا المجتمع .
١١ — الرسول والموافقات .

سلسلة محاورات فى النصرانية

١٢ — أصول النصرانية فى الميزان .
١٣ — أوربا والنصرانية .
١٤ — المسيح ورسالته فى القرآن .

تحقيق مؤلفات فضيلة الدكتور سيد أحمد رمضان المسير — رحمه الله — :

١٥ — السنة مع القرآن .
١٦ — السنة المطهرة .
١٧ — إلزام القرآن للماديين والمليين .
١٨ — دراسات قرآنية .

الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب
٧٥١٩ لسنة ١٩٩٤ م
I, S . B: N. - 977 - 00 - 7347 - 4
٢٦ من صفر ١٤١٥ هـ — ٢٥ من يوليه ١٩٩٤ م



